

التسهيل على أهل التنزيل
تفسيير

رسالة يوسف

في سؤال وجواب

تأليف
أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

الناشر
مكتبة مكة
طنطا - جمهورية مصر العربية
٢٠٢٣٤٥٧٤٥ - ٠٤٠٣٨٩٨٥٣

الْتَّسْهِيلُ لِنَأْوِيلِ النَّزْلِ

تِفْسِيرٌ

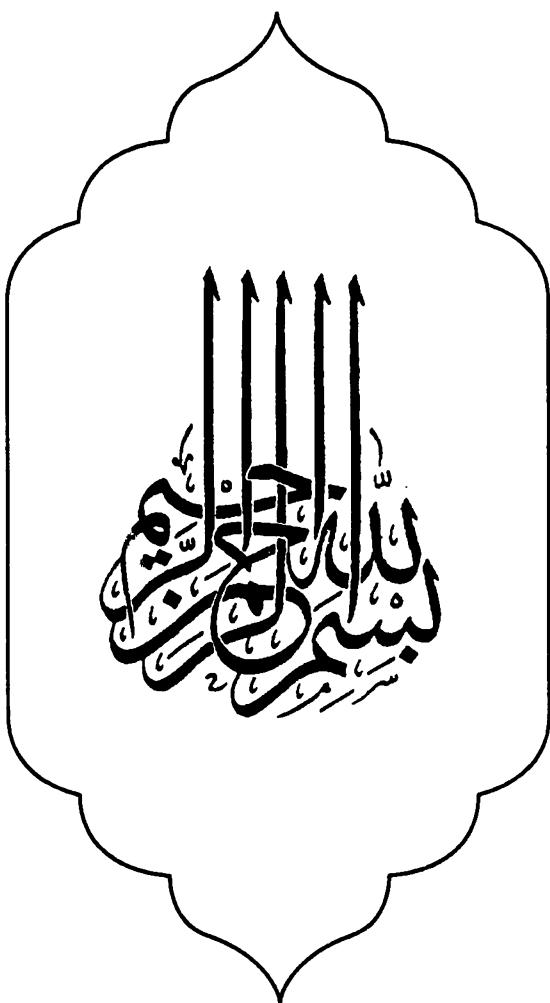
سُورَةُ الْيُونُسُ

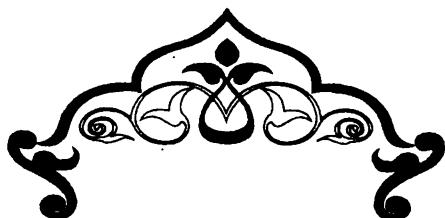
فِي سُؤَالٍ وَجَوَابٍ

تألِيفُ

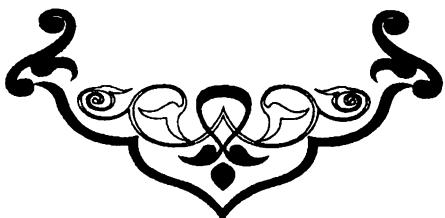
أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُصْطَفَى بْنِ الْعَدَوِيِّ

مَكْتبَةُ مَكَّةَ





تفسير سورة يوسف



حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٣ هـ - ٢٠٠٢

رقم الريداع بدار الكتب المصرية
١٠٣٦ / ٤٠٥

الناشر

مكتبة مكة

طنطا ت: ٠٤٠٣٤٥٧٤٥ - ٠٩٣٤٨٩٨٥٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

«اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، لك ملك السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ، ولك الحمد ، أنت ملك السموات والأرض ، ولك الحمد ، أنت الحق ووعدك الحق ، ولقاوك حق ، وقولك حق ، والجنة حق والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد صلوات الله عليه حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنتب ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت ولا إله غيرك»^(١).

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

وبعد:

فيين أيدينا قصة قصها الله علينا في كتابه الكريم هي أحسن القصص على الإطلاق ، ألا وهي قصة نبي الله الكريم ابن الكريم ابن الكريم

(١) هذا لفظ حديث أخرجه البخاري (مع الفتح ٣ / ٣) ومسلم (٦ / ٥٤ - مع التوسي) من حديث ابن عباس رضي الله عنهمَا ، قال : كان النبي صلوات الله عليه إذا قام من الليل يتهجد قال . . .

يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم وعلى نبينا محمد صلوات الله وسلامه أجمعين، وي يوسف عليه السلام من أمرنا الله بالاقتداء بهم.

إذ قال تعالى في ذرية إبراهيم: ﴿وَمَنْ ذُرِّيَّتِهِ دَأْوُودُ وَسُلَيْمَانُ وَأَيُوبُ وَيُوسُفُ...﴾ إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِمَا هُمْ اَقْتَدُهُ﴾.

* قصة من أعظم القصص التي يثبت الله بها الفؤاد كما قال تعالى: ﴿وَكُلَّاً نَقْصًا عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا تُثِبُّ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ فلا يمل الشخص ولا يضجر ولا يستوحش الطريق.

* قصة من أعظم القصص التي بها يتسلى الشخص المصاب ويتعرى بأهل الفضل والصلاح الذين كان مصابهم أعظم من مصابه وألامهم أعظم من آلامه.

* قصة تحمل عبراً ومواعظ وفوائد وأحكاماً.

* قصة تدل على نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام وتؤكددها فهونبي أمي لم يرها ولم يشاهدها ، ومع ذلك يقصها بأحداثها على أفضل نحو، ويسردها أجمل سرد كما أوحاهـا إلـيـه رـبـهـ ، فهـذا دـلـيل عـلـى نـبـوـة نـبـيـهـ ، وتدفع الشك عن المتشكك في نبوتهـ ، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُطْ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأْرَاتَ الْمُبْطَلُونَ﴾ .

وكما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ .

ونحوهـ في قولهـ تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيَا فِي أَهْلِ مَدِينٍ تَتَلَوَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكُنَا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ .

ونحوه : ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ﴾ .

فسبحان من علم نبيه ما لم يكن يعلم ، بل وعلم الإنسان ما لم يكن يعلم .

والقارئ الكريم المتأمل في هذه السورة المباركة : يرى وعوًداً تختلف من البشر ، ولكن الله لا يخلف الميعاد !

يرى مؤامرات تُحاك ولكن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

يرى مكائد تُدبَر وتُهَمَّاً تلقى الأبرياء يتهمون ، ولكن ينجي الله الذين اتقوا بفازتهم لا يسهم السوء ولا هم يحزنون .

فكم من بريءٍ يتهم ، وكم من عفيفٍ يُقذف ، وكم من كريمٍ يُفترى عليه ، فليتعزز هؤلاء بأنبياء الله وأوليائه ولينتظروا فرج الله ، فالفرج برأ يوسف عليه السلام وحمل المرأة على قولها : ﴿ الآنَ حَصَحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدُهُ عَنْ نَفْسِي وَإِنَّهُ لِمَنِ الصَّادِقِينَ ﴾ .

والذي حمل النسوة على قولهن : ﴿ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ﴾ .

والذي برأ موسى عليه السلام من الذين آذوه .

والذي برأ مريم عليها السلام من البهتان العظيم الذي قالوه عنها .

والذي برأ عائشة رضي الله عنها من الإفك المبين .

إنه الله عز وجل لا يغفل ولا ينام ولا ينسى ولا يموت

إنه سبحانه يُبَرِّئُ البراء وينجي الأتقياء .

فليصبر كل مُتّهم وليحتسب كل مُقذوف بريء وليتأس أولئك بأنبياء الله ولি�تنتظروا فرج الله في الحياة الدنيا أو يوم يقوم الأشهاد .

يرى القارئ أن بصر الأتقياء نافذ بإذن الله وبعون الله وتوفيق الله .

فها هو يوسف عليه السلام دخل عليه إخوته ﴿فَعَرَفُوهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ .

ويعقوب عليه السلام يأتيه بنوه بدم كذب فيقول: ﴿بَلْ سَوَّلْتُ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ .

أما بصر الغواة فضعيف قاصر ، فانظر إلى قوله تعالى: ﴿... وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ !

وانظر إليهم وقد أتوا بقميص يوسف ملطخاً بالدماء غير مشقوق ولا ممزق ولا مقطوع ، وهم يقولون: ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ ؟؟

حملت هذه السورة مفاجآت ، مفاجأة تلو الأخرى وأهل الصلاح ثابتون محتبسين أمام البلايا والأحداث .

إنها مشاهد تقشعر لها الجلد وتحرك لها المشاعر ويثار لها الوجдан .

*يعقوب عليه السلام يفجأه أبناءه بقولهم: ﴿يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ .

أكل الذئب يوسف عليه السلام؟ ! أكل حبيب القلب وفلذة الكبد؟ !!

فِيمَ يَجِيبُ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ وَكَيْفَ يَوْاجِهُ الْحَدِيثُ؟

﴿بَلْ سَوْلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبَرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصْفُونَ﴾.

نعم فخير معين هو الله ، ونعم بالله .

* ثم يبتلى ابلاع آخر عليه الصلاة والسلام ، فيأتيه أبناءه بعد سفر طويل
قائلين : ﴿يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾ .

مفاجأة تلو المفاجأة ، ابني سرق !

ابني الذي ربته ونشأته على طاعة الله والمرسلين سرق ؟ !

ثم القرية علمت بذلك ؟ ! والقوافل علمت بذلك ؟ ! !

علمت القرية والقوافل أن ابن يعقوب سرق وأنه أخذ بجرينته كعبدٍ
مسترق ، وهو حرٌ بريٌ فالله المستعان ، والله وحده المستعان !

* ثم مفاجأة أخرى لغير يعقوب عليه السلام ، مفاجأة لأبنائه وهم
يشكون ما بهم من الضر والفقارة ويطلبون الصدقة ويلتمسون الزاد من
عزيز مصر .

﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضرُّ وَجِئْنَا بِبَضَاعَةٍ مُّرْجَاهٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلُ
وَتَصْدِيقُ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصْدِقِينَ﴾ .

فتأتيهم المفاجأة ، وأي مفاجأة يقول لهم الصديق يوسف عليه السلام :
﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ فيقولون : ﴿أَنِّي
لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾ !!

هكذا يرفع الله المتقيين والمظلومين درجات .

* ثم مشهد مهيب ﴿ وَرَفِعَ أَبُو يَهٰ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُوا لَهُ سُجْدًا وَقَالَ يَا أَبَتْ هَذَا تَأْوِيلُ رُعْيَايِيْ مِنْ قَبْلٍ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّيْ حَقًّا ﴾ .

بَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَرْفَعُ أَقْوَامًا درجات فضلاً مِنْهُ وَنِعْمَةً ثُمَّ لِتَقْوَاهُمْ وَبِرْهُمْ وَطَاعَتُهُمْ، ثُمَّ كَيْفَ يُخْفِضُ آخَرِينَ وَكَيْفَ تَبَدِّلُ الْأَحْوَالَ .

* فَهَا هُمُ الَّذِينَ كَانُوا بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ: ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرُحُوهُ أَرْضًا ﴾ هَا هُمْ يَقُولُونَ: ﴿ تَالَّهُ لَقَدْ أَثْرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ .

* هَا هُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَقُولُونَ: ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ . هَا هُمْ يَقُولُونَ: ﴿ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ . هَا هِيَ الْمَرْأَةُ الَّتِي كَانَتْ تَقُولُ: ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .
* هَا هِيَ تَقُولُ: ﴿ الآنَ حَصْحَصْ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدَتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

وَهَكُذا يَرْفَعُ اللَّهُ الدَّرَجَاتِ وَيُعِزُّ مِنْ يَشَاءُ وَيُذَلِّ مِنْ يَشَاءُ .

يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُسَاقُ إِلَى السُّجْنِ، ثُمَّ تَرَ الأَيَّامُ وَالسَّنُونُ وَيَقُولُ الْمَلْكُ: ﴿ أَتُؤْنِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي ! ! فِي هَذَا كَلْهُ مُذَكَّرُ، وَفِي هَذَا كَلْهُ مُعْتَبِرٌ وَلَلآخرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا .

فَتَنْ عَظِيمٌ مَرَّ بِهَا نَبِيُّ اللَّهِ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهَكُذا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا دَارَ ابْتِلَاءً، وَفِيهَا النَّصْبُ وَالتَّعبُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا إِنْسَانًا فِي كَبَدٍ ﴾ .

وَقَدْ خَلَقْنَا اللَّهُ أَطْوَارًا .

يخرج نبي الله من ابتلاء إلى ابتلاء ، ومن محنـة إلى مـحنـة ، ثم إلى منحـة والـعـاقـبـة لـلـتـقـوـى .

يُـتـلـى يـوسـف عـلـيـه السـلـام بـحـسـد الـحـاسـدـين وـكـيد الـكـائـدـين وـمـكـرـ المـاكـرـين ، وـمـنْ هـؤـلـاء الـحـسـادـالـذـين يـحـسـدـونـه بـلـا ذـنـب اـقـتـرـفـ ، وـلـا جـرـمـ اـرـتـكـبـ ؟ إـنـهـ إـخـوـتـهـ ، وـإـنـا لـلـهـ وـإـنـا إـلـيـهـ رـاجـعـونـ ، وـلـلـهـ الـأـمـرـ مـنـ قـبـلـ وـمـنـ بـعـدـ .

إـخـوـتـهـ يـحـسـدـونـهـ ، فـبـمـاـذـا يـرـدـ ؟ وـبـمـاـذـا يـجـبـ ؟ وـهـوـ طـفـلـ صـغـيرـ ثـمـ كـمـاـ قالـ القـاتـلـ :

قـومـيـ هـمـ قـتـلـواـ أـمـيـمـ أـخـيـ فـإـذـا رـمـيـتـ يـصـيـنـيـ سـهـمـيـ

يـؤـولـ أـمـرـ حـسـدـهـمـ إـلـىـ إـلـقـائـهـ فـيـ غـيـابـةـ الـجـبـ وـبـيـعـهـ بـشـمـنـ بـخـسـ درـاهـمـ مـعـدـودـةـ ، فـيـبـاعـ بـعـيـعـ الرـقـيقـ فـيـ الـأـسـوـاقـ وـهـوـ الـكـرـيمـ بـنـ الـكـرـيمـ بـنـ الـكـرـيمـ ، نـبـيـ اللـهـ اـبـنـ نـبـيـ اللـهـ اـبـنـ نـبـيـ اللـهـ اـبـنـ خـلـيلـ اللـهـ !!! .

* يـكـثـرـ عـلـيـهـ السـلـامـ فـيـ قـصـورـ الـمـلـوـكـ وـالـوزـرـاءـ فـيـبـلـغـ أـشـدـهـ وـيـؤـتـيهـ اللـهـ الـعـلـمـ وـالـحـكـمـةـ ، ثـمـ يـتـلـىـ بـأـشـدـ فـتـنـةـ وـأـضـرـ فـتـنـةـ عـلـىـ الرـجـالـ ، وـهـيـ : فـتـنـةـ النـسـاءـ ، تـلـكـ الـفـتـنـةـ الـتـيـ تـعـصـفـ بـالـعـقـولـ وـتـذـهـبـ بـالـأـلـبـابـ ، فـتـراـوـدـهـ اـمـرـأـةـ الـعـزـيزـ عـنـ نـفـسـهـاـ ، وـتـلاـحـقـهـ وـتـطـارـدـهـ وـتـهـدـدـهـ وـتـتوـعـدـهـ ثـمـ تـلـصـقـ التـهـمـةـ بـهـ وـهـوـ الـبـارـ الرـاشـدـ الـكـرـيمـ .

ثـمـ يـدـخـلـ السـجـنـ وـهـوـ الـبـرـيءـ الـعـفـيفـ . يـسـجـنـ مـعـ الـأـشـرـارـ وـالـعـربـيـدـينـ وـالـمـفـسـدـيـنـ .

وـلـكـنـ لـاـ يـضـيـعـهـ اللـهـ فـيـ سـجـنـهـ ، بـلـ هـوـ مـحـسـنـ مـحـبـوبـ إـلـىـ السـجـنـاءـ !

يمكث في السجن بضع سنين ولا يغفل عن الدعوة إلى الله مع ما هو فيه من ابتلاء !

ثم يُقدر الله المقادير ويخرج عليه السلام من السجن بسبب علمه ، لا بسبب جماله ، يخرج بريئاً تقىأ و قد ارتفع درجات فتائيه فتنة السراء ، فتنة الملك وهي فتنه عظمى أيضاً لا يصبر عليها ولا يعطي حقها ولا يقدم شكرها إلا الصابرون الشاكرون ، فيقضيها محسناً عاماً بطاعة الله ، مشهوداً له بالإحسان : ﴿ إِنَّا نرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

* ثم لما اجتمع عليه شمله وأقر الله عينه بآبويه وإخوته يستيقظ إلى لقاء الصالحين فيسأل الوفاة على الإسلام ﴿ تَوَفَّى مُسْلِمًا وَأَلْحَقَنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ . وفي ثنايا هذا كله ، في خضم هذه الابتلاءات لا يغفل عن ذكر الله ، ولا ينساه ، بل هو دائم الذكر والتذكير بالله دائم الاعتراف بالفضل لله ، لا يميل ، ولا يفتر ولا يفتر فتراه يقول : ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كِيدْهُنْ أَصْبِ إِلَيْهِنَ ﴾ .

وتراه يقول : ﴿ ذَلِكُمَا مِمَّا عَلِمْنِي رَبِّي ﴾ .

وتراه يقول : ﴿ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ ﴾ .

وتراه يقول : ﴿ رَبَّ قَدْ آتَيْتِي مِنَ الْمُلْكَ وَعَلَمْتِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطَّرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْتَ وَلِيٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ .

فصلوات الله وسلامه على هذا النبي الكريم ، وعلى نبينا محمد أفضل صلاة وأتم تسلیم .

وفي ثنايا هذه السورة المباركة طائفة من الأحكام الفقهية منها ما يتعلق

بالرؤيا وتعبيرها ، ومنها ما يتعلق بالحيل المشروعة المباحة والحيل التي لا تشرع ولا تجوز .

وما يتعلق بأحكام تزكية النفس وسؤال الإمارة ، والمصالح والمفاسد والأخلاق التي ينبغي أن يتحلى بها ذوو الرئاسات وأصحاب السلطات .

* من هذه السورة الكريمة نرى أنه لا تزر وزرة وزر أخرى ، وذلك من قوله : ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذُ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعًا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَظَالَمُونَا ﴾ .

نرى أن الشهادة يجب أن تكون بعلم ، وذلك من قولهم : ﴿ وَمَا شَهَدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا ﴾ .

نرى كيف أن علامات الإحسان تبدو على وجوه المحسنين ، وذلك من قولهم : ﴿ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

نرى كيف نتعلم كضم الغيظ والعفو عن الناس لمارأى إخوته ولأول مرة ، ضبط نفسه حتى يتوصل إلى ما يريد الله بإذن الله .

نرى من هذه السورة المباركة أن شأن الدعوة إلى الله عظيم فبدأت السورة بالإشارة إليه وتوسطها أمر دعوة يوسف عليه السلام للسجنين واهتمامه الزائد ببيان أمر التوحيد الذي هو أجل الأمور وأعظمها على الإطلاق فلا ينفع مع الشرك بالله عمل ، فأكَدَ يوسف عليه السلام على ذلك تأكيداً شديداً ، وبينَ فضل الله عليه وعلى آبائه في كونهم من أهل التوحيد وأئمته .

ثم أيضاً فالسورة الكريمة ذكرت في ختامها بالدعوة إلى الله وأنها سبيل النبي ﷺ هو ومن تبعه ، وأن هذه الدعوة يجب أن تكون على علم ، فقال تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ ﴾

وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٢﴾ .

برز وظاهر في هذه السورة الكريمة كم هائل من مكارم الأخلاق.

* فها هي العفة تتألق بكل معانيها حينما تدعى المرأة يوسف إلى نفسها في يقول : ﴿قَالَ معاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مِثْوَاي﴾ وهذا هو العفو يتجلّى في أسمى معانيه ، بعد أن ظلمه أخوه وفرقوا بينه وبين أبيه ، وذهب بصر أيهم من البكاء .

* ها هو يقول : ﴿لَا تَتَرَبَّ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ .

فعنم ما صنع من إقالة العثرات والمغفرة للمذنبين في حقه ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍ عَظِيمٍ﴾ .

* ها هو حسن الخلق في الحديث عن النساء مع ما فيه الشخص من تهمة ، وما قدّف به من الشر ، وهو يقول : ﴿هِيَ رَاوِدْتِي عَنْ نَفْسِي﴾ مستعملاً ضمير الغائب في الخطاب .

* وها هو إكرام العشيرة يتجلّى ويظهر : ﴿إِدْخُلُوا مَصْرَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ ﴿٩٩﴾ ورفع أبويه على العرش .

* ثم صبر جميل مستفادٌ من القصة بعمومها .

* يظهر من يوسف عليه السلام علم متدقق في تعبير الرؤيا ، فحسن تعبير حسن تدبير في نبل أخلاقه عليه الصلاة والسلام .

* ثم دفع تهمة وبراءة ساحة وسلامة عرض .

* نرى من يوسف عليه السلام لطف تدبير مع جميل احتيال مع حسن

تعريف في قوله : ﴿جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ . . . وقوله : ﴿فَبَدَا بِأُوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ . . . وقوله : ﴿أَيُّهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ .

* تبين من هذه السورة الكريمة أن أمر الله نافذ في خلقه ، لا يحول بينه وبين مراده شيء ، فالله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

فكيف وإخوة يوسف أرادوا به ما أرادوا ، ولكن كيف اجتباه الله وأصطفاه وأنعم عليه وأنجاه .

إخوته يقولون : ﴿اَقْتُلُوْا يُوسُفَ أَوْ اطْرُحُوهُ أَرْضًا﴾ .

وعزيز مصر يقول لامرأته : ﴿أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَخَذَهُ وَلَدًا﴾ .

فسبحان الله ، فالعباد يكيدون كيداً والله يكيد كيداً .

العباد يكرون والله خير الماكرين .

وكما قال الله تعالى في شأن خليله إبراهيم عليه السلام : (جد يوسف عليه السلام) : ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ .

* تعلمنا من هذه السورة الكريمة أن الشخص لا يأس أبداً من روح الله ولا يقنط من رحمته ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ ، ﴿وَمَنْ يَقْنُطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾

* ترى في هذه السورة الكريمة كيف تخبر الخواطر المنكسرة .

في يوسف عليه السلام ، وهو في غيابة الجب ، وفي وسط الكرب وخضم البلاء يوحى الله إليه ما يؤنسه ويزيل الوحشة عنه ، يوحى إليه ﴿لَتُبَيِّنُهُمْ﴾ أي : لتخبرن أخوانك ﴿بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

فسبحان الله؛ ما أجملها من مواساة! وما أحسنها من مؤانسة! وما أطبيه من جبران خاطر!

وكذلك جبران الخواطر في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَحْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ . فكل معروف يثيب الله أصحابه، وكل بريجاري الله أهله خيراً، وكل فتنه وبلاء، وكل هم وحزن وكل دمعة للعين وحزن من القلب يثيب الله أهله إذا هم صبروا واحتسبوا، ثم ﴿وَلِأَجْرِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ .

* نرى من هذه السورة الكريمة أن الصلاح لا يتوصل إليه بقتل الأنفس البريئة، ولا تلتمس الرفعة في الدنيا والآخرة بالحسد والغل والأحقاد.

* نرى من هذه السورة الكريمة أن المنهدي من هداه الله، والمحفوظ من حفظ الله، فنرى أن هذه القصص رغم حسنها وجمالها وروعتها لا تؤثر في الأشقياء ولا في الفجرة الأشرار، ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ لَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ .

وكما قال تعالى: ﴿إِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَهُ هَذَا إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبَشِرُونَ﴾ (١٢٤) وأمّا الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ .

وتحتدم هذه السورة الكريمة ببيان ما يفيد أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً.

وببيان هداية هذا الكتاب العزيز لأهل الإيمان جعلنا الله منهم وألحقنا الله بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وأخيراً، فأقدم هذه السورة المباركة على طريقة: السؤال والجواب.

ـ كجزء في عملنا في التفسير ، وهو تفسير القرآن في سؤال وجواب ذلكم العمل الذي وسمناه بـ :

«التسهيل لتأويل التنزيل»

وقد صدر منه ما يقارب عشرة مجلدات ، أسأل الله أن ينفعني به المسلمين ، وأن يتقبل منا هذا العمل بقبول حسن وأن يتتجاوز عن زلاتنا وأخطائنا وأن يجعله في موازيننا يوم نلقاءه .

هذا ، وما كان في هذا العمل من صواب فمن الله وحده هو صاحب الفضل ، له النعمة والفضل والثناء الحسن .

وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان والله ورسوله برئان منه .
وبسبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كتبه

أبو عبد الله

مصطفى بن العدوى

منية سمنود - أجرا - دقهليه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّقْلَكَءَ اِيَّتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ اِنَا اَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ ۝ نَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ اَحْسَنَ الْقَصَصِ
بِمَا اَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ
لَمِنَ الْغَافِلِيْنَ ۝ اِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَتَابَتِ اِنْ رَأَيْتُ
اَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَجِدِيْنَ ۝
فَالَّذِي يَبْنِي لَا نَقْصُصُ رُؤْيَاكَ عَلَى اِخْرَيْكَ فِيْكِيدُ وَاللَّكَ كَيْدًا
إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْاِنْسَنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ وَكَذَلِكَ يَجْنِيْكَ
رَبُّكَ وَيُعْلِمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْاَحَادِيْثِ وَيُتَمِّمُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ
وَعَلَيْهِ اِلَيْتَ يَعْقُوبَ كَمَا اَتَمَّهَا عَلَى اَبْوَيْكَ مِنْ قَبْلِ اِبْرَاهِيْمَ وَإِسْحَاقَ
إِنَّ رَبَّكَ عَلِيْمٌ حَكِيمٌ ۝

س: اذكر معنى ما يلي: الر - المبين - لعلكم تعقلون - نقص - بما أو حينا - فيكيدوا لك كيداً - عدو مبين - يجتبيك - تأويل الأحاديث.

ج:

معناها	الكلمة
<p>(ألف لام راء): من الأحرف المقطعة التي بُدئت بها عدة سور من كتاب الله، وقد قال بعض العلماء إن معناها يعلمه الله وقد سيقت للتحدي، فكان المعنى: ألف، ولام، وراء: أحرف تعرفونها - تقرؤنها وتكلتبونها ولكن لا تستطرون أن تؤلفوا منها قرآنًا. وشمّ معانٌ أخرى^(١).</p>	الر
<p>الموضع، المظهر للحق في جميع الأمور كالاعتقاد والعبادات والشرع والحلال والحرام والهدي والرشاد والقصص والمواعظ، وغير ذلك.</p>	المبين
<p>وأيضاً فمن معناه: الظاهر الواضح أمره وإعجازه، والواضحة معانيه بحيث لا يلتبس على القارئ أو السامع.</p>	

(١) انظر ما قدمناه في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ال﴾.

<p>لكي تعلموا معانيه ، وتفهموا ما فيه .</p> <p>نتابع أثر الحديث^(١) فنذكره لك .</p> <p>بوحينا الذي أوحيناه إليك .</p> <p>يحتالوا إلهلاكه .</p> <p>عدو ظاهر العداوة .</p> <p>يختارك . يصطفيك للنبوة .</p> <p>ما تؤول إليه (ما تصير إليه) الأحاديث - تعبير الرؤيا .</p>	<p>لعلمكم تعقلون</p> <p>نقض</p> <p>بما أوحينا</p> <p>فيكيدوا لك كيداً</p> <p>عدو مبين</p> <p>يحبثيك</p> <p>تأويل الأحاديث</p>
---	--

* * *

س: سورة يوسف عليه السلام هل هي مكية أو مدنية؟

ج: مكية على رأي الأكثرين .

* * *

(١) كمنه قوله تعالى : ﴿فَارْتَدَا عَلَى آثَارِهِمَا قَصْصَا﴾ .

بعض الوارد في فضل نبي الله يوسف عليه السلام

س: اذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل نبي الله يوسف عليه السلام.

ج: من ذلك ما يلي:

* ما أخرجه البخاري ومسلم^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئلَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أيُّ النَّاسُ أَكْرَمُ؟ قال: «أَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْقَاهُمْ». قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنُ ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ». قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: «فَعِنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي؟» قالوا: نعم. قال: «فَخِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَهُوا».

* ومنها: ما أخرجه البخاري^(٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام».

* ومنها: ما أخرجه البخاري ومسلم^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «... وَلَوْ لَبِثْتَ فِي السَّجْنِ مَا لَبِثْتَ يَوْسُوفَ لَأَجْبَتَ الدَّاعِي».

* * *

(١) البخاري (الحديث ٤٦٨٩) ومسلم (الحديث ٢٣٧٨).

(٢) البخاري (الحديث ٣٣٨٢).

(٣) البخاري (الحديث ٣٣٧٢) ومسلم (الحديث ١٥١).

توقير لغة العرب

س: لغة العرب ينبغي أن تُوقَّر وأن تُعْظَم وأن تُغلَّب على سائر اللغات دلّل على ذلك مع مزيد بيان لفضليها.

ج: نعم ينبغي أن تُوقر لغة العرب، وينبغي أن تسود وأن تعلو، إذ هي لغة القرآن الكريم خير كتاب أُنْزِلَ على أفضل رسول، لقول الله سبحانه: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيًّا مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥].

* قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢].

* قوله سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد: ٣٧].

* قال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [طه: ١١٣].

* قال سبحانه: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرِ ذِي عِوْجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقَوْنَ﴾ [الزمر: ٢٨].

* قال عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الشورى: ٧].

* قال عز وجل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣].

* قال سبحانه: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدَّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الاحقاف: ١٢].

* فهل يليق بنا بعد هذه النصوص أن نغلب لغة على لغة الكتاب العزيز؟! هل يليق بمسلم غيور على كتاب ربه أن يستعمل كلمة (ماما)، و(بابا) مكان أبي، وأمي، وأبته، وأماه؟!

* وهل قال الخليل: يا بابا إني قد جاءني من العلم؟! أم أنه قال: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ [مريم: ٤٣].

فكيف نغلب لغة الكفار على لغة الإسلام والمسلمين؟! إن النبي ﷺ لم يرض أن تُغلب لغة الأعراب على لغة أهل المدينة فقال النبي ﷺ: «لا تغلبكم الأعراب على اسم صلاتكم».

* إنها كلمة قالها رسول الله ﷺ يؤخذ منها أدب وفقه لإصلاح ألسنتنا.
إنها كلمة تنم عن معانٍ أصيلة في التربية.

* أما مناسبتها، فكما لا يخفى أن صلاة العشاء لها اسمان، أحدهما وأشهرهما: (العشاء) كما قال سبحانه: ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ [النور: ٥٨].

والآخر: هو (العتمة) كما قال رسول الله ﷺ: «ولو علمنون ما في العتمة والصبح لأنوهما ولو حبوا»^(١).

فلصلاة العشاء إذن اسمان «العشاء»، و«العتمة».

ولكن الاسم الأكثر استعمالاً والأحب إلى رسول الله ﷺ هو (العشاء)، وهو الذي جاء في كتاب الله:

أما «العتمة»: فهي لغة الأعراب، وإن كان النبي ﷺ تكلّم بها أحياناً، بل وذكرها في حديث، لكنه لم يحب أن تغلب هذه اللغة على اللغة الأصح والأفضل والأشهر في أهل المدينة، فحيثذا قال عليه الصلاة والسلام لأصحابه: «لا تغلبكم الأعراب على اسم صلاتكم ألا إنها العشاء، وهم يعتمون بالإبل»^(٢).

(١) البخاري (حديث ومسلم) (الحديث ٤١٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) مسلم (الحديث ٦٤٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنه مرفوعاً. قوله: «وهم يعتمون بالإبل» أي: يدخلون في العتمة، وهي ظلمة الليل. بالإبل أي: بسبب الإبل وحلبها.

فالذي ينبغي أن يسود ويعلو وينتشر هي تلك الكلمة التي جاءت في كتاب الله ، والتي هي لغة قريش وأهل المدينة وكذلك فليكن الأمر فيسائر الكلمات وفي سائر الألفاظ .

*أما ما هو المستفاد من هذه الكلمة في بحثناها هنا؟

المستفاد في بحثنا في هذا كثير ؛ فإذا كان النبي ﷺ لم يحب أن تغلب لغة الأعراب وهم عرب على لغة قريش وأهل المدينة ، فهل يحب رسول الله ﷺ أن تغلب لغة الفرنسيين والإنجليز على لغة المسلمين؟!

*هل يحب أن تُغلب (بابا) ، و(ماما) على (أبي) و(أمي) و(أبنت) و(أمهات) و(أمتاه)؟!!

*هل يحب أن تغلب (أنكل) على (عمي) و(خالي)؟!
أو تغلب (تانت) على (عمتي) و(خالتني)؟!

*هل يحب أن تسود وتطفئ هذه الكلمات على لغة القرآن وعلى لغة المسلمين؟!

*إن الخليل إبراهيم عليه السلام يقول لأبيه : ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قُدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ ﴾ [مريم: ٤٣].

﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدُ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِرَحْمَنَ عَصِيًّا ﴾ [مريم: ٤٤].

ويقول : ﴿ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الشعراء: ٨٦].

ويوسف يقول : ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ [يوسف: ٤].

ويقول : ﴿ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْبَيَّا يَ ﴾ [يوسف: ١٠٠].

ويقول الرسول ﷺ : «استأذنت ربِّي أن أزور قبر أمِّي» .

فهل يليق أن تقول : واغفر (لبابا)؟! أو استأذنت ربِّي أن أزور قبر (ماما)؟! والرسول ﷺ يقول لأبي طالب «يا عم قل : لا إله إلا الله» فهل يليق أن يقال : (يا أنكل) قل لا إله إلا الله؟!

أظن ، بل أؤمن أن هذا لا يليق .

وللأسف فمن يتقلد هذه الألفاظ الآن (أبي وأمي وأبتابه وأمتاه وأختاه) يُعدُّ في هذا الزمان غريباً ، ومن حاز المناصب في الدنيا يتفنن في استبدال (أبي وأمي و. . .) بـألفاظ جديدة (بابا - ماما) !

فليتبه الآباء مثل هذه الألفاظ ، ولُحيي الآباء والأمهات لغة القرآن ولغة النبي ﷺ .

وكذلك فلتكثر من الألفاظ العربية التي كان رسول الله ﷺ يكثُر من استعمالها ككلمة : أبشر ، ومرحباً ، وأبي وأمي ، ونحو ذلك من الألفاظ .

وابتعد قدر الإمكان عن الألفاظ الأجنبية الدخيلة ككلمة (أوكي) ، وتانت ، أنكل . . . و(أفندم) و(أبلة) ونحو هذه الكلمات .

ويطيب لي في هذا المقام أن أورد كلمة للأخ الفاضل الكريم فتحي جمعة^(١) قال حفظه الله :

* * *

(١) وفي اصطلاح المعاصرین فهو الاستاذ الدكتور فتحي جمعة هو أستاذ العلوم اللغوية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة وخبير بمجمع اللغة العربية ، ومن ذويخلق الحسن ، ومن الدعاة إلى الله على بصيرة بمدينة بلقاس وهو صاحب كتاب «اللغة الباسلة» ذلك الكتاب القيم النافع .

العربية لغة الإسلام

تلك حقيقة ثابتة راسخة ، يدركها كل ذي بصرَ بوقائع التاريخ ، منذ ظهر الإسلام ونزل كتابه العظيم باللسان العربي المبين .

لقد خلعت اللغة العربية رداء «المحلية» وفارقت انتماها القومي والعنصري ، إذ كانت تقيع خلف الحدود الضيقه لشبة الجزيرة العربية . فارقت هذا وصارت لساناً عاماً للمسلمين أينما يكونوا ومتى يكونوا ، فكان الإسلام سبيلاًها إلى الناس ، كما كانت - بحق - سبيلاً الناس إليه به عرفوها ، وبها عرفوه .

ومن أجل ذلك كان حقاً على المسلمين مهما كانت أصولهم أو أجناسهم - أن يُبُوّتوا اللغة القرآن «مبواً صدق» ، فينزلوها في مكانتها اللائقة بها ، من حيث هي لغة القرآن ولسان الإسلام ، فلا يقدموا عليها لغة أخرى في أي مجال من المجالات التي تحتاج اللغة أو تعتمد عليها .

ذلك أمر يبلغ في رأينا مبلغ الفريضة ، لأن تقريره ليس اجتهاداً منا ، أو دعوى يدعىها أمثالنا حباً للعربية أو حماسة لها واعتزازاً بها ، مع أن الحب والحماسة والاعتزاز لبعض حق هذه اللغة علينا وعلى الأمة جميعاً .

وإنما يرجع الأمر هنا إلى آيات تتلى في كتاب الله تعالى ما دامت السموات والأرض ، وإنها كلسان صدق ينطق بالحق ، بياناً لأن العربية - لغة القرآن - هي اللغة التي اجتباه ربنا تبارك وتعالى ، واصطفها على لغات العالمين .

قال تعالى في مفتاح سورة يوسف : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٣] .
ثم ذكر الآيات التي قدمناها وقال :-

هذه الآيات البينات العظيمات ، تدل - في رأينا - على أمرتين ظاهرتين :

أحدهما: أن العربية هي اللسان المختار للقرآن .

والآخر: أن ذلك الاختيار من عند الله تعالى ، إنه وحي يوحى ، قرآنًا يتلى إلى آخر الزمان .

ومعنى ذلك: أنها لغة الإسلام ولسانه المبين الذي ينبغي أن يكون لسانًا عاماً لجميع المسلمين .

فإن تقررت هذه الحقيقة . وهي ثابتة لا تحتمل مراءً ولا جدلاً . فلن يستطيع المرجفون الذين في قلوبهم مرض أن يردوا شأن العربية ومنتزليتها في الإسلام إلى تعصب النبي ﷺ . حاش الله . للغة قومه ولسان عشيرته ، أو يدعوه على خلفائه الراشدين وأصحابه المهديين رضوان الله عليهم أجمعين .

فها هي آيات القرآن تقول : إن أمر الله تعالى ومشيئته جلت حكمته أن يكون اللسان العربي المبين هو لسان القرآن فهو إذاً لسان الإسلام .

ضرورة العربية لوجود الأمة :

من الحقائق الثابتة أن اللغة من أهم عوامل التوحد والتلاقي بين الأمم والشعوب .

ذلك ، والأمة الإسلامية اليوم أشد ما تكون حاجة إلى جمع كلمتها وتوحيد صفوتها في مواجهة قوى عاتية باغية ، خبيثة ماكرة ، تربص بها ،

وتتظاهرة عليها، وتسعى إلى محوها واستئصال شأفتها واجتناث شجرتها، فلا سبيل أمامها إلا أن تكون أمة واحدة متماسكة، ولن تكون لها هذه الوحيدة كاملة قوية بغير وحدة اللسان.

ولكن لغات المسلمين كثيرة، فعلى أيها تجتمع؟!

إن الجواب بين لا يحتاج إلى بيان، فأحقُّ اللغات بذلك الاجتماع هي اللغة التي لا يُعرفُ الإِسلام حق المعرفة بغير معرفتها، وهي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم الذي شاءت إرادة رب العالمين أن يكون عربياً يُتلَى بالعربية في كل مكان إلى آخر الزمان.

وقد أدرك السلف الصالح العظيم من الأمة هذه الحقيقة، فأقبل جميعهم على لغة القرآن حباً ورغباً، دراسة وبحثاً وتأملاً.

وتتسابق عجم الأمة وعربها في ذلك الميدان، وكان العجم في أحياناً كثيرة من السابقين.

وحسيناً أن نذكر أسماء سيبويه، وأبي علي الفارسي، والبرد والفراء، والكسائي، وابن جني، وعبد القادر الجرجاني، هؤلاء أئمة الأئمة في علوم العربية، وكلهم من أصول أعمجمية لا عربية، ولكنهم نظروا إلى لغة الضاد لا على أنها لغة العرب، بل على أنها لغة الإسلام والمسلمين أجمعين، لأنها لغة القرآن الكريم بأمر الله رب العالمين.

وحين أدركوا هذه الحقيقة بنوا أمَّةً عزيزة منيعة وأسسوا حضارة شامخة باسقة، امتدت لها السيادة الحضارية عدة قرون.

س: كمل الشرف لهذا القرآن الكريم من عدة وجوه، اذكر بعضها.

ج: من هذه الوجوه ما يلي:

١ - إنه مهيمنٌ علىسائر الكتب التي قبله كما قال تعالى: ﴿مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهِيمِنًا عَلَيْهِ﴾.

٢ - كونه نزل على أشرف رسل الله ﷺ.

٣ - كونه نزل بواسطة وسفارة أشرف ملك، وهو جبريل عليه السلام.

٤ - ونزل أيضاً في أشرف شهر، وهو رمضان.

٥ - كونه نزل في أشرف البقاع وهي مكة.

٦ - كونه نزل بأشرف اللغات، وهي لغة العرب.

* * *

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصْصِ﴾ سبب نزول؟

ج: نعم صح للآية الكريمة سبب نزول، وهو ما أخرجه الحاكم^(١) وغيره بسند صحيح عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في قول الله عز وجل: ﴿نَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصْصِ...﴾ الآية قال: نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم فتلا عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا؟ فأنزل الله عز وجل ﴿الرِّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾

^(١) الحاكم (٢٤٥ / ٢) وابن حبان (موارد الظمان - ٤٣٢).

تلا إلى قوله : ﴿نَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْفَصْص﴾ الآية ، فتلا عليهم زماناً . فقالوا : يا رسول الله لو حدثنا ؟ فأنزل الله عزّ وجل : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْجَدِيدِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ الآية كل ذلك يؤمر بالقرآن .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وقال الذهبي : صحيح .

* * *

س: وضح المراد بـ ﴿الْفَصْص﴾ .

ج: أصل القصص تتبع الشيء ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَقَالَتْ لَأُخْتِهِ فُصِّيهِ﴾ أي تبعي أثره ومنه : ﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ يقصان الآثار . ومن العلماء من قال : والحسن في قوله تعالى : ﴿أَحْسَن﴾ يعود إلى القصص لا إلى القصة .

قلت : وعَوْدُ الْحُسْنِ إِلَيْهِمَا معاً أولى .

وقولهم فلان حسن الاقصاص أي : جيد السياقة له .

وقيل : إن «القصص» في معنى الاسم ، فالمعنى : نحن نخبرك بأحسن الأخبار .

* * *

س: بم تمتاز قصة يوسف على غيرها من قصص النبيين عليهم الصلاة والسلام ؟

ج: امتيازها لكونها سيقت كلها بتمامها وكمالها في سورة واحدةٍ من

كتاب الله عز وجل ولم تتفرق في جملة مواطن وسور .
وبكونها تضمنت عبراً وحكاماً ومواعظ أكثر من غيرها ولذلك بدئت
بقوله تعالى : ﴿نَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقُصُصِ﴾ وختمت بقوله تعالى :
﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصْصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ .
وانظر إلى جواب السؤال الآتي .

* * *

س: لماذا أطلق على هذه السورة الكريمة (أحسن القصص)؟
ج: ذكر العلماء في ذلك وجوهاً :
منها ما يلي :

قال بعض العلماء: إن فيها ذكر الأنبياء والصالحين والملائكة والشياطين
والإنس والأنعام والطير وسير الملوك والمماليك والتجار والعلماء والجهال
والرجال والنساء وحيلهم ومكرهن وذكر الحبيب والمحبوب، وحسن
المحاورة والأدب في الخطاب .

وقال آخرون: إن فيها بيان العاقبة الحسنة للصبر والصابرين ، ورفععة
درجات المتقين ، وتبرئة الله للمتهمين المظلومين .

· وقال آخرون: إن السورة الكريمة حوت عبراً ومواعظ وحكاماً لم تحوها
· سورة غيرها .

وفيها أيضاً: كيفية التعامل مع الناس جاهمهم وعالهم وملوكيهم وملوكهم
ورجالهم ونسائهم .

وفيها أيضًا: معجزات باهرات ودلالات للنبوة واضحات، ودعوة للتوحيد ونبذ الشرك والخرافات، والتذكير باليوم الآخر.

وبالجملة؛ فقد اجتمع فيها مالم يجتمع في غيرها، وإن كان في غيرها بعض ما فيها هذا، ومن أهل العلم من قال: إن **«أحسن»** هنا بمعنى: أعجب.

فالمعنى: أعجب القصص.



مراقبة نفوس الناس عند الخطاب

س: نفوس الناس ينبغي أن تُراعي، وقدراتهم ينبغي أن تلاحظ، ووضح ذلك.

ج: إيضاحه: أن الصحابة طلبوا من رسول الله ﷺ أن يحدثهم، وطلبوا منه أن يقص عليهم، كما سلف في سبب نزول الآية الكريمة، فأنزل الله ﷺ **﴿نَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَص﴾**.

وقد قال تعالى: **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾**.

وقال: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمَهُ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾**.

وأخرج البخاري^(١) من حديث علي رضي الله عنه قال: «حدثوا الناس بما يعرفون أن يُذَبَّ الله ورسوله؟!».

وفي «صحيح مسلم» من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: «ما أنت بمحدثٍ قوماً حدثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»^(٢).

وها هو رسولنا ﷺ يخبر بعض أصحابه ببعض أنواع العلوم دون الآخرين؛ ففي «ال الصحيحين»^(٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ - ومعاذ رديفه على الرحل - قال: «يا معاذ» قال: ليك يا رسول

(١) البخاري (حديث ١٢٧).

(٢) رواه مسلم في «المقدمة» من طريق عبد الله بن عبد الله بن عتبة أن عبد الله بن مسعود قال ذكره. (ترتيب محمد فؤاد ص ١١).

قالت: وإننا نهاد منقطع، ومقدمة مسلم ليست على شرط الصحيح.

(٣) البخاري (الحديث ١٢٨)، ومسلم (الحديث ٣٢).

الله وسعديك (ثلاثاً) قال : «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدق من قلبه إلا حرمه الله على النار» قال : يا رسول الله أفلأ أخبر به الناس فيستبشروا ؟ قال : «إذا يتكلوا». وأخبر بها معاذ عند موته تائماً^(١).

فانظر إلى قوله : «إذا يتكلوا» وفي الرواية الأخرى^(٢) «ألا أبشر الناس ؟ قال : «لا، إني أخاف أن يتكلوا»؟.

ونحوه في «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي ﷺ أمر أبا هريرة أن يبشر بذلك الناس فلقيه عمر فدفعه، وقال : ارجع يا أبا هريرة. ودخل على إثره، فقال : يا رسول الله لا تفعل فإني أخشى أن يتكل الناس فخلّهم يعملون فقال : «فخلّهم»^(٣).

* * *

س: قوله تعالى: ﴿أَحْسِنَ الْقَصْصَ﴾ قصص ماذا؟

ج: قصص الأنبياء السابقين، وأخبار من مضى من الأمم، وأنباء ما قد سلف والكتب التي نزلت، إلى غير ذلك مما ذكره الله في كتابه. وقصة يوسف عليه السلام داخلة في المقام الأول في هذه القصص.

* * *

(١) أي : خشية أن يقع في إثم كتمان العلم ، والله أعلم.

(٢) البخاري (الحديث ١٢٩)، ومسلم (الحديث ٣٢) .

(٣) مسلم (الحديث ٦١ / ٣١) .

س: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ غافلين عن ماذا؟

ج: من الغافلين عما أخبر الله به في كتابه الكريم، من الغافلين عن قصص السابقين، وأحوال المتقدمين، ومن الغافلين أيضاً عن أحكام الدين كما قال تعالى: ﴿وَكَذَّلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾.

* * *

س: ما تأويل قوله تعالى: ﴿أَحَدُ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَر﴾؟

ج: أما الكواكب فقد آلت إلى إخوة يوسف (الأحد عشر)، والشمس والقمر فقد آلت إلى (أبيه وأمه).

وهذا هو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبُويهِ عَلَى الْعَوْشِ وَخَرُوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايِّيَّ مِنْ قَبْلِ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾.

* * *

س: لماذا أعيد ذكر الرؤيا في قوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ وقد قال في أول الآية ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾؟

ج: كُرر قوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ للتأكيد.

ومن العلماء من قال مستأنفة لبيان الحالة التي رأهم عليها، فكأن سائلًا سأله فقال: كيف رأيتم؟ فأجاب بقوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ والله تعالى أعلم.

* * *

س: لماذا قال: ﴿ رأيَتُهُم مُّجْرِيًّا لَهُمْ مَجْرِيُ الْعُقَلَاءِ ، وَلَمْ يُقْلِ : رَأَيْتُهُم﴾؟

ج: قال القرطبي رحمه الله: القول عند الخليل وسيبويه أنه لما أخبر عن هذه الأشياء بالطاعة والسجود، وهم من أفعال من يعقل أخبار عنها كما يخبر عمن يعقل، ثم قال: والعرب تجمع ما لا يعقل جمع من يعقل إذا أنزلوه منزلته، وإن كان خارجاً عن الأصل.

قال القاسمي في «محاسن التأويل»: وإنما أجريت مجرى العقلاء في ضميرهم وجمع صفتهم جمعاً سالماً لوصفها بوصفهم وهو السجود.

* * *

س: ما وجه السجود في قوله: ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتُهُمْ لَيْ ساجدين﴾؟

ج: هذا سجود تحيية، وقد كان سائغاً في شرع من قبلنا، ولكنه نسخ في شريعتنا.

أما كونه كان سائغاً في شرع من قبلنا، فقد قال تعالى للملائكة: ﴿ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسُ﴾.

وقال تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبُو يَهُودَةَ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُوا لَهُ سُجْدَةً﴾.

* أما نسخه في شريعتنا: فلقول رسول الله ﷺ: «لو كنتَ آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها^(١) من عظم حقه عليها»^(٢).

(١) صحيح بمجموع طرقه، وقد أخرجه الترمذى (١١٥٩) وابن حبان (موارد الظمان - ١٢٩١)، والبيهقي (٢٩١/٧).

(٢) هذه الرثابة عند ابن حبان والبيهقي، وهي صحيحة أيضاً.

بحث مختصر في الرؤيا وأحكامها

س: اذكر أقسام الرؤيا.

ج: الرؤيا ثلاثة أقسام:

فمنها: رؤيا من الله عز وجل.

ومنها: حلم من الشيطان.

ومنها: حديث للنفس، يشغل الشخص بأمر فينام فيه في نومه.

وقد ورد في هذا الباب حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ^(١): «إذا اقتربَ الرَّمَانَ لَمْ تَكُنْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكَذِّبُهُ، وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا». ورؤيا المسلم جُزءٌ من خمس وأربعين جُزءاً من النبوة، والرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصالحة بُشّرى من الله. ورؤيا تحزين من الشيطان. ورؤيا مما يُحدث المرء نفسه، فإن رأى أحدكم ما يكره فليصلّ، ولا يُحدث بها الناس».

* * *

س: اذكر ما يفعله من رأى رؤيا حسنة، وما يفعله من رأى رؤيا

مزاجة.

ج: الذي يرى رؤيا حسنة يحمد الله عليها ويُحدث بها من يُحب.

أما الذي يرى غير ذلك مما يكره فعليه خمسة أمور:

١ - أن يتبعون بالله من شرها، ومن شر الشيطان.

^(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٢٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

٢ - أن يتفل عن يساره ثلاثة.

٣ - أن لا يحدث بها أحداً.

٤ - أن يتحول عن جنبه الذي كان عليه.

٥ - أن يفزع إلى الصلاة.

وهذا للآتي ذكره:

* أولاً: ما أخرجه البخاري^(١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا رأى أحدكم رؤيا يُحبها فإنما هي من الله، فليحمد الله عليها، وليحدث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنا هي من الشيطان فليستعد من شرّها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره».

* ومنها: ما أخرجه البخاري ومسلم^(٢) من طريق أبي سلمة قال: لقد كنت أرى الرؤيا فتمرضني حتى سمعت أبا قتادة يقول: وأنا كنت أرى الرؤيا تمرضني حتى سمعت النبي ﷺ يقول: «الرؤيا الحسنة من الله، فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب، وإذا رأى ما يكره فليتعود بالله من شرها ومن شر الشيطان، وليتفل ثلاثة ولا يحدث بها أحداً، فإنها لا تضره».

* وأيضاً، فقد تقدم حديث أبي هريرة في ذلك.

* وعند مسلم: من حديث جابر رضي الله عنه^(٣) عن رسول الله ﷺ أنه

(١) البخاري (حديث ٦٩٨٥).

(٢) البخاري (الحديث ٧٠٤٤) ، ومسلم (١٧٧٢) .

(٣) مسلم (١٧٧٦) .

قال لأعرابي جاءه فقال: إني حلمت أن رأسي قُطعَ فأنَا أَتَبِعُهُ، فزجره النبي ﷺ وقال: «لَا تُخْبِرْ بِتَلَعْبِ الشَّيْطَانِ بِكَ فِي النَّاسِ».

* وعند مسلم: في رواية أخرى عن جابر أيضًا قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! رأيت في المنام كأن رأسي ضُرب فتدحرج فاشتدلت على أمره؟ فقال رسول الله ﷺ للأعرابي: «لا تُحدِّث الناس بتلَعْب الشَّيْطَان بِكَ فِي مَنَامِكَ»، وقال: سمعت النبي ﷺ بعد يخطب فقال: «لا يُحَدِّثَنَّ أَحَدُكُمْ بِتَلَعْبِ الشَّيْطَان بِهِ فِي مَنَامِهِ».

• • •

س: اذكر حديثاً يُحذر من الكذب في ادعاء الرؤيا.

ج: ذلك ما أخرجه البخاري^(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «من تحلم بحمل لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين، ولن يفعل. ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون أو يفرون منه صب في أدنه الآنك يوم القيمة. ومن صور صورة عذب وكلف أن ينفع فيها، وليس بنافخ».

وَعِنْ الْبَخْرَىٰ (۲) أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «مَنْ أَفْرَىَ الْفَرَىَ أَنْ يَرَىَ عَيْنَهُ مَا لَمْ تَرَ ».

• 10 •

(١) البخاري (حديث ٤٢٧٠) وقد ورد في سند هذا الحديث خلاف لا أرى له كبير تأثير على المتن، والله أعلم.

(٢) البخاري (٧٠٤٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .
وقوله : (من أفْرَى الْفِرْعَوْنَ) أي : من أعظم الكذب .

س: ما مدى صحة حديث: «الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبّر فإذا عُبرت وقعت»؟

ج: لم أقف لهذا الحديث على طريق صحيح، وكل الطرق التي وقفت عليها لهذا الحديث لم يصح منها طريق.

من هذا: ما أخرجه أَحْمَد^(١) وأبو داود والترمذى وابن ماجه والدارمى وغيرهم من طريق يعلى بن عطاء عن وكيع بن عدس عن عمّه أبي رزين قال: قال رسول الله ﷺ: «الرؤيا على رجل طائر ما لم تُعبّر فإذا عُبرت وقعت» قال وأحسبه قال: «ولا تقصها إلا على واد أو ذي رأي».

وفي هذا السند وكيع بن عدس وهو مجهول.

وللحديث طرق لا تخلو من مقال، منها : ما أخرجه الحاكم في «المستدرك»^(٢) من طريق معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس مرفوعاً بنحوه . ورواية معمر عن أيوب فيها كلام .

وأخرج ابن ماجه الحديث مختصرًا أيضًا من طريق يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعاً.

ويزيد الرقاشي ضعيف.

وثمَّ طرقُ أُخْرٍ لِهذا الحديث أوردها الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح

(١) الحديث أخرجه أَحْمَد «المستدرك» (٤/ ١٠) وأبو داود (٥٠٢٠) واللفظ له والترمذى (٢٢٧٨)، (٢٢٧٩)، وقال: هذا حديث صحيح، وابن ماجه (٣٩١٤)، والدارمى (١٢٦/٢).

(٢) الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٩١) وقال الحاكم: هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخر جاه، وقال الذهبي: صحيح.

الباري»^(١) وفي كل منها مقال، إلا أن الحافظ حسن بعضها، ولا أراها ترقى للحسن. والله تعالى أعلم.

ومن ثم فقد بَوَّب البخاري على عادته في مثل هذه الأحوال (معلقاً الترجمة) فقال: باب من لم ير الرؤيا لأول عابر إذا لم يُصب، وأورد حديثاً في هذا الباب:

وهو حديث ابن عباس رضي الله عنهم^(٢) أنه كان يحدث: أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: إني رأيت الليلة في المنام ظلة تنطف السمن والعسل، فأرأى الناس يتکففون منها: فالمستكثرون المستقل، وإذا سبب واصل من الأرض إلى السماء، فأراك أخذت به فعلوت. ثم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع ثم وصل. فقال أبو بكر: يا رسول الله. بأبي أنت - والله لتدعني فأعبرها، فقال ﷺ له: «اعبرها». قال: أما الظلة فالإسلام، وأما الذي ينطف من العسل والسمن فالقرآن حلاوته تنطف، فالمستكثرون القرآن والمستقلون. وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض الحقُّ الذي أنت عليه تأخذُ به فِيْعَلِيكَ الله. ثم يأخذ به رجلٌ فيعملُ به، ثم يأخذُ به رجلٌ آخر فيعملُ به، ثم يأخذ به رجلٌ فينقطع به، ثم يوصل له فيعملُ به. فأخبرني يا رسول الله - بأبي أنت - أصبتُ أم أخطأت؟ قال النبي ﷺ: «أصبتَ بعضًا وأخطأتَ بعضًا»، قال: فوالله يا رسول الله لتحدثنِي بالذِّي أخطأت. قال: «لا تقسم».

* * *

(١) انظر: «فتح الباري» (٤٣٢ / ١٢) شرح حديث (٧٠٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٧٠٤٦)، ومسلم (حديث ٢٢٦٩).

س: الرؤيا لا ينبغي أن تقص إلا على عالم مشفق عليك أو ناصح لك، دلل على ذلك.

ج: ورد في هذا الباب بأسانيد تصح بمجموعها ما أخرجه الترمذى والدارمى^(١) وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول: «لا تقصوا الرؤيا إلا على عالم أو ناصح».

وقد ورد هذا الحديث أيضاً في ثنایا الحديث السابق أيضاً.

ويشهد لمعناه قول يعقوب عليه السلام: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُعْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾.

* * *

س: وردت عدة أحاديث في الرؤيا الصالحة وأنها جزء من سبعين جزءاً من النبوة ، وأحاديث في أنها جزء من ستة وأربعين جزءاً، إلى غير ذلك. فكيف تجمع بين ذلك كله؟

ج: قال القرطبي رحمه الله:

الصحيح منها حديث الستة والأربعين ، ويتلوه في الصحة حديث السبعين ؛ ولم يخرج مسلم في « صحيحه » غير هذين الحديثين ، أما سائرها فمن أحاديث الشيوخ ؛ قاله ابن بطال . قال أبو عبد الله المازري : والأكثر والأصح عند أهل الحديث (من ستة وأربعين).

(١) الترمذى (الحديث ٢٢٨٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح . والدارمى (٢ / ١٢٦).

قلت: وأخشى أن يكون هذا الحديث أدرج على متن حديث آخر ؛ فقد أخرج الترمذى هذا اللفظ عقب حديث الرؤيا ثلاثة وقال عقبه: (وكان يقول: «لا تقص الرؤيا إلا على عالم أو

قال الطبرى : والصواب أن يقال : إن عامة هذه الأحاديث أو أكثرها صحاح ، ولكل حديث منها مخرج معقول ؛ فاما قوله : «إنها جزء من سبعين جزءاً من النبوة» فإن ذلك قول عام في كل رؤيا صالحة صادقة ، ولكل مسلم رأها في منامه على أي أحواله كان ؛ وأما قوله : «إنها من أربعين - أو : ستة وأربعين» فإنه يريد بذلك من كان صاحبها بالحال التي ذكرت عن الصديق رضي الله عنه أنه كان بها ؛ فمن كان من أهل إسباغ الوضوء في السَّبَرَاتِ ، والصبر في الله على المكرورهات ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فرؤياه الصالحة - إن شاء الله - جزء من أربعين جزءاً من النبوة ، ومن كانت حاله في ذاته بين ذلك فرؤياه الصادقة بين جزءين ؛ ما بين الأربعين إلى الستين ، لا تنقص عن سبعين ، وتزيد على الأربعين ؛ وإلى هذا المعنى أشار أبو عمر ابن عبد البر فقال : اختلاف الآثار في هذا الباب في عدد أجزاء الرؤيا ليس ذلك عندي اختلاف متضاد متدافع - والله أعلم - لأنه يحتمل أن تكون الرؤيا الصالحة من بعض من يراها على حسب ما يكون من صدق الحديث ، وأداء الأمانة ، والدين المبين ، وحسن اليقين ؛ فعلى قدر اختلاف الناس فيما وصفنا تكون الرؤيا منهم على الأجزاء المختلفة العدد ؛ فمن خلصت نيته في عبادة ربه ويقينه وصدق حديثه كانت رؤياه أصدق ، وإلى النبوة أقرب : كما أن الأنبياء يتفضلون ؛ قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا

ناصح». لكن أخرج الدارمي الحديث مستقلأً مقتضراً على : «لا تoccus الرؤيا إلا على عالم أو ناصح» مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ . وهذا قد يطمئن إلى حد ما لكن الذي يُعكر أن مسلماً رحمه الله أخرج الحديث بدون زيادة «لا تoccus الرؤيا إلا على عالم أو ناصح» فيبدو مما أورده مسلم أن هذه اللفظة مدرجة أما الذي عولنا عليه في تصحيحنا لمعنى الحديث كثرة طرقه وشواهده مع ما أشارت إليه الآية الكريمة ، والله أعلم.

بعض النَّبِيِّنَ عَلَى بَعْضٍ ﴿٥٥﴾ [الإسراء: ٥٥] أهـ.

* * *

س: هل رؤيا الكفار التي تتحقق تُعد من النبوة؟

ج: ليس كل ما يتحقق من رؤيا الكفار يُعد من النبوة، إذ ليس كل من صدق في خبر يكون خبره هذا من النبوة.

* * *

س: قد يتأخر تحقق الرؤيا عدة سنوات، وضح ما يدل على ذلك؟

ج: إيضاحه أن يوسف عليه السلام رأى رؤياه وهو صغير وتحققت بعد سنوات طويلة مكثها في بيت العزيز وهو عبد مسترق، وسنوات مكثها في السجن، ثم سبع سنوات سمان مكثها وهو عزيز لمصر، ثم دخلت عليه السنون العجاف فأتاه أبوه وإخوته فيها.

ورؤيا رسول الله ﷺ التي ذكرها الله في كتابه الكريم بقوله: **﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولُهُ الرُّؤْيَا بِالْحُقْقِ لَتَدْخُلُنَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَمْنِينَ مُحَلَّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمَقْصِرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾** قد تحققت بعد زمن من رؤية النبي ﷺ لها^(١)

* * *

(١) فعند البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢) من حديث المسور بن مخرمة ومروان في قصة صلح الحديبية أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: فأتيت النبي ﷺ فقلت: ألسنت نبي الله حقاً؟ قال: «بلى» قلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى».. فذكر الحديث وفيه: أوليس كنت تحدثنا أنا سنتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلى»، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟ قال: قلت: لا، قال: «فإنك آتىه ومطوف به».

س: اذكر بعض ما يتعلق بإظهار النعم وإخفائها من الفقه.

ج: إذا كان الشخص لا يخشى حسد الحاسدين وكيد الكائدين فينبغي حينئذ أن يحدث بنعم الله عليه لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدَثَتْ﴾ وأما إذا خشي حسد الحاسدين وكيد الكائدين فلا يحدثهم بنعم الله عليه، لقوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْرَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥].

وينبغي - والحالة هذه - أن يحدث فقط من يحبهم ويحبونه، لقول النبي ﷺ: «إذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب»^(١).

* * *

س: هل يجوز التحذير من شخصٍ بعينه؟ دلل على ذلك.

ج: نعم يجوز التحذير من شخصٍ بعينه، فـ«الدين النصيحة»^(٢) كما قال النبي ﷺ، وأيضاً قد حذر يعقوبُ ولده يوسف عليهما السلام فقال: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْرَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾.

وكذلك قال النبي ﷺ لعائشة في شأن رجلٍ مقبلٍ عليه: «بئس أخو العشير»^(٣). وكذلك ففي صلح الحديبية قال النبي ﷺ: لما أشرف عليهم رجلٌ يقال له: مكرزُ بن حفصٍ. فقال عليه الصلاة والسلام: «هذا مكرزٌ وهو رجلٌ فاجر...»^(٤) الحديث.

(١) البخاري (حديث ٧٠٤٤)، ومسلم (الحديث ٥٥). (٢) أخرجه مسلم (الحديث ١٧٧٢).

(٣) البخاري (٦١٣١)، ومسلم (٢٥٩١) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً.

(٤) البخاري (الحديث ٢٧٣١، ٢٧٣٢).

س: المختار والمصطفى من اختاره الله واصطفاه، دلل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ .

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ .

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيرَةُ﴾ .

* * *

س: المعلم من عَلَمَهُ اللَّهُ، دلل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ .

* قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلِمْتَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ .

* قوله تعالى: ﴿وَقَلَ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ .

* ودعا النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما فقال له: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»^(١).

* وقال موسى للخضر: ﴿هَلْ أَتَبْعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعْلَمَنِ مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا﴾ .

* وقال تعالى في شأن داود عليه السلام: ﴿وَعَلِمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ وقال أيضاً: ﴿وَعَلَمَنَا صَنْعَةً لِبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنُكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ .

(١) الحديث بهذا اللفظ عند الإمام أحمد في «مسند» (١/٣٢٨) وفي «فضائل الصحابة» له (١٨٥٨) ولزيده من التخريج، ومراجعة الألفاظ، انظر كتابي «الصحيح المسند من فضائل الصحابة».

س: ما المراد بـ «تأویل الأحادیث»؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن المراد بتاویل الأحادیث تعییر الرؤیا، ويدل على هذا الوجه ما يلي:

قوله: ﴿يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾.

وقوله: ﴿تَرْرُعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا ..﴾.

الثاني: معرفة معانی کتب الله وسنن الأنبياء، وما غمض وما اشتبه على الناس من أغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها، وسميت «أحادیث» لأنها يحدث بها عن الله ورسله فيقال: قال الله كذا وقال رسول الله كذا.

* * *

س: ما المراد بإنعام النعمة في قوله تعالى: ﴿وَيُتْمِّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾، وما أعظم نعمة أنعم الله بها على إبراهيم وإسحاق؟

ج: المراد بإنعام النعمة إنعامها بجعله رسولاً وبالإيحاء إليه وبإنجائه من المكروره. أما أعظم نعمة أنعم الله بها على إبراهيم وإسحاق فنعمه النبوة والرسالة.

* * *

س: لماذا عَبَرَ عن إبراهيم وإسحاق بقوله: ﴿أَبُوكَ﴾؟

ج: أولاً: يجوز إطلاق الأب على الجد، وحتى الجد البعيد قال تعالى: ﴿مَلَّةُ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾.

وقال النبي ﷺ: «أنا ابن عبد المطلب»^(١).

ثانياً: عُبر عن إبراهيم وإسحاق بالأبوين للإشارة بكمال ارتباطه بالأنباء الكرام عليهم الصلاة والسلام.

* * *

س: ما وجه ختام الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾؟
ج: وجه ذلك: طمأنة قلوب المؤمنين والإجابة على سؤال السائلين فإن سألت لماذا اختار الله يوسف واجتباه؟

فاجواب: إن ربك عالم أي من يستحق الاجتباء والاختيار. وكما قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حِيثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾.

أما قوله ﴿حَكِيمٌ﴾ فيفعل كل شيء بحكمه، وهو حكيم أيضاً سبحانه وتعالى في تدبيره، فيوضع كل شيء في موضعه فيكرم من هو أهل للإكرام ويحرم من هو أهل للحرمان، وكثير من الآيات المتعلقة بالرزق تختتم بنحو هذا الختام، فقد قال تعالى: ﴿يَهُبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهُبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزْوِجُهُمْ ذُكْرًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ فَدِيرٌ﴾^(٤٩).

فإن سألت لماذا رزق هذا بالبنين، ورزق هذا بالبنات؟

فجوابك: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ﴾ أي: من خلقه؛ إذ رزقهم وأعطاهم.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٤٣١٥) ومسلم (حدث ١٧٧٦) من حديث البراء رضي الله عنه مرفوعاً.

لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْرَجَتْهُ
أَيَّتُ لِلْسَّابِلِينَ ٧ إِذْ قَالُوا يُوسُفُ وَأَخْوَهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا
أَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لِفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٨

س: وضح معنى ما يلي:

آياتٌ - عصبةٌ - ضلالٌ مبين - اطروحه أرضاً - يخل لكم وجه أبيكم - غيابه الجُبُّ - السيارة - إنْ كتمن فاعلين - ناصحون - يرتع - حافظون - ليحزنني - أجمعوا - لتبئنهم - عشاءً - متابعاً - بمؤمنٍ لنا - دم كذب - سولت - صبرٌ جميل - المستعان:

: ج :

الكلمة	معناها
آيات	غيرٌ وعظاتٌ ودللات.
عصبةٌ	جماعة (قيل من الواحد إلى العشرة، وقيل غير ذلك)، الجماعة الذين أمرهم واحد، يتبع بعضهم بعضاً، ويتعصب بعضهم لبعض.
ضلالٌ مبين	خطأً بينَ واضح (لإثارة يوسف علينا).
اطروحه أرضاً	القوه في أرض من الأراضي (البعيدة).
يخل لكم وجه	يتفرغ لكم أبوكم، ويقبل عليكم بوجهه
أبيكم	فيحبكم وتحبونه (فإن حب يوسف قد شغله عنكم)، يخلص ويصفو لكم وجه أبيكم.
غيابه الجُبُّ	الغياب كلُّ شيءٍ غيب عنك شيئاً، ولذا

قيل للقبر غيابة ، فالغيابة موضع يغيب الشخص عن الأ بصار . وغيابة الجب : أسفل البئر ، وما غاب من الجب .

وقيل أيضاً : إن الجب هي البئر التي لم تطُو ، أي التي لم تُطن حافتها بالأحجار .

الرفقة من الناس الذي يسرون مع بعضهم (مسافرين) .

إن كتم عاملين بما أشرت عليكم به .
نحب الخير له وندله عليه ، ونكره له الشر
ونحذره منه

يرتع (بالتسكين) : يتحرك كيف يشاء ، و يتسع في الخصب ، ويُسعى ويأكل ويشرب .
ويرتع (بالكسر) : من الرعي ، أن يتدرّب على رعي الغنم .

حافظه ونرعاه ونحو طه ونمنعه من السوء .
ليحزنني في الحزن ، الذي هو ألم النفس .
أتفقت كلمتهم .
لتخبرنهم .

بعد غروب الشمس .
ثيابنا وأمتعتنا .

السيارة

إن كتم فاعلين
ناصحون

يرتع

حافظون

ليحزنني

أجمعوا

لتبئنهم

عشاءً

متاعنا

بِمَؤْمَنٍ لَنَا	دَمٌ كَذَبٌ
بِمَصْدَقٍ لَنَا .	
دَمٌ مَكْذُوبٌ مُفْتَرٌ (قال البعض : إنهم عملوا	
إِلَى شَاءٍ فَذَبَحُوهَا وَلَطَخُوا بِدُمِّهَا قَمِيصَ يُوسُفَ	
عَلَيْهِ السَّلَامُ) .	
حَسَنَتْ - زَيَّنَتْ .	سَوَّلَتْ
صَبَرٌ لَا شَكُورٌ مَعَهُ - صَبَرٌ سَالِمٌ مِنَ التَّسْخَطِ	صَبَرٌ جَمِيلٌ
وَالشَّكُورُ لِلْخَلْقِ .	
الَّذِي يُطْلَبُ مِنْهُ الْعُونُ .	الْمُسْتَعْنَانُ

* * *

س: هل إخوة يوسف كانوا أنبياء؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أنهم أنبياء مستدلين بقوله تعالى: ﴿ قُولُوا آمَنَا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ﴾ .

فقالوا إن أبناء يعقوب هم الأسباط، فلما ذكر الله أنه أوحى إليهم دلّ ذلك على نبوتهم.

بينما ذهب آخرون من العلماء إلى أنهم ليسوا بأنبياء.

فقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

واعلم أنه لم يقم دليل على نبوة إخوة يوسف، وظاهر هذا السياق يدل على خلاف ذلك، ومن الناس من يزعم أنهم أوحى إليهم بعد ذلك، وفي هذا نظر، ويحتاج مدعى ذلك إلى دليل، ولم يذكروا سوى قوله تعالى: ﴿ قُولُوا آمَنَا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ﴾ . وهذا فيه احتمال؛ لأن بطون بنى إسرائيل يقال لهم: الأسباط، كما يقال للعرب قبائل، وللعام شعوب، يذكر تعالى أنه أوحى إلى الأنبياء من أسباط بنى إسرائيل، فذكرهم إجمالاً؛ لأنهم كثيرون، ولكن كل سبط من نسل رجل من إخوة يوسف، ولم يقم دليل على أعيان هؤلاء أنهم أوحى إليهم، والله أعلم.

وقال القرطبي رحمه الله:

وفي هذا ما يدل على أن إخوة يوسف ما كانوا أنبياء لا أولاً ولا آخرًا؛ لأن الأنبياء لا يدبرون في قتل مسلم، بل كانوا مسلمين، فارتکبوا معصية

ثم تابوا . وقيل : كانوا أنبياء ، ولا يستحيل في العقل زلة نبي ، فكانت هذه زلة منهم ؛ وهذا يرده أن الأنبياء معصومون من الكبائر على ما قدّمناه . وقيل : ما كانوا في ذلك الوقت أنبياء ثم نبأهم الله ؛ وهذا أشبه ، والله أعلم .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ آيَاتٌ لِّسَائِلِنَّ﴾ سائلون عن ماذا ؟

ج : سائلون عن خبر يوسف ﷺ ، وسائلون عن القصص بصفة عامة .

* * *

س : ما موقع اللام في قولهم : (ليوسف) ؟

ج : قال القرطبي رحمه الله :

إن اللام هنا للتأكيد ، وهي التي يتلقى بها القسم ، فالمعنى : والله ليوسف .

* * *

س : من أخو يوسف ؟

ج : لم يرد اسمه في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ فيما اطلعت عليه ولكن ذهب جمهور المفسرين إلى أنه «بنيامين» .

* * *

س : هل يحسد المؤمن ؟

ج : نعم قد يحسد المؤمن ، فها هم إخوة يوسف ﷺ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبيينا منا ونحن عصبة ﴿﴾ (١) فحسدوا يوسف وأخاه على محبة أبيهما

(١) ولمزيد انظر : «تفسير سورة الفلق» من كتابنا «التسهيل» جزء عم .

لهمـا . وألفت النظر هنا إلى هذا الكلام الطيب النافع الذي ذكره القاسمي في «محاسن التأويل» لعل متعظاً أن يتعظ ومتبرأً أن يعتبر وحاسداً أن يقلع عن حسده ، ونفسـاً أمارة بالسوء تحول إلى نفسـ لوامة ، بل إلى نفسـ مطمئنة راضية بقضاء الله وقانعة بعطـاء الله .

قال القاسمي رحمـه الله :

ثم تأمل في قصة الإخوة وحديث القميص والجحبـ والذئب والدم ، لتعلم ما نشاهـد كل يومـ من معادـة الأقران لـمن ظهرـت مبادـىء الجمال النفـسي ، والخلق المرضـي ، والجلال الظـاهر على ملامـحـه ، فيعيـبونـه بما يـشـينـه في نفـسه أو عـرضـه أو خـلقـه ، دلـالة علىـ أن هـذه سـنة فيـ الكـون لا تـغـادرـ نـبيـا ولا حـكـيمـا ولا عـالـما مـهما حـسـنتـ أخـلاقـه ، وجـملـ ظـاهـرـه وبـاطـنه . . . !

كل العـدواـت قد تـرجـي إـزـالتـها إلا عـدواـة من عـادـاكـ من حـمـدـ

جرـتـ تلكـ السـنةـ فيـ الأنـاسـيـ : فإذا صـبرـ الصـالـحـ فـازـ بالـولـاـيـةـ عـلـيـهـ ، وأـحـبـوهـ بـعـدـ العـدواـةـ وـلـوـ بـعـدـ حـينـ ، وـعـادـوـاـ منـ آذـاهـ ثـمـ انـظـرـ فيـ حـدـيـثـ قـصـةـ اـمـرـأـ الـعـزـيزـ ، وـكـيـفـ عـفـ معـ الشـيـابـ؟! وـكـيـفـ سـاسـ نـفـسـهـ وـصـدـقـ ظـنـ مـوـلـاهـ فيـ الـآـمـانـةـ ؛ وـأـرـضـىـ إـلـهـ ، وـاتـسـمـ بـالـفـضـيـلـةـ ، فـتـوـازـ جـمـالـ الـبـاطـنـيـ وـالـظـاهـريـ . . . !

* * *

سـ: هل يـلـامـ الشـخـصـ عـلـىـ مـحـبـتـهـ لـبعـضـ أـبـنـائـهـ دـوـنـ بـعـضـ أـوـ بـعـضـ النـاسـ دـوـنـ بـعـضـ؟

جـ: لا يـلـامـ الشـخـصـ عـلـىـ ذـلـكـ ، إـذـ الـمحـبـةـ مـنـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ فـهـوـ

الذي يلقيها في قلوب العباد.

أخرج البخاري^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا أحب الله عبداً نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحبه. فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه. فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض».

وفي لفظ مسلم^(٢): «إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً فأحبه» قال: «فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه. فيحبه أهل السماء» قال: «ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغضه» قال: «فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه» قال: «فيبغضونه ثم توضع له البغضاء في الأرض».

ولفظ الترمذى^(٣): «إذا أحب الله عبداً نادى جبريل إني قد أحبت فلاناً فأحبه» قال: «فينادي في السماء، ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض فذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ اللَّهُ الرَّحْمَنُ وُدًا﴾، وإذا أبغض الله عبداً نادى جبريل: إني أبغضت فلاناً. فينادي في السماء، ثم تنزل له البغضاء في الأرض».

هذا وقد أخرج مسلم. عقب هذا الحديث - بإسناده إلى سهيل بن أبي صالح قال: كنا بعرفة فمرّ عمر بن عبد العزيز وهو على الموسم فقام الناس

(١) البخاري (حديث ٦٠٤٠).

(٢) مسلم (٢٦٣٧).

(٣) الترمذى (حديث ٣١٦١) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ينظرون إليه فقلت لأبي : يا أبتي إني أرى الله يحب عمر بن عبد العزيز ، قال : وما ذاك ؟ قلت : ماله من الحب في قلوب الناس ، فقال : بأييك ! أنت سمعت أبو هريرة يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم . . . ثم ذكر بمثل حديث جرير عن سهيل .

هذا ، وقد قال الله تبارك وتعالى لنبيه موسى عليه السلام : ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَاجَةً مِّنِي وَلَنْ تُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ .

وقال نبينا محمد صلوات الله عليه وسلم في شأن أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها : «إنني قد رزقت حبها» ^(١) .

وفي «الصحيحين» ^(٢) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي صلوات الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل فأتيته فقلت أي الناس أحب إليك ؟ قال : «عائشة» فقلت : من الرجال ؟ قال : «أبوها». قلت : ثم من ؟ قال : «عمر بن الخطاب» فعد رجالاً.

وقد أخرج ^(٣) أبو داود . بإسناد فيه علة . من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلوات الله عليه وسلم يقسم فيعدل ويقول : «اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك» قال أبو داود : يعني القلب .

* * *

(١) مسلم ص (١٨٨٨).

(٢) البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

(٣) أبو داود (٢١٣٤) وقد أشرت إلى إعلاله وبيان سبب الإعلال في كتابي «جامع أحكام النساء» (٣/٥٠٣ - ٥٠٤).

س : ما مرادهم بالضلال إذ قالوا: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾؟

ج : مرادهم بالضلال هنا هو الذهاب عن العلم بحقيقة الأمر ، وليس المراد الضلال في الدين إذ لو أرادوا أن أباهم في ضلال في دينه لکفروا بذلك .

وبنحو هذا قال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان»؛ فقال رحمه الله :

الظاهر أن مراد أولاد يعقوب بهذا الضلال الذي وصفوا به أباهم - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام في هذه الآية الكريمة - إنما هو الذهاب عن علم حقيقة الأمر كما ينبغي .

ويدل لهذا ورود الضلال بهذا المعنى في القرآن وفي كلام العرب ، فمنه بهذا المعنى قوله تعالى عنهم مخاطبين أباهم : ﴿قَالُوا تَالَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ كَلِمَيْمَ﴾ وقوله تعالى في نبينا ﷺ : ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًاً فَهَدَى﴾ أي لست عالماً بهذه العلوم التي لا تعرف إلا بالوحى ، فهداك إليها وعلمكها بما أوحى إليك من هذا القرآن العظيم . ومنه بهذا المعنى قول الشاعر :

وتظن سلمى أبني أبيها بدلاً أراها في الضلال تهيم

يعني : أنها غير عالمة بالحقيقة في ظنها أنه يبغى بها بدلاً وهو لا يبغى بها بدلاً .

وليس مراد أولاد يعقوب الضلال في الدين ، إذ لو أراد ذلك لكانوا كفاراً ، وإنما مرادهم أن أباهم في زعمهم في ذهاب عن إدراك الحقيقة وإنزال الأمر منزلته اللائقة به ، حيث آثر اثنين على عشرة ، مع أن العشرة أكثر نفعاً

له وأقدر على القيام بشئونه وتدبير أموره .

س: اذكر بعض المعاني الأخرى التي يطلق عليها الضلال .

ج: قال الشنقيطي رحمة الله في «أصوات البيان»^(١) بعد ذكره ما تقدم من الكلام الذي نقلناه عنه :

واعلم أن الضلال أطلق في القرآن إطلاقين آخرين :

أحدهما: الضلال في الدين ، أي الذهاب عن طريق الحق التي جاءت بها الرسل صلوات الله عليهم وسلم ، وهذا أشهر معانيه في القرآن ؛ ومنه بهذا المعنى ﴿غَيْرُ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ . قوله: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبْلًا كَثِيرًا﴾ إلى غير ذلك من الآيات .

الثاني: إطلاق الضلال بمعنى ال�لاك والغيبة ، من قول العرب: ضل السمن في الطعام ، إذ غاب فيه وهلك فيه ، ولذلك تسمى العرب الدفن إصلالاً ، لأنه تغيب في الأرض يؤول إلى استهلاك عظام الميت فيها ، لأنها تصير رميمًا وتختزج بالأرض ، ومنه بهذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَنَّا ضَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية .

ومن إطلاق الضلال على الغيبة: قوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: غاب واضمحل .

ومن إطلاق الضلال على الدفن: قول نابغة ذبيان:

فَآبْ مَضْلُوهُ بَعْنَى جَلِيَةَ وَغُودَرْ بِالْجَوْلَانْ حَزْمَ وَنَائِلَ

فقوله: مضلوه، يعني دافنيه، وقوله: بعين جلية، أي: بخبر يقين. والجولان: جبل دفن عنده المذكور.

ومن الضلال بمعنى الغيبة والاضمحلال قول الأخطل:
كنت القذى في موج أكدر مزبد قذف الآتي به فضل ضلالا
وقول الآخر:

ألم تسأل فتخبرك الديارُ عن الحي المضلل أين ساروا

* * *

س: تفضيل بعض الأبناء على بعض يجلب التحاسد والعداوات بينهم، دليل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك: قول إخوة يوسف: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخْرُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ فوصفو أباهم بالضلال لذلك، ثم اتجهوا إلى التفكير في قتله وإلى إلقائه في غيابة الجب.

ولذلك حد النبي ﷺ على العدل بين الأولاد في الهبات، فعند البخاري ومسلم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: أعطاني أبي عطية فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ: فأتى رسول الله ﷺ فقال: إنني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله. قال: «أعطيت سائر ولدك مثل هذا»؟ قال: لا، قال: «فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»^(١) قال: فرجع فرد عطيته.

* * *

(١) البخاري (٢٥٨٧)، ومسلم (٤/١٤٨ - ١٤٩).

س: من المعلوم أن تفضيل بعض الأولاد على بعض يورث الحقد والحسد فيما بينهم، وقد كان نبي الله يعقوب عليه السلام يعلم ذلك بدليل قوله: ﴿ لَا تَقْصُصْ رَعِيَاكَ عَلَى إِخْرَتِكَ ﴾ فلماذا إذن أقدم على هذا التفضيل؟

ج: التفضيل الذي أقدم عليه يعقوب عليه السلام إنما هو تفضيل في المحبة فقط، والمحبة لا يستطيع الشخص أن يتحكم فيها فأصلها من الله، وقد قدمنا الأدلة على ذلك، ثم إن المحبة في القلب، والله يحول بين المرء وقلبه، فمن ثمَّ فيعقوب عليه السلام معدورٌ فيما أقدم عليه من التفضيل.

* * *

س: لقد اجتمع إخوة يوسف على أمرٍ ذي خطرٍ عظيم، بين ما في هذا الأمر من خطر.

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

قال محمد بن إسحاق بن يسار: لقد اجتمعوا على أمر عظيم من قطيعة الرحم، وعقوق الوالد، وقلة الرأفة بالصغرى الضرع الذي لا ذنب له، وبالكبير الفاني ذي الحق والحرمة والفضل، وخطره عند الله، مع حق الوالد على ولده؛ ليفرقوا بينه وبين أبيه وحبيبه، على كبر سنه، ورقة عظمه، مع مكانه من الله فيمن أحبه طفلاً صغيراً، وبين ابنه على ضعف قوته وصغر سنه، وحاجته إلى لطف والده وسكنونه إليه، يغفر الله لهم وهو أرحم الراحمين، فقد احتملوا أمراً عظيماً.

رواه ابن أبي حاتم من طريق سلمة بن الفضل عنه.

* * *

س: الحسد سبب لكثير من البلايا والحوادث والكوارث، دلّ على ذلك.

ج: نعم، الحسد سبب لكل ذلك بل لأشد من ذلك، فالحسد سبب في الكفر، وما امتنع إبليس من السجود لآدم إذ أمره الله بذلك إلا حسداً منه له.

وكان من أسباب امتناع القرشيين من الإيمان والتصديق برسول الله ﷺ ما ذكره الله في كتابه إذ قال: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ .

وقال الله تبارك وتعالى عن اليهود والنصارى: ﴿ وَدَ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ ﴾ .

وصدر من عبد الله بن أبي ابن سلول الذي صدر بسبب حسده رسول الله ﷺ. والحسد سبب للقتل كذلك، فالذي حمل ابن آدم الأول على قتل أخيه حسده له، إذا قربا قرباناً فتقبّل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال: لا أقتلك.

وها هم إخوة يوسف عليه السلام، حملهم حسدهم له على تقطيع الأرحام وعقوق الوالدين والكذب والافتراء، بل وحملهم على التفكير الجاد في قتلها والتخلص منه.

فجدير بكل شخص مسلم تسرب إليه هذا الداء العضال أن يبادر بالتخلص منه و لا يترك نفسه يحسد من يشاء وكيف يشاء .

س: ما المراد بقولهم: ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾؟

ج: قال السعدي رحمه الله تعالى في «تيسير الكريم الرحمن»: ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي من بعد هذا الصنيع ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ أي توبوا إلى الله وتستغفرونه من بعد ذنبكم، فقدموا العزم على التوبة قبل صدور الذنب منهم تسهيلاً لفعله وإزالة لشناعته، وتنشيطاً من بعضهم البعض . اهـ.

هذا وشم وجه آخر غير الذي ذكره السعدي رحمه الله ، حاصله ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي من بعد زوال يوسف وذهابه وابتعاده عنكم ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ لتفرغكم للعبادة والتوبة وإقبال أبيكم عليكم بوجهه ، والله أعلم.

* * *

س: هل الغاية تُبرر الوسيلة؟ دلّ على ما تقول.

ج: الغاية لا تُبرر الوسيلة في كل الأحوال ، بل الأصل أن الغايات لا تبرر الوسائل فإذا خوّة يوسف عليه السلام أرادوا الصلاح؛ إذ قالوا: ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ ولكنهم سلكوا سبيلاً مذموماً وأرادوا أمراً كبيراً محظياً ، إذ قالوا: ﴿أَفْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرُحُوهُ أَرْضًا﴾ فأرادوا إقبال أبيهم عليهم وأرادوا الصلاح فهذه غايتهم ، ولكن وسيلة لهم إلى ذلك قتل أخيهم أو طرده أرضاً ، وقد اعترفوا بخطئهم إذ قالوا فيما بعد: ﴿قَاتَلَهُ لَقَدْ أَثْرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنَّ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ .
 ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ .

فالغاية هنا لم تبرر الوسيلة ، بل لزاماً أن تكون الغاية صالحة والوسيلة صحيبة كذلك .

فلا تسرق وتصدق بمال مسروق ، ولا تُراب وتصدق بمال الربا .

ولا تأكل أموال اليتامي ظلماً وتصدق بهذه الأموال ، وأيضاً فكما قال

الشاعر :

أَمْنِفَقَةُ الْيَتَامَى مِنْ كَدَّ فَرْجَهَا لَكِ الْوَيْلُ لَا تَزْنِي وَلَا تَنْصَدِقِي

وهناك بعض المواطن التي قد تبرر فيها بعض الغايات بعض الوسائل .

كالكذب للإصلاح ، وإباحة الميالة والدم والخنزير عند الاضطرار ،

وكالتلفظ بكلمة الكفر عند الإكراه ، واختيار أخف الأضرار عند تراحم

المفاسد ، ونحو ذلك ، والله أعلم .

* * *

س: دليل على أن يوسف كان صغيراً عند قذفه في غيابة الجب .

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي :

* قول يعقوب عليه السلام : ﴿ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّئْبُ ﴾ فالذئب يأكل الصغير في الغالب .

* قول الوارد : ﴿ يَا بُشْرَى هَذَا عَلَامٌ ﴾ .

* قول إخوة يوسف : ﴿ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدَّا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ ﴾ .

* قولهم : ﴿ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَاتِ ﴾ والملقط يكون صغيراً .

* * *

مبحثٌ مختصر في أحكام اللقطة

س: إذا وجد شخص لقطةً هل الأولى أن يأخذها أم يتركها؟

ج: للشخص أن يلتقط اللقطة إذا وجدتها ثم يُعرفها إذا كانت تحتاج إلى تعريف «أي إذا كانت لقطة لها شأن فيسير اللقطة معفو عنه».

ولكن هل الأولى أن يلتقط اللقطة أم أن يتركها أفضل؟

فهذا يختلف باختلاف نوع اللقطة ومكان العثور عليها وكذلك الشخص الملتقط، فإذا كانت اللقطة ستختلف إذا تركت في مكانها، أو ستقع في يد شخص غير أمين، فالتقاطها - حينئذ - ثم تعريفها أولى، ومن ثم قال النبي ﷺ في ضالة الغنم: «هي لك أو لأخيك أو للذئب»^(١).

· أما إذا كانت اللقطة لن تتلف ، وهي أيضاً في مكان أمين ويغلب على
الظن أن صاحبها سيأتي لأخذها فتركها في هذه الحال أفضل .

وقد قال النبي ﷺ في ضالة الإبل: «ما لك ولها؟ معها حذاؤها وسقاوئها

(١) البخاري (حديث ٢٤٢٧) ومسلم (١٧٢٢) من حديث زيد بن خالد رضي الله عنه قال: « جاء أعرابي النبي ﷺ فسأله عما يلتقطه فقال: عرّفها سنة، ثم اعرف عفاصها ووكاءها، فإن جاء أحد يخبرك بها وإنما فاستنفقةها. قال: يا رسول الله فضالة الغنم؟ قال: «لك أو لا خيك أو للذئب». قال: ضالة الإبل؟ فتعمّر وجه النبي ﷺ فقال: «مالك ولها؟ معها حذاؤها وسقاوتها، تردد الماء وتتأكل الشجرة ».

والعفاص: هو الوعاء الذي تكون فيه النفقة جلداً كان أو غيره.

والعفاف أيضاً الجلد الذي يكون على رأس القارورة، ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٩٨/٥).

والوكان : الخيط الذى تشد به الصرة وغيرها ، قاله الحافظ .

حتى يأتيها ربها».

هذا، وما يدل على جواز الالتقاط في الجملة ما يلي:

* ما ذكره أخو يوسف لإخوته إذ قال في شأن يوسف عليه السلام: ﴿يَلْقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعْلِمُ﴾.

* حديث زيد بن خالد^(١) رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فسألته عن اللقطة فقال: «اعرف عفاصها ووكاءها ثم عرّفها سنة فإن جاء صاحبها وإلا فشأنك بها» قال فضالة الغنم؟ قال: «هي لك أو لأخيك أو للذئب...» الحديث، وتقدم تخريرجه.

* ما أخرجه البخاري ومسلم^(٢) من طريق سويد بن غفلة قال لقيت أبي بن كعب رضي الله عنه فقال: «أصبت صرّة فيها مائة دينار، فأتيت النبي ﷺ فقال: «عرفها حولاً» فعرفتها حولاً، فلم أجده من يعرفها، ثمأتيه فقال: «عرّفها حولاً» فعرفتها فلم أجده، ثم أتيته ثلثاً فقال: «احفظ وعاءها وعددها ووكاءها، فإن جاء صاحبها وإلا فاستمع بها»، فاستمتعت . فلقيته بعد بمحنة فقال: لا أدري ثلاثة أحوال أو حولاً واحداً.

* وأيضاً في الباب نصوص عامة منها قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالْقَوْمِ﴾.

أما في باب التحذير من التقاطها وعدم تعريفها فقد ورد فيه ما أخرجه مسلم في «صحيحه»: «من آوى ضالة فهو ضال ما لم يُعرفها»^(٣).

(١) تقدم تخريرجه.

(٢) البخاري (٢٤٣٦)، ومسلم (١٧٢٢).

(٣) أخرجه مسلم (حديث ١٧٢٥).

ونصوص عامة أيضاً ؛ منها: قوله عليه الصلاة والسلام: «إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام»^(١).

* * *

س: هل يسير اللقطة كعظمتها في التعريف؟

ج: يسير اللقطة ليس كعظمتها في التعريف، بل يسير اللقطة يُعْنِي عنه فمن وجد شيئاً تافهاً فعرَّفَه سخر الناس منه وقد قال النبي ﷺ في شأن تمرةٍ وجدها: «لولا أني أخاف أن تكون من تمر الصدقة لأكلتها»^(٢) ، فالشاهد أن الرسول لم يُعرف هذه التمرة ويقول: حق من هذه التمرة؟ والله أعلم . واستدل لذلك أيضاً بقصة^(٣) الرجل الذي وجد خشبة في البحر فأخذها لأهله حطباً.

* * *

س: كيف يعرف الشخص أن هذه اللقطة يسيرة أو عظيمة؟

ج: اللقطة يختلف الحكم عليها من ناحية يسرها أو قدرها بحسب المكان والزمان فمن وجد عشرة جنيهات في مدينة كبيرة وسوق كبير فالغالب أن صاحب هذا المبلغ لن يبحث عنه في مثل هذا الجمع الكبير ومن ثم فلا معنى للتعريف، أما من وجد ذلك في قرية صغيرة ومكان محصور وقومٌ فقراء،

(١) البخاري (حديث ٦٧)، ومسلم (حديث ١٢١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٣١) ومسلم (حديث ١٠٧١) من حديث أنس رضي الله عنه قال: مرَّ النبي ﷺ بتمرةٍ في الطريق قال: «لولا أني أخاف ..» الحديث.

وأخرج البخاري (٢٤٣٢) ومسلم (١٠٧٠) نحوه أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجهما البخاري معلقاً (٢٤٣٠).

فالغالب أن صاحب هذا المبلغ سيبحث عنه ، والله أعلم .

* * *

س: ما ووجه الخلاف بين لقطة مكة ولقطة غيرها من البلاد؟

ج: وجه ذلك أن لقطة مكة تحرم عموماً، لا تلتقط إلا للتعریف فقط، ولا تتملك بعد عام، أما سائر أنواع اللقطة فتُعرف لمدة عام، فإذا جاء صاحبها وإلا تملکها الشخص.

هذا ومن العلماء من سوئَ بين لقطة الحرم وغيرها وقال هي سواء، والأول أولى لتشديد النبي ﷺ في لقطة الحرم.

ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه في «الصحيحين»^(١) :

«ما فتح الله على رسوله ﷺ مكة، قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله جلس عن مكة الفيل وسلطَ عليها رسوله والمؤمنين، فإنها لا تحلُ لأحدٍ كان قبلِي، وإنها أحلَّتْ لي ساعة من نهار، وإنها لن تحلُ لأحدٍ من بعدي، فلا ينفرُ صيدها، ولا يختلى شوكها، ولا تحلُ ساقطتها إلا لمنشد..».

* * *

س: ورد في بعض الطرق أن اللقطة تُعرف ثلاثة أعوام، وفي أحاديث أخرى ثابتة أنها تعرف عاماً واحداً، فكيف الجمع بين هذه الروايات؟

ج: أكثر أهل العلم على أن اللقطة إنما تعرف عاماً واحداً، وحملوا الحديث الذي ورد فيه التعريف ثلاثة على أمرٍ :

منها: أن التعريف لم يكن وقع على الوجه الكافي، كما قال الرسول عليه

(١) البخاري (٢٤٣٤) ومسلم (١٣٥٥).

الصلوة والسلام لرجل : «ارجع فصل فإنك لم تصل» .

ووجه ثان: أن رواية التعريف ثلاثة كانت على سبيل الاحتياط الزائد .
ووجه ثالث: أن الراوي الذي روى حديث التعريف ثلاثة شك في ذلك ، وقد تقدم الحديث من طريق سويد بن غفلة وقد أخرجه أيضاً البخاري ومسلم^(١) ، وفيه أن بعض الرواية قال: لا أدرى ثلاثة أحوال أو حولاً واحداً .

وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»^(٢) :

وجمع بعضهم بين حديث أبي هذا وحديث زيد بن خالد الآتي في الباب الذي يليه فإنه لم يختلف عليه في الاقتصار على سنة واحدة فقال: يحمل حديث أبي بن كعب على مزيد الورع عن التصرف في اللقطة والبالغة في التعفف عنها ، وحديث زيد على ما لا بد منه ، أو لاحتياج الأعرابي واستغناء أبي .

قال المنذري: لم يقل أحد من أئمة الفتاوى أن اللقطة تعرف ثلاثة أعوام إلا شيء جاء عن عمر . انتهى

وقد حكاه الماوردي عن شواذ من الفقهاء . وحکى ابن المنذر عن عمر أربعة أقوال: يعرفها ثلاثة أحوال، عاماً واحداً، ثلاثة أشهر، ثلاثة أيام، ويحمل ذلك على عظم اللقطة وحقاراتها . وزاد ابن حزم عن عمر قوله خامساً وهو أربعة أشهر . وجزم ابن حزم وابن الجوزي بأن هذه الزيادة غلط . قال: والذى يظهر أن سلمة أخطأ فيها ثم ثبت واستذكر واستمر على

(١) البخاري (حديث ٢٤٣٧) ومسلم (١٧٢٣) .

(٢) «فتح» (٥/٩٥-٩٦) .

عام واحد، ولا يؤخذ إلا بما لم يشك فيه راويه.

وقال ابن الجوزي : يحتمل أن يكون عَنْهُ عِرْفٌ أن تعريفها لم يقع على الوجه الذي ينبغي ، فأمر أبِي بِإِعْدَادِ التَّعْرِيفِ كما قال للمسيء صلاتة : «ارجع فصل فإنك لم تصل» انتهى .

ولا يخفى بعد هذا على مثل أُبَيٍّ مع كونه من فقهاء الصحابة وفضلاهم . وقد حكى صاحب «الهداية» من الحنفية رواية عندهم أن الأمر في التعريف مفوض لأمر الملتقط ، فعليه أن يعرفها إلى أن يغلب على ظنه أن صاحبها لا يطلبها بعد ذلك . والله أعلم .

* * *

س: إذا لم يوجد صاحب اللقطة أو الضالة بعد سنة هل للملتقط أن يأخذها لنفسه؟

ج: نعم لمن التقاطها أن يأخذها إذ عرفها لمدة سنة ولم يأت صاحبها؛ وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم من حديث زيد بن خالد ، وقد تقدم وفيه : «... ثم عرَّفَهَا سَنَةً فَإِنْ جَاءَ صَاحْبَهَا وَإِلَّا فَشَأْنَكَ بِهَا»^(١) الحديث .

وإلى هذا ذهب البخاري حيث بَوَّبَ بباب : إذا لم يوجد صاحب اللقطة بعد سنة فهي لمن وجدتها .

* * *

س: إذا جاء صاحبها بعد سنة هل يُعطِّها أم لا؟

ج: ذهب جمهور العلماء إلى أنها تُرد إلى صاحبها إذا جاء ولو بعد عام ،

(١) اللفظة عند البخاري أيضاً في حديث (٢٤٢٩).

وأن ذلك واجبٌ إذا كانت العين موجودة.

أما إذا كانت استهلكت فيدفع بدلها لصاحبها أيضاً. نقل ذلك الحافظ ابن حجر عنهم.

وخالف البعض فيما إذا استهلكت وقالوا لا يضمن شيئاً، والله أعلم^(١).

* * *

س: لماذا لم يقولوا (إن شاء الله) عقب قولهم: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾؟
ج: ذلك لأنهم أضمرروا الشر، ومريد الشر يعمى عن كلمات الخير.
والله أعلم.

* * *

(١) ولمزيد بحث انظر «فتح الباري» (٥/١٠٢، ١٠٩).

لعب الصبيان

س: اذكر بعض ما يدل على جواز لعب الصبيان.

ج: من ذلك ما يلي:

* ما أخرجه البخاري ومسلم^(١) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: قالت: كان الحبشي يلعبون فسترنى رسول الله ﷺ وأنا أنظر، فما زلت أنظر حتى كنت أنا أنصرف، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريرة على اللهو.

* وفي رواية بإسناد صحيح عند النسائي في «السنن الكبرى»^(٢) عن عائشة قالت: دخل الحبشة المسجد يلعبون فقال لي: «يا حميراء، أتحبين أن تنظر إلى إلهم؟» فقلت: نعم، فقام بالباب وجئته فوضعت ذقني على عاتقه فأسندت وجهي إلى خده، قالت: ومن قولهم يومئذ: أبا القاسم طيباً^(٣)، فقال رسول الله ﷺ: «حسبك؟!»^(٤) فقلت: يا رسول الله لا تعجل، فقام ثم قال: «حسبك؟!» فقلت: لا تعجل يا رسول الله. قالت: وما لي حبُّ النظر إليهم، ولكني أحببت أن يبلغ النساء مقامه لي ومكانني منه^(٥).

(١) البخاري (حديث ٥١٩٠) ومسلم (حديث ٨٩٢).

(٢) النسائي في «السنن الكبرى» (الحديث ٨٩٥١ / ١) وقد صلح الحافظ ابن حجر رحمة الله إسناد هذه الرواية في «فتح الباري» (٤٤٤ / ٢).

(٣) أي: من الأغاني التي يغنوون بها.

(٤) حسبك أي: هل يكفيك؟

(٥) أي: يعرف النساء (تعني أزواجه) منزلتي عند رسول الله ﷺ.

* وفي رواية ياسناد حسن عن عائشة رضي الله عنها عند النسائي في «السنن الكبرى» : قالت : لعبت الحبشة فجئت من ورائه ﷺ فجعل يطأطيء ظهره حتى أنظر^(١) .

* وأخرج الإمام أحمد في «المسندي»^(٢) ، والنسائي في «السنن الكبرى» وغيرهما بسند صحيح ، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن ، فقال للناس : «تقدموا» فتقدموا ثم قال لي : «تعالي حتى أسابقك» فسابقته فسبقته ، فسكت عنى حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت خرجت معه في بعض أسفاره فقال للناس : «تقدموا» فتقدموا ثم قال : «تعالي حتى أسابقك» فسابقته فسبقني فجعل يضحك وهو يقول : «هذه بتلك» .

* وأخرج البخاري ومسلم^(٣) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كنت ألعب بالبنات^(٤) عند النبي ﷺ وكان لي صاحب يلعن معي ، فكان

(١) النسائي «السنن الكبرى» (٥/٣٠٨) .

(٢) أحمد في «المسندي» (٦/٢٦٤) والنمساني في «السنن الكبرى» (٥/٣٠٤) .

(٣) البخاري «مع الفتح» (١٠/٥٢٦) ومسلم (مع النووي) (٥/٢٩٥) .

(٤) البنات هي اللعب التي يلعب بها الفتيات الصغيرات ، وتكون هذه البنات على شكل عرائس ونحوها قال النووي : قال القاضي : فيه جواز اللعب بهن ، قال : وهن مخصوصات من الصور المنهي عنها لهذا الحديث ، ولما فيه من تدريب النساء في صغرهن لأمر أنفسهن وبيوتهن وأولادهن ، وقد أجاز العلماء بيعهن وشراءهن . . ثم قال : ومنذهب جمهور العلماء جواز اللعب بهن .

وقال الحافظ ابن حجر «فتح الباري» (١٠/٥٢٧) : واستدل بهذا الحديث على جواز اتخاذ صور البنات واللعب من أجل لعب البنات بهن ، وخص ذلك من عموم النهي عن اتخاذ =

رسول الله ﷺ إذا دخل ينقمعن^(١) منه فُيُسرِّبُهُنَّ^(٢) إلىَّ فيلعبن معِي .

* وقد استدل جمهور العلماء بهذا الحديث على جواز لعب البنات الصغيرات بالبنات (أي باللعب بالصغيرة التي على شكل العرائس ونحوها). وانظر ما قاله الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» في ذلك .

* وقد قال إخوة يوسف عليه السلام لأبيهم : ﴿أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدَّاً يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ﴾ [يوسف: ١٢] ، فما أنكر أبوهم لعب يوسف ﷺ ، وإنما أبدى مخاوفه بقوله : ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذَهَّبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلُهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ [يوسف: ١٣] .

* وأخرج البخاري ومسلم^(٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : إنَّ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لِيَخَالِطُنَا حَتَّى يَقُولَ لِأَخْ لَيْ صَغِيرٍ : «يَا أَبَا عَمِيرَ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟»^(٤) .

* وفي رواية لأحمد^(٥) من طريق حميد بن أنس قال : كان لأبي طلحة ابن يقال له أبو عمير وكان النبي ﷺ يضاوه قال فرأه حزيناً فقال : يا أبا

الصور ، وبه جزم عياض ونقله عن الجمهور .

ونقل الحافظ ابن حجر رحمه الله جملة أقوال في ذلك .

(١) ينقمعن : أي : يختفين .

(٢) يُسرِّبُهُنَّ : يرسلهن .

وفي رواية للنسائي في «السنن الكبرى» (٣٠٦ / ٥) من حديث عائشة رضي الله عنها ، قالت : كنت ألعب بالبنات فربما دخل عليَّ رسول الله ﷺ وصوابحتي عندي فإذا رأين رسولَ الله ﷺ فرن فيقول رسول الله ﷺ : «كما أنتِ ، وكما أنتنِ» .

(٣) البخاري (حديث ٦١٢٩) ، ومسلم (حديث ٢١٥٠) .

(٤) النُّغَيْرُ : طائر صغير .

(٥) أحمد «المسندة» (٣ / ١١٥) وسنده صحيح .

عمير ما فعل النغير؟ ! .

* وفي رواية ثالثة عند أحمد أيضًا^(١) . . . وكان يمازحه فدخل عليه فرأه حزيناً فقال ما لي أرى أبا عمير حزيناً؟ فقالوا : مات نغره الذي كان يلعب به . قال : فجعل يقول : أبا عمير ما فعل النغير .

* * *

س: اعتذر يعقوب لأبنائه بعذرین لمنع يوسف من الخروج من إخوته، وضيّعهما.

ج: أما العذر الأول: فهو قوله: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذَهَّبُوا بِهِ﴾ أي: يشق على فراقه ، ويحزنني ابعاده عنني .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وذلك لفطرة محبته له لما يتوضّم فيه من الخير العظيم وشمائل النبوة والكمال في الخلق والخلق صلوات الله وسلامه عليه .

أما العذر الثاني: فهو خوفه من أن يأكله الذئب .

* * *

س: هل يتسرّب الحزن إلى الصالحين؟

ج: نعم فالصالحون بشرٌ يحزنون كما يحزن البشر قال يعقوب عليه السلام: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذَهَّبُوا بِهِ﴾ .

وقال النبي ﷺ: «إِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمْحَزِنُونَ»^(٢) .

(١) أحمد (٣/١٨٨، ٢٠١) وهو صحيح .

(٢) آخرجه البخاري (١٣٠٣) في وفاة ولده إبراهيم عليه السلام وقد دخل عليه النبي ﷺ وهو =

وَلَا قُتِلَ زَيْدٌ وَجَعْفَرٌ وَابْنُ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْرَفُ فِي وِجْهِهِ الْحَزْنَ^(١).

* * *

س: ما موقع اللام في قوله: لَئِنْ أَكَلَهُ الذَّئْبُ؟

ج: اللام هي الموطئة للقسم، فالمعنى: والله لئن أكله الذئب . . .

* * *

س: ما جواب (اللَّمَّا) في قوله تعالى: فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ . . .؟

ج:

* من العلماء من قال: جواب ذلك ممحذوف. فالمعنى: فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب عظمت فتنتهم. وقيل: فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب جعلوه فيها.

* ومن العلماء من قال: بل الجواب مذكور، وهو قوله إننا ذهبنا نستيق فالمعنى: فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب، أتوا فقالوا: يا أبانا إننا ذهبنا نستيق.

* ومن العلماء من قال: فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب أو حينا إليه، فالجواب أو حينا إليه والواو مقحمة كما في قوله تعالى: فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَهُ لِلْجَيْنِ وَنَادَيْنَاهُ فالمعنى: فلما أسلما وتلهم للجيدين

= يوجد بنفسه فجعلت علينا رسول الله ﷺ تذرفاً . . ثم قال: «إن العين تدمع والقلب يحزن، ولا تقول إلا ما يرضي ربنا، وإنما يفارقك يا إبراهيم لمحزونون». وانظر أيضاً مسلم (حديث ٢٣١٥).

(١) البخاري (الحديث ١٢٩٩).

نادينا .

وكمـا في قوله تعالى : ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ﴾ فـالمعنى فـلما جاءـ أمرـنا فـارـ التـنـورـ .

وـكمـا في قوله تعالى : ﴿هَتَّى إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ فـالمعنى : حتى إذا جاءـها فـتحـتـ أـبـوابـهاـ . والله أعلم .

* * *

سـ: هل أعـطـيـ يـوسـفـ النـبـوـةـ وـهـوـ فـيـ الـبـئـرـ ؟

جـ: قالـ ذلكـ بـعـضـ أـهـلـ الـعـلـمـ ، وـذـكـ لـقـولـهـ تـعـالـىـ : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتَتَبَيَّنُهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قالـواـ : فـأـوـحـيـ إـلـيـهـ وـهـوـ فـيـ الـبـئـرـ ، فـدـلـ ذلكـ عـلـىـ نـبـوـتـهـ .

وقـالـ آخـرـونـ : إنـ هـذـاـ الـوـحـيـ كـانـ إـلـهـاـمـاـ كـالـوـحـيـ فـيـ قـولـهـ تـعـالـىـ : ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ وـقـولـهـ : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ وـقـولـهـ : ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ .

فـقالـ هـذـاـ الـفـرـيقـ مـنـ أـهـلـ الـعـلـمـ : إـنـ أـوـحـيـ إـلـيـهـ لـمـاـ بـلـغـ أـشـدـهـ فـعـنـدـ ذـكـ ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ وـفـسـرـ بـعـضـهـمـ ذـكـ بـالـنـبـوـةـ .

قالـ صـدـيقـ حـسـنـ خـانـ فـيـ «ـفـتـحـ الـبـيـانـ»ـ :

وـفيـ هـذـاـ دـلـيلـ عـلـىـ أـنـ يـجـوزـ أـنـ يـوـحـيـ اللـهـ إـلـيـهـ مـنـ كـانـ صـغـيرـاـ وـيـعـطـيـهـ الـنـبـوـةـ حـيـثـنـذـ كـمـاـ وـقـعـ فـيـ عـيـسـىـ وـيـحـيـىـ بـنـ زـكـرـيـاـ وـقـيلـ : مـعـنـىـ الـوـحـيـ هـنـاـ إـلـهـاـمـ كـفـولـهـ تـعـالـىـ : ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ ، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾ وـالـأـوـلـ أـولـىـ ، وـقـدـ قـيلـ : إـنـهـ كـانـ فـيـ ذـكـ الـوـقـتـ قـدـ بـلـغـ مـبـلـغـ الرـجـالـ وـهـوـ بـعـيـدـ جـداـ ، فـإـنـ مـنـ كـانـ قـدـ بـلـغـ مـبـلـغـهـمـ لـاـ يـخـافـ عـلـيـهـ أـنـ يـأـكـلـهـ الذـئـبـ .

وقال الرazi في «التفسير الكبير»:

في قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ قولان:

أحدهما: أن المراد منه الوحي والنبوة والرسالة وهذا قول طائفه عظيمة من المحققين، ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في أنه عليه السلام هل كان في ذلك الوقت بالغاً أو كان صبياً؟ قال بعضهم: إنه كان في ذلك الوقت بالغاً وكان سنه سبع عشرة سنة، وقال آخرون: إنه كان صغيراً إلا أن الله تعالى أكمل عقله وجعله صالحًا لقبول الوحي والنبوة كما في عيسى عليه السلام.

والقول الثاني: أن المراد من هذا الوحي الإلهام كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمَّ مُوسَى﴾ قوله: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّجْل﴾ والأول: أولى، لأن الظاهر من الوحي ذلك.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لِتَبَيَّنُهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ متى كان هذا الإنباء؟

ج: للعلماء في ذلك قولان:

أحدهما: أن هذا الإنباء هو قول يوسف عليه السلام: إذ قال لإخوته: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾^{٨٩} قالوا أئنكَ لآتَيْتَ
يُوسُفُ ..﴾.

الثاني: ما ذكره الطبرى^(١) بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما دخل إخوة يوسف فعرفتهم وهم له منكرون، قال: جيء بالصواعق،

(١) الطبرى (١٨٨٤٠) وابن أبي حاتم (١١٧٢٩). وفي إسناده من لم يذكر فيه جرح ولا تعديل.

فوضعه على يده، ثم نقره فطنَّ، فقال: إنه ليخبرني هذا الجامُ أنه كان لكم أخٌ من أبيكم يقال له يوسف ، يدنيه دونكم، وإنكم انطلقتم به فألقيموه في غيابة الجب .

قال: ثم نقره فطنَّ فأتيتم أباكم فقلتم: إن الذئب أكله، وجئتم على قميصه بدمِ كذب ! قال: فقال بعضهم لبعض: إن هذا الجام ليخبره بخبركم. قال ابن عباس: فلا نرى هذه الآيات نزلت إلا فيهم: «لتبتئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون».

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ لا يشعرون بماذا؟

ج: لا يشعرون بأنك يوسف ، قاله بعض أهل العلم .
وقال آخرون: لا يشعرون بوحينا إليك .

* * *

س: يستفاد من قوله تعالى: ﴿وَأُوحِينَا إِلَيْهِ لِتَبَتَّئِنُهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ خلق كريم في التعامل مع المؤمنين، وضعح هذا الخلق .

ج: هذا هو جبران الخواطر المنكسرة ، في يوسف ﷺ كسر خاطره بعد أن أبعد عن عين أبيه فأهانه إخوه .

وكما نقل ابن كثير عن السدي^(١) وغيره .

إنه لم يكن بين إكرامهم له وبين إظهار الأذى له إلا أن غابوا عن عين أبيه وتواروا عنه ، ثم شرعوا يؤذونه بالقول من شتم ونحوه ، والفعل من ضرب

(١) ولعله مُنْلَقٍ من الإسرائيликـات .

ونحوه، ثم جاءوا به إلى ذلك الجب الذي اتفقوا على رميء فيه، فربطوه بحبل ودلوه فيه، فجعل إذا جأ إلى واحد منهم لطمته وشتمه، وإذا تسبّث بحافات البئر ضربوا على يديه، ثم قطعوا به الحبل من نصف المسافة، فسقط في البئر فغمّره، فصعد إلى صخرة تكون في وسطه يقال لها: «الراغوفة» فقام فوقها.

قلت: فلما أهانوه عليه السلام، وألقوه في غيابة الجب جبر الله خاطره، بأن أوحى إليه لتنبيئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون، تطييباً لقلبه وتشييّلاً له ومؤانسة لوحسته.

وهكذا فلتُجبر الخواطر المنكسرة، فالمطلقة التي كسر خاطرها بالطلاق قال الله في شأنها: ﴿وَلِلْمُطْلَقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًا عَلَى الْمُتَقِينَ﴾ فجُبر خاطرها بالمتاع، وكذلك أولو القربي واليتامى والمساكين الذين يحضرون قسمة الميراث جُبر خاطرهم بأن قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾.

وهكذا ينبغي أن يُفعل مع أصحاب المصائب الذين حلّت بهم أو بأموالهم وأولادهم مصائب، ينبغي أن يؤازروا وأن يُعاونوا حتى تقال عشراتهم.

* * *

س: لماذا جاءوا أباهم عشاءً؟

ج: ذلك حتى يدلسو بالدم المكذوب على أبيهم.
وحتى يدلسو بالدم المكذوب كذلك.
وقالوا أيضاً: لأن العين تستحيي من العين كذلك.

وحتى يُظهروا لأبيهم أنهم أمضوا نهارهم في البحث عن يوسف عليه السلام.

* * *

س: البكاء لا يقاوم القرائن والبيانات دلّل على ذلك.

ج: نعم البكاء لا يكون دليلاً يقاوم القرائن والبيانات لاحتمال أن يكون تصنعاً كما صنع أخوه يوسف، فقد جاءوا أباهم عشاءً يكعون، وكانوا آنذاك كاذبين.

* * *

س: استدل بعض الفقهاء بهذه الآية الكريمة لإعمال القرائن والأمراء في بعض مسائل الفقه، ووضح ذلك.

ج: إيضاحه: أن الاستدلال على كذب إخوة يوسف فيما ادعوا من أن الذئب قد أكله، كان (أي الاستدلال على الكذب) من سلامة القميص، فكيف يأكل الذئب غلاماً ولا يقرب القميص بشق أو بحرق؟!

* * *

بعض الوارد في أحكام السباق

س: اذكر بعض الأدلة على مشروعية السباق.

ج: من ذلك قول إخوة يوسف: ﴿يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ .

ومسابقة النبي ﷺ لعائشة مرتين^(١).

ومسابقة النبي ﷺ بين الحيوان^(٢).

ومسابقة الأعرابي على قَعُودٍ له ناقة رسول الله^(٣).

(١) أخرج الإمام أحمد «المسندي» (٦/٢٦٤) بسنده صحيح عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، قالت: (خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس: «تقدموا»، فتقدموا، ثم قال لي: «تعالي حتى أسابقك»، فسابقته فسبقته، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: «تقدموا»، فتقدموا، ثم قال: «تعالي حتى أسابقك»، فسابقته فسبقني، فجعل يضحك وهو يقول: «هذه بتلك».

(٢) أخرج ذلك البخاري (الحديث ٢٨٦٨) ومسلم (الحديث ١٨٧٠) عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ سبق بالخيل التي قد أضمرت من الحفباء وكان أمدها ثانية الوداع وسابق بين الحيل التي لم تضرم من الثانية إلى مسجدبني زريق، وكان ابن عمر فيمن سبق بها.

أما بالنسبة لمعاني بعض الفاظ هذا الحديث، فقد قال النووي رحمة الله: (أضمرت) يقال: أضمرت وضمرت وهو أن يقلل علفها مدة وتدخل بيئاً كيناً وتجلل فيه لترعرق ويجف عرقها، فيجف حلمها وتقوى على الجري. (من الحفباء) قال سفيان بن عيينة: بين ثانية الوداع والحفباء خمسة أميال أو ستة. وقال موسى بن عقبة: ستة أو سبعة.

(ثانية الوداع هي عند المدينة: سميت بذلك لأن الخارج من المدينة يمشي معه المودعون إليها، والمعنى أن مبدأ السباق كان من الحفباء ومتهاه ثانية الوداع).

(٣) أخرجه البخاري (الحديث ٢٨٧٢) من حديث أنس رضي الله عنه، قال: كان للنبي ﷺ ناقة

س: اذكر بعض شروط المسابقات.

ج: ذكر القرطبي رحمه الله بعض ذلك فقال:

وروى مالك عن نافع عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ سابق بين الخيل التي قد أضمرت من الحفباء وكان أمدها ثانية الوداع، وسابق بين الخيل لم تُضمر من الثناء إلى مسجدبني زريق، وأن عبد الله بن عمر كان من سابق بها؛ وهذا الحديث مع صحته في هذا الباب تضمن:

ثلاثة شروط - فلا تجوز المسابقة بدونها - وهي:

أن المسافة لا بد أن تكون معلومة .

الثاني: أن تكون الخيل متساوية الأحوال .

الثالث: ألا يسابق المضمّر مع غير المضمّر في أمد واحد وغاية واحدة . والخيل التي يجب أن تضمر ويسابق عليها، وتقام هذه السنة فيها هي الخيل المعدة لجهاد العدو لا لقتال المسلمين في الفتنة .

وقال أيضًا:

وأما المسابقة بالنصال والإبل؛ فروى مسلم عن عبد الله بن عمرو قال: سافرنا مع رسول الله ﷺ فنزلنا منزلًا فمِنَّا من يصلح خباءه، ومنا من يتصل، وذكر الحديث . وخرج النسائي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا سبق إلا في نصل أو خُف أو حافر». وثبت ذكر النصل من حديث ابن أبي ذئب عن نافع عن أبي هريرة، ذكره النسائي ، وبه يقول

= تسمى العصباء، لا تُسبق قال حميد. أو لا تكاد تُسبق . فجاء أعرابي على قعود فسبقه فشت ذلك على المسلمين حتى عرفه فقال «حق على الله أن لا يرتفع شيءٌ من الدنيا إلا وضعه».

فقهاء الحجاز والعراق . وروى البخاري عن أنس قال : كان للنبي ﷺ ناقة تسمى العضباء لا تُسبق . قال حميد : أو لا تكاد تُسبق . فجاء أعرابي على قعود فسبقها ، فشق على المسلمين حتى عرفه ؛ فقال : «حق على الله إلا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه» .

وقال كذلك : أجمع المسلمون على أن السبّق لا يجوز على وجه الرهان إلا في الخف والحاfer والنصل ؛ قال الشافعي : ما عدا هذه الثلاثة فالسبّق فيها قمار . وقد زاد أبو البختري القاضي في حديث الخف والحاfer والنصل «أو جنّاح» وهي لفظة وضعها للرشيد ، فترك العلماء حديثه لذلك ولغيره من موضوعاته ؛ فلا يكتب العلماء حديثه بحال . وقد رُوي عن مالك أنه قال : لا سبق إلا في الخيل والرمي ، لأنّه قوة على أهل الحرب ؛ قال : وسبق الخيل أحب إلينا من سبق الرمي . وظاهر الحديث يسوّي بين السبّق على النُّجُب والسبّق على الخيل . وقد منع بعض العلماء الرهان في كل شيء إلا في الخيل ؛ لأنّها التي كانت عادة العرب المراهنة عليها . وروي عن عطاء : أن المراهنة في كل شيء جائز ؛ وقد تُؤوّل قوله ؛ لأن حمله على العموم في كل شيء يؤدي إلى إجازة القمار ، وهو محروم باتفاق .

ثم قال أيضًا :

لا يجوز السبّق في الخيل والإبل إلا في غاية معلومة وأمد معلوم ، كما ذكرنا ، وكذلك الرمي لا يجوز السبّق فيه إلا بغاية معلومة ورشق معلوم ، نوع من الإصابة ؛ مشترطاً خسفاً أو إصابة بغير شرط .

والأسباب ثلاثة :

سبق يعطيه الوالي أو الرجل غير الوالي من ماله متظوّعاً : فيجعل للسابق

شيئاً معلوماً؛ فمن سبق أخذه.

وسبق يخرجه أحد المتسابقين دون صاحبه : فإن سبقه صاحبه أخذه، وإن سبق هو صاحبه أخذه، وحسن أن يضيئه في الوجه الذي أخرجه له، ولا يرجع إلى ماله؛ وهذا مما لا خلاف فيه.

والسبق الثالث : اختلف فيه : وهو أن يخرج كل واحد منهمما شيئاً مثل ما يخرجه صاحبه، فأيهما سبق أحرز سبقه وسبق صاحبه؛ وهذا الوجه لا يجوز حتى يُدخلان بينهما محللاً لا يأمنا أن يسبقاًهما؛ فإن سبق المحلل أحرز السبقين جميعاً وأخذهما وحده.

* * *

س: ذكر بعض أهل العلم في القميص علامه تدل على رد قول إخوة يوسف إذ قالوا: ﴿فَأَكَلَهُ الذَّئْبُ﴾ ما هذه العلامه؟

ج: هي التي وردت عن ابن عباس رضي الله عنهما إذ قال - فيما أخرجه الطبرى عنه بسنده صحيح - : لو أكله الذئب خرقة القميص^(١). فسلامة القميص دليل على كذب إخوة يوسف إذ أدعوا أن الذئب قد أكله.

* * *

س: ذكر القميص في ثلاثة مواطن من هذه السورة وفيه آيات وضح ذلك.

ج: هذه المواطن هي:

أولاً: قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ فكانت سلامه

(١) الطبرى (١٨٨٥١، ١٨٨٥٢، ١٨٨٥٣، ١٨٨٥٤).

القميص دلالة على كذبهم.

ثانيًا: قوله تعالى: ﴿وَقَدْتُ قَمِصَهُ مِنْ دُبْرِهِ﴾ وقول الشاهد: ﴿إِنْ كَانَ قَمِصَهُ قُدْمَ مِنْ قُبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾^{٢٦} و﴿إِنْ كَانَ قَمِصَهُ قُدْمَ مِنْ دُبْرِ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾^{٢٧} فلما رأى قميصه قدّم من دُبْرٍ قال إِنَّهُ مِنْ كَيْدِ كُنَّ﴾ فكان قطع القميص من الخلف دليلاً على براءة يوسف عليه السلام وصدقه.

ثالثًا: قوله: ﴿اَذْهَبُوا بِقَمِصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ ابْنِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾، وقوله: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَ بَصِيرًا﴾.

* * *

س: ما هي القرائن التي اعتمد عليها يعقوب عليه السلام إذ قال لبنيه: ﴿بَلْ سَوْلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾.

ج: من هذه القرائن ما يلي:

* رؤيا يوسف التي رأها (فلم تكن قد تحققت) ويعقوب عليه السلام يدرك أنها ستتحقق.

* سلامه قميص يوسف، فكيف يأكله الذئب دون إصابة القميص بشيء؟

* قولهم: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾

* * *

س: في قوله: ﴿فَصَبَرْ جَمِيلٌ﴾ مقدر، وضع هذا المقدر.

ج: المقدر هو «صبري» فالمعنى: صبر جميل أو فشاني صبر

. جميل

ويصلح أيضاً أن يُقال فصبرٌ جميلٌ أولى لي وأليق بي.

* * *

س: قول (الله المستعان) قول طيب قاتله بعض أزواج النبي ﷺ في موطن من المواطن، من القائلة؟ وما مناسبة ذلك؟

ج: القائلة هي أم المؤمنين عائشة^(١) رضي الله عنها، قاتله في حديث الإفك حين أتاهها النبي ﷺ فقال لها:

«أما بعد يا عائشة؛ إنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فليس برقوك الله، وإن كنت الممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف ثم تابَ تابَ الله عليه». قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلَّصَ دمعي حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي: أجب رسول الله ﷺ عنِّي فيما قال: فقال أبي: والله ما أدرِي ما أقول لرسول الله ﷺ. فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ فيما قال قالت أمي: والله ما أدرِي ما أقول لرسول الله ﷺ. فقلت - وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيراً -: إني والله لقد علمتُ لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقرَّ في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة - لا تصدقونني ، ولئن اعترفت لكم بأمر - والله يعلم أنِّي منه بريئة - لتصدقوني ، فوالله لا أجدُ لي ولكم مثلاً إلَّا أبا يوسف حين قال: فصبرٌ جميلٌ والله المستعان على ما تصفون.

* * *

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٤٥٢ / ٨)، ومسلم (٢١٢٩).

أَقْتُلُوا

يُوسُفَ أَوْ أَطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَيْكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ
بَعْدِهِ قَوْمًا صَنِلِّ حِينَ ۝ ۱٠ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا نَقْتُلُ أَيْوُسُفَ
وَالْقُوَّةُ فِي غَيْبَتِ الْجَبَّ يَلْقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ
فَعِلِّينَ ۝ ۱۱ قَالُوا يَا بَنَانَا مَالِكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ
لَنَصْحُونَ ۝ ۱۲ أَرْسَلَهُ مَعَنَّا غَدَّا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ
لَحَفِظُونَ ۝ ۱۳ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذَهَّبُوا إِلَيْهِ وَأَخَافُ
أَنْ يَأْكُلَهُ الْذَّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ عَغْلُونَ ۝ ۱۴ قَالُوا إِنَّ
أَكَلَهُ الْذَّئْبُ وَنَحْنُ عُصَبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ
فَلَمَّا ذَهَبُوا إِلَيْهِ وَاجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجَبَّ وَأَوْحَيْنَا
إِلَيْهِ لَتَنْتَهِمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ ۱۵ وَجَاءَهُ
أَبَاهُمْ عِشَاءَ يَبْكُونَ ۝ ۱۶ قَالُوا يَا بَنَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِ
وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَعْنَا فَأَكَلَهُ الْذَّئْبُ وَمَا أَنَّ
يُمُؤْمِنٌ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَدِيقِينَ ۝ ۱۷ وَجَاءَهُ وَعَلَى قَمِيصِهِ
يَدَهُ كَذِيبٌ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبَرْ جَمِيلٌ
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصْفُونَ ۝ ۱۸ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا
وَارِدَهُمْ فَأَدَلَى دَلَوْهُ قَالَ يَبْشِرُهُمْ هَذَا أَعْلَمُ وَأَسْرُوهُ بِضَعَةً
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝ ۱۹ وَشَرَوْهُ بِشَمَنْ بَخِسِ

دَرَّهُمْ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الْزَّاهِدِينَ ۝ وَقَالَ
الَّذِي أَسْتَرَنَا مِنْ مَصْرَ لِأَمْرِ أَيْتَهُ أَكْرِمِي مَثُونَهُ عَسَىٰ
أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَنْخِذَهُ، وَلَدَأْ وَكَذَلِكَ مَكَنَّا لِيُوسُفَ فِي
الْأَرْضِ وَلِنَعْلَمَهُ، مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللهُ عَالِيٌّ عَلَىٰ
أَمْرِهِ، وَلَنَكَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَلَمَّا بَلَغَ
أَشْدَهُ وَءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ بَخْرِي الْمُحْسِنِينَ ۝

٢٢

س: اذكر معنى ما يلي:

سيارةً - واردهم - فأدلّى دلوه - يا بشرى - أسروه بضاعة - شروه بشمن بخس - معدودة - الزاهدين - أكرمي مثواه - مكنا - تأويل الأحاديث - غالبٌ على أمره - بلغ أشدَّه - حُكماً.

: ج

الكلمة	معناها
سيارةً	رفقة من الناس يسرون مع بعضهم .
واردهم	رسولهم الذي يبحث لهم عن الماء ويرد الماء ف يأتيهم به .
أدلى دلوه	أدلى دلوه في البئر .
يا بشرى	كلمة يبشر بها نفسه ويبشر بها أصحابه أيضاً .
أسروه بضاعة	و ثم قول ضعيف وهو : أن «بشرى» اسم رجل من السيارة بعينه ناداه المدلّى لما خرج يوسف من البئر متعلقاً بالحبل .
اشتروه	أخفوه عن غيرهم وأظهروا لهم أنه بضاعة اشتروها (عبد اشتراه) حتى لا يشاركونهم فيه .
(أي)	(أي) : أخفاه الوارد المستقي ومن معه من أصحابه عن سائر القافلة وقالوا : هو بضاعة استبضناها .
وقول آخر	وقول آخر : «أسره إخوته» أي : كتموا شأنه وقالوا هو عبد لنا قد أبْقَى منا (أي هرب منها) .

<p>شروعه بخس معدودة</p> <p>الزاهدين</p> <p>أكرمي مثواه</p> <p>مكناً</p> <p>تأويل الأحاديث</p> <p>غالب على أمره بلغ أشدّه</p> <p>حُكماً</p>	<p>باعوه قليل - ظلم - حرام - مبخوس</p> <p>يعدها العاد، ويحصرها الحاصر، وهذا يعني أنها قليلة</p> <p>الزاهد في الشيء هو قليل الرغبة فيه.</p> <p>أما «المشوى» فهو: موضع الإقامة، فالمعني: أكرمي منزله وموضع إقامته والمراد: أكرمي وأحسني إليه.</p> <p>جعلنا له مكاناً، أعطيناه مكانةً ورتبةً عاليةً، ثبناه.</p> <p>تعبير الرؤيا.</p> <p>يغلب غيره ويفعل ما أراده.</p> <p>اكتملت قوته البدنية والعقلية، وقبل أن يأخذ في النصان.</p> <p>نبوة - إصابةً في القول والعمل.</p>
--	---

س: ما المراد بالنداء في قوله: ﴿ يَا بَشْرِي هَذَا عَالَمٌ بَدْءٌ ﴾

ج: قال القاسمي رحمه الله في «محاسن التأويل»:

نزلت (أي هذه الكلمة) متزلة من ينادي، ويقال: إن هذه الكلمة تستعمل للتبشير من غير قصد إلى النداء.

قال الزجاج: معنى النداء في هذه الأشياء التي لا تجيب هو تنبيه المخاطبين، وتوكيد القصة، فإذا قلت: يا عجباه. فكأنك قلت: اعجبوا.

* * *

س: من الذين أسروه بضاعة؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن الذين أسروه بضاعة هم إخوته، أخبروا الوارد أن هذا عبد لهم قد اشتروه وأبق (هرب) منهم.

الآخر: أن الذين أسروه بضاعة هو الوارد ومن معه، أخفوا أمره عن سائر القافلة وقالوا إنهم اشتروه، والله أعلم.

* * *

س: في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ تسلية لرسول الله ﷺ، ووضح ذلك.

ج: المعنى المستفاد أولاً: أن الله لا يخفى عليه أمر يوسف ﷺ وما يُصنع به، وهو سبحانه قادر على دفعه ولكنه يُملي للظالمين ويرفع درجات المتقين.

ووجه التسلية لرسول ﷺ: أن الله يعلم ما يُفعل بنبيه محمد ﷺ، وهو قادر على دفعه، ولكنه يتلي رسله وأولياءه ثم تكون العاقبة للتقوى، كما

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضْيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ .

وَكَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلَمُونَ ﴾ .

وَكَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ ﴾ .

قَالَ الطَّبَرِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ :

وَقُولُهُ : ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ ، يَقُولُ تَعَالَى ذَكْرَهُ : وَاللَّهُ ذُو عِلْمٍ بِمَا يَعْمَلُهُ بَاعِثُ يُوسُفَ وَمُشْتَرِوْهُ فِي أَمْرِهِ ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ ، وَلَكِنَّهُ تَرَكَ تَغْيِيرَ ذَلِكَ لِيَمْضِي فِيهِ وَفِيهِمْ حُكْمُهُ السَّابِقُ فِي عِلْمِهِ ، وَلِيَرِي إِخْرَاجَ يُوسُفَ وَيُوسُفَ وَأَبَاهُ قَدْرَتِهِ فِيهِ .

وَهَذَا ، إِنْ كَانَ خَبْرًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ذَكْرُهُ عَنْ يُوسُفَ نَبِيِّهِ ﷺ ، فَإِنَّهُ تَذْكِيرٌ مِنَ اللَّهِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٌ ﷺ ، وَتَسْلِيَةٌ مِنْهُ لِهِ عَمَّا كَانَ يَلْقَى مِنْ أَقْرَبَائِهِ وَأَنْسَابِهِ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْأَذَى فِيهِ . يَقُولُ : فَاصْبِرْ ، يَا مُحَمَّدُ ، عَلَى مَا نَالَكَ فِي اللَّهِ ، فَإِنِّي قَادِرٌ عَلَى تَغْيِيرِ مَا يَنْالُكَ بِهِ هُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ ، كَمَا كُنْتَ قَادِرًا عَلَى تَغْيِيرِ مَا لَقَى يُوسُفُ مِنْ إِخْرَاجِهِ فِي حَالِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ بِهِ مَا فَعَلُوا ، وَلَمْ يَكُنْ تَرْكِي ذَلِكَ لِهُوَانِ يُوسُفَ عَلَيْهِ ، وَلَكِنْ لَمَاضِي عِلْمِي فِيهِ وَفِي إِخْرَاجِهِ ، فَكَذَلِكَ تَرْكِي تَغْيِيرِ مَا يَنْالُكَ بِهِ هُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ لِغَيْرِ هُوَانِ بَكَ عَلَيْهِ ، وَلَكِنْ لَسَابِقِ عِلْمِي فِيكَ وَفِيهِمْ ، ثُمَّ يَصِيرُ أَمْرُكَ وَأَمْرُهُمْ إِلَى عُلُوكِهِمْ وَإِذْعَانِهِمْ لَكَ ، كَمَا صَارَ أَمْرُ إِخْرَاجِ يُوسُفَ إِلَى الإِذْعَانِ لِيُوسُفِ بِالسُّؤْدَدِ عَلَيْهِمْ ، وَعُلُوًّا يُوسُفُ عَلَيْهِمْ .

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحْمَةُ اللَّهِ :

وَقُولُهُ : ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ أَيْ : عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُهُ إِخْرَاجُ يُوسُفَ

ومشتروه، وهو قادر على تغيير ذلك ودفعه، ولكن له حكمة وقدر سابق، فترك ذلك ليمضي ما قدره وقضاءه ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾

وفي هذا تعريض لرسوله محمد ﷺ، وإعلام له بأنّي عالم بأذى قومك لك، وأنا قادر على الإنكار عليهم، ولكنني سأ谋利 لهم، ثم أجعل لك العاقبة والحكم عليهم، كما جعلت ليوسف الحكم والعاقبة على إخوته.

* * *

س: من الذين شروه؟

ج: تقدم أن «شروه» يعني «باعوه».

أما الذين شروه فأهل العلم فيهم قولان:

أحدهما: أنهم إخوة يوسف عليه السلام باعوه للسيارة.

الآخر: أن الذين شروه (أي باعوه) هم السيارة. والقول الأول عليه الأكثرون، والقول الثاني: يشهد له قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مَصْرَ لَامِرَاتِهِ﴾ فالذى اشتراه إنما اشتراه من السيارة، والله أعلم. وهذه بعض أقوال أهل العلم في ذلك.

وقال الطبرى رحمه الله:

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: تأويل ذلك: «وشرى إخوة يوسف يوسف بشمن بحس»، وذلك أن الله عز وجل قد أخبر عن الذين اشتروه أنهم أسرروا شراء يوسف من أصحابهم، خيفة أن يستشركونهم، بادعائهم أنه بضاعة، ولم يقولوا بذلك إلا رغبة فيه أن يخلص

لهم دونهم . واستر خاصاً لثمنه الذي ابتعاه به ، لأنهم ابتعاه كما قال جل ثناؤه : ﴿ بِشَمْنٍ بَخْسٍ ﴾

ولو كان مبتاعوه من إخوته فيه من الزاهدين لم يكن لقائهم لرفقاءهم : « هو بضاعة » معنى ولا كان لشرائهم إياه وهم فيه من الزاهدين ، وجه ، إلا أن يكونوا كانوا مغلوبًا على عقولهم ، لأنه محال أن يشتري صحيح العقل ما هو فيه زاهدٌ من غير إكراهٍ مكرهٍ له عليه ، ثم يكذب في أمر الناس بأن يقول : « هو بضاعة لم أشتراه » ، مع زهده فيه . بل هذا القول من قول من هو بسلعته ضئيلٌ لنفاستها عنده ، ولما يرجو من نفس الشمن لها وفضل الربح .

وقال ابن الجوزي رحمه الله في « زاد المسير » :

قوله تعالى : ﴿ وَشَرُوهُ ﴾ هذا حرف من حروف الأضداد ، تقول : شريت الشيء ، بمعنى بعثه ؛ وشرتيه ، بمعنى اشتريته .

فإن كان بمعنى باعوه ، ففيهم قولان :

أحدهما : أنهم إخوته ، وهو قول الأكثرين .

والثاني : أنهم السيارة ، ولم يبعه إخوته ، قاله الحسن وقتادة .

وإن كان بمعنى اشتروه : فإنهم السيارة .

وقال الرازبي رحمه الله في « التفسير الكبير » :

أما قوله : ﴿ وَشَرُوهُ ﴾ فيه قولان :

القول الأول :

المراد من الشراء هو البيع ، وعلى هذا التقدير ففي ذلك البائع قولان :

القول الأول: قال ابن عباس رضي الله عنهم: إن إخوة يوسف لما طرحوا يوسف في الجب ورجعوا عادوا بعد ثلاثة يتعلرون خبره، فلما لم يروه في الجب ورأوا آثار السيارة طلبوهم فلما رأوا يوسف قالوا: هذا عبدنا أبق منا فقالوا لهم: فيبيعوه منا باعوه منهم، والمراد من قوله: ﴿وَشَرَوْهُ﴾ أي: باعوه، يقال: «شريت الشيء» إذا بعته وإنما وجوب حمل هذا الشراء على البيع؛ لأن الضمير في قوله: ﴿وَشَرَوْهُ﴾ وفي قوله: ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الْزَاهِدِينَ﴾ عائد إلى شيء واحد لكن الضمير في قوله: ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الْزَاهِدِينَ﴾ عائد إلى الأخوة فكذا في قوله: ﴿وَشَرَوْهُ﴾ يجب أن يكون عائداً إلى الأخوة، وإذا كان كذلك فهم باعوه فوجوب حمل هذا الشراء على البيع.

والقول الثاني: أن بايع يوسف هم الذين استخرجوه من البئر، وقال محمد بن إسحاق: ربكم أعلم إخوته باعوه أم السيارة؟ وه هنا قول آخر:

وهو أنه يحتمل أن يقال: المراد من الشراء نفس الشراء، والمعنى: أن القوم اشتروه وكانوا فيه من الزاهدين، لأنهم علموا بقرارئن الحال أن إخوة يوسف كذابون في قولهم «إنه عبدنا» وربما عرفوا أيضاً أنه ولد يعقوب فكرهوا شراءه خوفاً من الله تعالى ومن ظهور تلك الواقعية، إلا أنهم مع ذلك اشتروه بالأخرة لأنهم اشتروه بثمن قليل. مع أنهم أظهروا من أنفسهم كونهم فيه من الزاهدين، وغرضهم أن يتوصلا بذلك إلى تقليل الثمن. ويحتمل أيضاً أن يقال إن الإخوة لما قالوا: إنه عبدنا أبق صار المشتري عديم الرغبة فيه.

قال مجاهد: وكانوا يقولون استوثقوا منه لئلا يأبقي.

وقال الجزائي حفظه الله في «أيسير التفاسير»:

وكان إخوة يوسف يتربدون على البشر يتعرفون على مصير أخيهم فلما رأوه بأيدي الوارد ورفقائه قالوا لهم : «هذا عبد لنا أبقي ، وإن رأيتم شراءه بعنه لكم » فقالوا : ذاك الذي نريد ب ساعوه لهم بشمن ناقص وأسره الذين اشتروا أي : أخفوه عن رجال القافلة حتى لا يطالبوهم بالاشتراك فيه معهم ، وقالوا هذه بضاعة كلفنا أصحاب الماء بإيصالها إلى صاحبها بمصر . هذا ما دل عليه قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سِيَّارَةً فَأَرْسَلُوا وَارْدَهُمْ فَأَدْلَى دُلُوهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً ﴾ ﴿ وَشَرَوْهُ بِشَنْ بَخْسٍ دَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ ﴾ . وكونها معدودة غير موزونة دال على قلتها ﴿ وَكَانُوا فِيهِ مِنِ الزَّاهِدِينَ ﴾ أي إخوته لا الذين اشتروه .

* * *

س: ما وجه زهدهم فيه؟ ومن الذين كانوا فيه من الزاهدين؟

ج: وجه زهدهم فيه: أنهم لم يعلموا كرامته على الله ، ولم يعرفوا منزلته عنده ، ثم ب ساعوه بشمن بخس دراهم معدودة ، والله أعلم .

أما الذين كانوا فيه من الزاهدين ففيه قولان:

-

أحدهما: أنهم إخوة يوسف .

والثاني: أنهم الذين التقطوه .

وذكر البرازي رحمة الله وجوهاً فقال:

أحدها: أن إخوة يوسف باعواه ، لأنهم كانوا فيه من الزاهدين .

والثاني: أن السيارة الذين باعوه كانوا فيه من الزاهدين لأنهم التقطوه، والملتقط للشيء متهاون به لا يبالي بأي شيء يبيعه. أو لأنهم خافوا أن يظهر المستحق فينزعه من يدهم، فلا جرم باعوه بأوكس الأثمان.

والثالث: أن الذين اشتروه كانوا فيه من الزاهدين، وقد سبق توجيه هذه الأقوال فيما تقدم، والضمير في قوله: **﴿فِيهِ﴾** يحتمل أن يكون عائداً إلى يوسف عليه السلام، ويحتمل أن يكون عائداً إلى الثمن البخس والله أعلم.

* * *

س: (الواو) في قوله تعالى: **﴿وَكَذِّلْكَ مَكَنَا لِيُوسُفَ﴾** عاطفة على ماذا؟

ج: عاطفة على معنى ما قبلها، فالمعنى: وكما نجينا من القتل ومن الجب، وعطّلنا عليه العزيز مكنا له أيضاً.

* * *

س: الضمير في قوله: **﴿عَلَى أَمْرِهِ﴾** عائد على ماذا؟ وضح معنى **﴿وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾**.

ج: في ذلك قولان: أحدهما: عائد على الله سبحانه وتعالى فالمعنى والله غالب على ما يريد، أي أن الله لا يُغلب بل يفعل ما يريد فهو سبحانه غالب على كل أمر أراده، فلا يحول بينه وبين مراده أحد.

وقييل: عائد على يوسف عليه السلام، أي أن الله سبحانه غالب على أمر

يوسف يدبر له أمره ويحوطه ويحفظه ، ولا يكله إلى أحدٍ ، فلم يقدر إخوته على بلوغ مرادهم منه . وكلا المعنين صحيح ، فالله يفعل ما يريد ويحفظ العباد ويدبر أمرهم كذلك ، والله تعالى أعلم وأعلم .

* * *

س: ما وجہ الختام بقوله تعالیٰ: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾؟

ج: وجہ ذلك - والله أعلم - حث الناس على تفویض أمرهم إلى الله سبحانه وتعالیٰ فلو علموا أن الله غالب على أمره لفوضوا أمرهم إليه وتوکلوا عليه ولم يحاولوا معصيته بالخروج عن طاعته .

وفي قوله: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ تسلیةٌ لرسول الله ﷺ ، فکما أن يوسف آذاه إخوته وأرادوا به المکروه والسوء فكذلك قومك يا محمد أرادوا أذیتك وإهانتك فاصبر فالله غالب على أمره وسينصرك عليهم ، والله أعلم .

* * *

س: وضح المراد بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ .

ج: قال الطبری رحمه الله:

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وكما جزيت يوسف فآتیته بطاعته إیاًی الحکم والعلم ، ومکنته في الأرض ، واستنقذته من أيدي إخوته الذين أرادوا قتلها ، كذلك نجزي من أحسن في عمله ، فأطاعني في أمري ، وانتهی عما نهیته عنه من معا�ی .

وهذا ، وإن كان مخرج ظاهره على كل محسن ، فإن المراد به محمد نبی الله ﷺ ، يقول له عز وجل: كما فعلت هذا بیوسف من بعدما لقی من

إخوته ما لقي ، وقاسي من البلاء ما قاسي ، فمكنته في الأرض ، ووطأت له في البلاد ، فكذلك أفعل بك فأنجيك من مشركي قومك الذين يقصدونك بالعداوة ، وأمكّن لك في الأرض ، وأوتوك الحكم والعلم ، لأن ذلك جزائي أهل الإحسان في أمري ونهبي .

* * *

س: ما وجه الختام بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾؟

ج: هذا فيه حث على الإحسان ، وعميم الجزاء والثواب لعموم المحسنين .

فكأن المعنى: وكما أننا أكرمنا يوسف عليه السلام بما ذكرناه فدائماً نجازي أهل الإحسان ، وهذا كقوله تعالى في شأن ما أنعم به على نوح عليه السلام من النجاة ، وإغراق عدوه قال تعالى: ﴿نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ .

أي: وكما جازينا الشكور نوح عليه السلام ، فكذلك نجزي كل شكور . وكما قال تعالى في شأن نبيه أياوب عليه السلام: ﴿رَحْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرٌ لِّلْعَابِدِينَ﴾ أي: حتى يتذكر العباد ما حدث لأياوب عليه السلام فيفعلوا فعله من الصبر والاحتساب ، فنجازيهم ونعافيهم كما جازيناه وعافيناه .

ونحو هذا التعميم وارد أيضاً فيما يتعلق بعقاب الظالمين كما قال تعالى في شأن الحجارة التي أرسلها على قوم لوط ، قال تعالى: ﴿مُسْوَمَةً عَنْ دِرَبِكَ﴾ ثم قال: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ يُبَعِّدُ﴾ .

و قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كُفُورٍ﴾ .

وَكَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَائِكُمْ أَمْ لَكُمْ بِرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ .
 وَكَقُولَهُ تَعَالَى : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ
 مِّنْ قَبْلِهِمْ دَمَرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ .
 وَقُولَهُ تَعَالَى : ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هُؤُلَاءِ
 سَيِّصِيهِمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزٍ﴾ وَاللهُ أَعْلَمْ .



وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ
وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّ أَحْسَنِ مَشْوَائِي
إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَتْ بِهِ وَهُمْ يَهْمِّهَا
لَوْلَا أَنْ رَءَا بُرْهَنَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ
وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخَلَّصِينَ ﴿٢٤﴾ وَاسْتَبَقَ
الْأَبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبْرِ وَالْفَيَا سَيِّدَهَا الْدَّارُ الْأَبَابُ
قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهَدَ شَاهِدٌ مِنْ
أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدْمَ مِنْ قُبْلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنْ
الْكَذِيبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدْمَ مِنْ دُبْرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ
مِنَ الصَّدِيقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَهَا قَمِيصَهُ قُدْمَ مِنْ دُبْرٍ قَالَ إِنَّهُ
مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ
هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ

س: اذكر معنى ما يلي:

راودته - هيـت لك - معاـذ الله - إـنه ربي أـحسن مـثواـي - لا يـفلـح - هـمـت بـه - هـمـ بـها - بـرهـان رـبـه - السـوء وـالـفـحـشـاء - الـمـخـلـصـين - اـسـتـبـقاـ الـبـاب - قـدـت - من دـبـر - أـلـفـيا - سـيـدـها - لـدى الـبـاب - عـذـاب أـلـيم - قـدـ من قـبـل - من دـبـر - كـيـدـكـن - أـعـرـضـ عن هـذـا - اـسـتـغـفـري لـذـنـبـك - الـخـاطـئـين .

ج:

الكلمة	معناها
راودته	طلبت منه برفقٍ ولـيـنـ أن يـنـزـلـ عن إـرـادـتـها كيـ يـوـاقـعـها (يـجـامـعـها) .
هيـت لك	Helmـ - أـقـبـلـ - تـعـالـ - اـقـتـرـبـ .
معـاذـ الله	أـعـوذـ بـالـلـهـ - أـعـتـصـمـ بـالـلـهـ
إـنـهـ رـبـيـ	إـنـهـ (يعـني زـوـجـهاـ) سـيـدـيـ .
أـحـسـنـ مـثـواـيـ	أـحـسـنـ إـلـيـ وأـكـرـمـيـ - أـحـسـنـ مـنـزـلـيـ .
لا يـفـلـحـ	لا يـظـفـرـ بـالـمـطـلـوبـ - لا يـنـجـحـ - لا يـنـجوـ منـ المـرـهـوبـ .
همـتـ بـهـ	حدـثـ نـفـسـهـ بـشـأنـهاـ ، (ولـكـنهـ تركـ ذـلـكـ للـهـ) . آـيـةـ وـدـلـيـلـ منـ رـبـهـ منـعـهـ عنـ الفـاحـشـةـ .
هـمـ بـها	برـهـانـ رـبـهـ

مقدمات الزنا (من الأقوال والأفعال كالقبلة واللمس ونحو ذلك).
الزنا.

السوء

الفحشاء
المخلصين

المخلصين (بالفتح) : الذين أخلصناهم واختارناهم
واصطفيناهم للنبوة والرسالة .

وأيضاً الذين اصطفيناهم وخلصناهم من السوء
ويحتمل أيضاً أن يكون المراد : إنه من ذرية
عبادنا المخلصين الذين قال تعالى عنهم : ﴿إِنَّا
أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةِ ذِكْرِ الدَّارِ﴾ فهو منهم عليهم
السلام جميعاً . والمخلصين (بالكسر) : الذي
أخلصوا دينهم لله .

استبقا الباب

قدَّت

من دبر

ألفيا

سiederها

لدا الباب

عذاب أليم

قدَّ

من قُبْل

تسابقا إليه - تسارعا إليه - واستبقا إلى الباب كقوله :
﴿وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ أي واختار موسى من قومه .

قطعت .

من الخلف .

وجدا - صادفا .

زوجها .

عند الباب .

عذاب مؤلم موجع (ضرب شديد موجع) .
قطع .
من الأمام .

<p>من الخلف .</p> <p>مكركـن - حيلـكـن .</p> <p>أعرض عن هذا الحديث وما صدر منها معك فلا تتكلم به ولا تخبر به أحداً .</p> <p>اطلبي العفو والمغفرة لذنبك .</p> <p>المذنبين - الآثمين - المرتكبين للخطايا والآثام .</p> <p>ويحتمل أيضاً من نسل الخاطئين ، أي : فسرى هذا العرق فيك .</p>	<p>من دُبْر</p> <p>كـيدـكـن</p> <p>أعرض عن هذا</p> <p>استغفري لذنبك</p> <p>الخاطئين</p>
---	---

* * *

س: لماذا لم يذكر اسم امرأة العزيز، وقال تعالى: ﴿ وَرَأَوْدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا ﴾؟

ج: ذلك، والله أعلم: للستر عليها، ولأنه لم يعهد في الكتاب العزيز ذكر أسماء النساء إلا مريم عليها السلام وذلك لعلة من العلل تأتي في موطنها إن شاء الله.

وأيضاً: قال تعالى: ﴿ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا ﴾ للتنبيه على مكانة يوسف عليه السلام، فكونه في بيتها مما يدعوه إلى فعل المحرم، وكونه امتنع دليل على نزاهته ومكانته عليه السلام.

قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

وإنما قال: ﴿ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ ولم يقل: امرأة العزيز أو زليخا قصداً إلى زيادة التقرير، فإن كونه في بيتها مما يدعو إلى ذلك، قيل: لواحدة ما حملك على ما أنت عليه مما لا خير فيه؟ قالت: قرب الوساد وطول السواد.

ولإظهار كمال نزاهته عليه الصلاة والسلام فإن عدم ميله إليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها واستعصاءه عليها مع كونه تحت ملکها ينادي بكونه في أعلى معارج العفة والتزاهة، والعدول عن اسمها للمحافظة على الستر أو للاستهجان بذكرها قال قتادة: هي امرأة العزيز.

* * *

س: هل وردت القراءة بلفظ (هئٰ لك)? وما مدى صحتها؟

ج: نعم قد وردت هذه القراءة بكسر الهاء وضم التاء، بمعنى: تهيات

لك، وتحسنت لك. وقد أنكر هذه القراءة بعض أهل العلم، انظر «تفسيري: الطبرى والقرطبي».

* * *

س: بم علل يوسف عليه السلام الامتناع من فعل الفاحشة؟

ج: علل ذلك بعملٍ ثلات:

أولاًها: قوله: ﴿مَعَاذُ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي﴾ (أي: إنه سيدى) فكيف أخون سيدى في أهله؟!

ثانيها: قوله: ﴿أَحْسَنَ مَثَوَىي﴾ فكيف أقابل الإحسان بالإساءة، فقد أوصى بي خيراً وأكرم منزلي ومطعمي ومشري ومسكني، فكيف أقابل ذلك بخيانته في أهله.

ثالثها: قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ، وفعل الفاحشة من الظلم، فلا يُفلح الزناة ولا يسعد الخاطئون الظالمون.

قال الرازى رحمه الله:

ذكر يوسف عليه السلام في الجواب عن كلامه ثلاثة أشياء:

أحدها: قوله: ﴿مَعَاذُ اللَّهِ﴾.

والثاني: قوله تعالى عنه ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثَوَىي﴾ .

والثالث: قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ .

فما وجه تعلق بعض هذا الجواب ببعض؟

والجواب: هذا الترتيب في غاية الحسن، وذلك لأن الانقياد لأمر الله

تعالى وتکلیفه أهم الأشياء لکثرة إنعامه وألطافه في حق العبد فقوله : ﴿ مَعَذِّبٌ إِشارة إلى أن حق الله تعالى يمنع عن هذا العمل ، وأيضاً حقوق الخلق واجبة الرعاية ، فلما كان هذا الرجل قد أتعمم في حقي يقع مقابلة إنعامه وإحسانه بالإساءة ، وأيضاً صون النفس عن الضرر واجب ، وهذه اللذة لذة قليلة يتبعها خزي في الدنيا ، وعذاب شديد في الآخرة ، واللذة القليلة إذا لزمها ضرر شديد فالعقل يقتضي تركها والاحتراز عنها فقوله : ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ إشارة إليه .

فثبتت أن هذه الجواهرات الثلاثة مرتبة على أحسن وجوه الترتيب .

* * *

س: ارتكاب الفاحشة مع المرأة المتزوجة يُمنع لأمرتين كل منهما مستقل بالتحريم، وقد رأى يوسف هذين الأمرين ، وضع ذلك .

ج: أما المانع الأول الذي بسببه يحظر الزنا فهو: نهي الله تبارك وتعالى عنه أشد النهي .

أما المانع الثاني: فهو حق الزوج .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(١) رحمه الله في «مجموع الفتاوى»:

فالفاحشة حرام لحق الله ولو رضي الزوج ، وظلم الزوج في امرأته حرام لحقه ، بحيث لو سقط حق الله بالتوبة منه فحق هذا في امرأته لا يسقط ، كما لو ظلمه وأخذ ماله وتاب من حق الله لم يسقط حق المظلوم بذلك ، ولهذا جاز للرجل إذا زنت امرأته أن يقذفها ويلاعنها ، ويسعى في عقوبتها

(١) «مجموع الفتاوى» (١٥/١٢١).

بالرجم، بخلاف الأجنبي فإنه لا يجوز له قذفها، ولا يلاعن بل يحد إذا لم يأت بأربعة شهاداء، فإفساد المرأة على زوجها من أعظم الظلم لزوجها، وهو عنده أعظم من أخذ ماله، ولهذا يجوز له قتله دفعاً عنها باتفاق العلماء إذا لم يندفع إلا بالقتل بالاتفاق، ويجوز في أظهر القولين قتله وإن اندفع بدونه، كما في قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لما أتاه رجل بيده سيف فيه دم.

وذكر أنه وجد رجلاً تفخذ امرأته فضربه بالسيف فأقره عمر على ذلك وشكراً، وقبل قوله أنه قتله لذلك إذ ظهرت دلائل ذلك.

وهذا كما لو اطلع رجل في بيته فإنه يجوز له أن يفقأ عينه ابتداء، وليس عليه أن ينذر، هذا أصح القولين، كما ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «لو اطلع رجل في بيتك ففقأ عينه ما كان عليك شيء» وكذلك قال في الذي عض يد غيره فنزع يده فانقلعت أسنان العاض.

وهذا مذهب فقهاء الحديث وأكثر السلف، وفي المتأتتين نزاع ليس هذا موضعه، إذ المقصود أن الزاني بأمرأة غيره ظالم للزوج وللزوج حق عنده، ولهذا ذكر زنى بأمرأة المجاهد فإنه يمكن يوم القيمة من حسناته يأخذ

وفي «الصحيحين» عن ابن مسعود قال: قلت: يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل الله ندأً وهو خلقك» قلت: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك» قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني بحليلة جارك» فذكر الزنا بحليلة الجار، فعلم أن للزوج حقاً في ذلك، وكان ظلم الجار أعظم؛ للحاجة إلى المجاورة.

وإن قيل : هذا قد لا يكن زوج المرأة أن يحترز منه ، والجار عليه حق زائد على حق الأجنبي ، فكيف إذا ظلم في أهله والجيران يأمن بعضهم بعضاً ، ففي هذا من الظلم أكثر مما في غيره ، وجاره يجب عليه أن يحفظ امرأته من غيره ، فكيف يفسدتها هو .

فلما كان الزنا بالمرأة المزوجة له علتان كل منها تستقل بالتحرير ، مثل لحم الخنزير الميت : علل يوسف ذلك بحق الزوج ، وإن كان كل من الأمرين مانعاً له ، وكان في تعليله بحق الزوج فوائد : «منها» : أن هذا مانع تعرفه المرأة وتعذرها به ، بخلاف حق الله تعالى فإنها لا تعرف عقوبة الله في ذلك .

و«منها» : أن المرأة قد ترتدع بذلك ، فترعنى حق زوجها ، إما خوفاً وإما رعاية لحقه ، فإنه إذا كان الملوك يتمنع عن هذا رعاية لحق سيده فالمرأة أولى بذلك ، لأنها خائنة في نفس المقصود منها ، بخلاف الملوك فإن المطلوب منه الخدمة ، وفاحشته بمنزلة سرقة المرأة من ماله .

و«منها» : أن هذا مانع مؤيس لها ، فلا تطمع فيه لا بنكاح ولا بسفاح ، بخلاف الخلية من الزوج ، فإنها تطمع فيه بنكاح حلال .

و«منها» : أنه لو علل بالزنا فقد تسعى هي في فراق الزوج ، والتزوج به ، فإن هذا إنما يحرم لحق الزوج خاصة ، ولهذا إذا طلقت امرأته باختياره جاز لغيره أن يتزوجها . ولو طلقها ليتزوج بها - كما قال سعد بن الربيع لعبد الرحمن بن عوف : إن لي امرأتين فاخترت أيتهما شئت حتى أطلقها وتتزوجها - لكنه بدون رضاه لا يحل ، كما في «المسندي» عن النبي ﷺ أنه قال : «ليس

منا من خبّ امرأة على زوجها، ولا عبداً على مواليه» وقد حرم النبي ﷺ أن يخطب الرجل على خطبة أخيه، ويستام على سوم أخيه، فإذا كان بعد الخطبة وقبل العقد لا يحل له أن يطلب التزوج بامرأته فكيف بعد العقد، والدخول والصحبة؟!

فلو علل بأن هذا زنا محرم ربما طمعت في أن تفارق الزوج وتتزوجه، فإن كيدهن عظيم؛ وقد جرى مثل هذا، فلما علل بحق سيده وقال: ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثَوَّاي﴾ يئست من ذلك، وعلمت أنه يراعي حق الزوج، فلا يزاحمه في امرأته البتة، ثم لو قدر مع هذا أن الزوج رضي بالفاحشة وأباح امرأته لم يكن هذا مما يبيحها لحق الله ولحقه أيضاً، فإنه ليس كل حق للإنسان له أن يسقطه، ولا يسقط بإسقاطه، وإنما ذلك فيما يباح له بذلك، وهو ما لا ضرر عليه في بذلك، مثل ما يعطيه من فضل مال ونفع.

وأما ما ليس له بذلك فلا يباح بإباحته، كما لو قال له: علمني السحر والكفر والكهانة: وأنت في حل من إصلاح لي، أو قال له: يعني رقيقاً وخذ ثمني، وأنت في حل من ذلك.

* * *

س: بين الله براءة نبيه يوسف عليه السلام من الوقوع فيما لا ينبغي، وذلك في جملة من المواطن، اذكر بعض هذه المواطن.

ج: من ذلك ما يلي:

* قول الله تبارك وتعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾.

فصرف الله عنهسوء (الذي منه مقدمات الزنا) والفحشاء (التي هي

الزنا).

- ووصفه الله بأنه من ﴿المُخلِّصين﴾ وهو لاء ينجيهم الله من الشيطان، فقد قال إبليس : ﴿فَبِعْرَتِكَ لَا غُرَيْبُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عَبَادُكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِّصُونَ﴾ .
- * قوله يوسف عليه السلام إذا دعته المرأة إلى نفسها : ﴿مَعَاذَ اللَّهُ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثَوَّيًّا إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ .
 - * وكذلك قول يوسف عليه السلام : ﴿هِيَ رَأَوْدَتِي عَنْ نَفْسِي﴾ .
 - * قوله : ﴿رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾ .
 - * اعتراف امرأة العزيز للنسوة بأنها هي المراودة له بقولها : ﴿وَلَقَدْ رَأَوْدَتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمْ﴾ . ففي ذلك أيضاً بيان إيهامه وامتناعه.
 - * اعتراف امرأة العزيز أمير الملك بذلك أيضاً إذ قالت : ﴿الآن حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رَأَوْدَتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ .
 - * اعتراف العزيز (أو الشاهد على قول من أقوال المفسرين) بنزاهة يوسف عليه السلام وذلك بقوله : ﴿إِنَّهُ مَنْ كَيْدَكُنَّ إِنْ كَيْدَكُنْ عَظِيمٌ﴾ وبقوله لها : ﴿أَسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ .
 - * شهادة الشاهد إذ قال : ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدَّ مِنْ دُبُّرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ .
 - * اعتراف النسوة ببراءة يوسف ونزاهته إذ ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ .

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى (الهم) وما المراد بقوله تعالى:
 ﴿ وَلَقَدْ هَمَتْ بِهِ وَهُمْ بِهَا ؟﴾

ج: بين يديّ الحواب، أذكر- وبالله التوفيق - بما يلي:
 اعلم أولاً: أنه لم يأت نصٌّ من الكتاب أو السنة بتفسير (الهم) الذي
 صدر من يوسف عليه السلام .

ثانياً: صحت بعض الآثار عن الصحابة والتابعين مؤداها أن يوسف عليه
 السلام جلس مجلس الرجل من أمراته (بدون جماع)، وغالب ظننا أن
 هذه الآثار متلقياً من الأخبار الإسرائيلية، ولا ننفرد - في هذا الموطن على
 وجه الخصوص - هذه الأخبار، ولا نقول بمقتضاهما، وذلك لبراءة يوسف
 عليه السلام الناصعة - (وطرف) منها في السؤال الذي تقدم ذكره .

ثالثاً: إن كلمة الهم تعدد معانيها، وفيهم معناها من السياق الذي وردت
 فيه بضميمة القواعد العامة للشريعة .

وعلى إثر ذلك أقول مستعيناً بالله عز وجل:

قد قال الطبرى رحمه الله:

ومعنى (الهم بالشيء) في كلام العرب: حديث المرأة نفسه بمواقعه ما لم
 يُ الواقع .

* أما هم المرأة بيوسف المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَتْ بِهِ ﴾ فمنه -
 والله أعلم - حديثها نفسها بمواقعه لها ورغبتها في ذلك وطلبتها ذلك منه
 وبذلها نفسها له وسعيها في ذلك بمحاولة جذبه إليها ومطاردتها له كي توقعه
 في الفاحشة .

* أما هم يوسف بها، فالظاهر، والله أعلم، أنه حديث النفس الذي حدثه به نفسه، ولكنه ترك العمل به خوفاً من الله وابتغاء وجهه سبحانه، ومن المعلوم أن الشخص إذا هم بالسيئة ولم يعملاها وتركها من أجل الله فإنه يثاب على ذلك وتكتب له حسنة، ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله: إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوا عليه حتى يعملاها فاكتبواها بمثلها وإن تركها من أجلني فاكتبواها له حسنة».

وفي حديث الثلاثة أصحاب الغار الذين انطبقت على غارهم صخرة فقاموا يتسلون بصالح أعمالهم، فيه . . . «فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس إليَّ، ولاني راودتها عن نفسها فأبْتَ إلا أن آتَيْها بمائة دينار، فطلبتها حتى قدرت، فأبْتَها بها فدفعتها إليها ، فأمكنتني من نفسها فلما قعدت بين رجليها فقالت: اتق الله ولا تغضن الخاتم إلا بمحقمه. فقمت وتركت المائة دينار، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك من خشيتك ففرجَ عنا. ففرجَ الله عنهم فخرجو»^(٢).

فهذا هو الذي ترجع لي في أمر (الهم) الذي صدر من النبي الله الكريم يوسف عليه السلام، أنه حديث نفس ترك لوجه الله فأثابه الله لهذا الترك ورفع درجته .

وهذا قول كثير من المحققين من المفسرين، وما هي بعض أقوالهم :

(١) البخاري (حديث ٧٥٠١)، ومسلم (الحديث ١٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٦٥)، ومسلم (الحديث ٢٧٤٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً.

قال البغوي رحمة الله تعالى:

وقال بعض أهل الحقائق: الهم همان:

هم ثابت: وهو إذا كان معه عزم وعقد ورضا، مثل هم امرأة العزيز، والعبد مأخوذ به.

وهم عارض: وهو الخطرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف عليه السلام، والعبد غير مأخوذ به ما لم يتكلم أو يعمل.

وقال الشنقيطي رحمة الله في «أضواء البيان»:

فإن قيل: قد بيتم دلالة القرآن على براءته عليه السلام مما لا ينبغي في الآيات المقدمة، ولكن ماذا تقول في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ بِهَا﴾.

فالجواب من وجهين.

الأول أن المراد بهم يوسف بها خاطر قلبي صرفه عنه وازع التقوى. وقال بعضهم: هو الميل الطبيعي والشهوة الغريزية المزومة بالتقوى، وهذا لا معصية فيه؛ لأنه أمر جبلي لا يتعلّق به التكليف، كما في الحديث عنه عليه السلام: أنه كان يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما لا أملك» يعني ميل القلب الطبيعي.

ومثال هذا: ميل الصائم بطبعه إلى الماء البارد، مع أن تقواه تمنعه من الشرب وهو صائم، وقد قال عليه السلام: «ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة كاملة» لأنّه ترك ما تمثّل إليه نفسه بالطبع خوفاً من الله، وامتناعاً لأمره، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾.

وهم بني حارثة وبني سلمة بالفරار يوم أحد، كهم يوسف هذا، بدليل قوله: ﴿إِذْ هَمْتَ طَائِقَاتٍ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشِلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ لأن قوله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ يدل على أن ذلك الهم ليس بمعصية، لأن اتباع المعصية بولاية الله بذلك العاصي إغراء على المعصية.

والعرب تطلق الهم وتريد به المحبة والشهوة، فيقول الإنسان فيما لا يحبه ولا يشتهيه: هذا ما يهمني، ويقول فيما يحبه ويشتهيه: هذا أهم الأشياء إلى، بخلاف هم امرأة العزيز، فإنه هم عزم وتصميم، بدليل أنها شقت قميصه من دبر وهو هارب عنها، ولم يمنعها من الوقوع فيما لا ينبغي إلا عجزها عنه.

ومثل هذا التصميم على المعصية: معصية يؤخذ بها صاحبها، بدليل الحديث الثابت في «ال الصحيح» عنه عليه السلام من حديث أبي بكرة: «إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار» قالوا: يا رسول الله قد عرفنا القاتل بما بال المقتول؟ قال: «إنه كان حريصاً على قتل صاحبه». يصرح عليه السلام بأن تصميماً عزمه على قتل صاحبه معصية أدخله الله بسببها النار.

وأما تأويلهم هم يوسف بأنه قارب الهم ولم يهم بالفعل، كقول العرب: قتلته لو لم أخف الله، أي قاربت أن أقتلها، كما قاله الزمخشري.

وتأويل الهم بأنه هم بضربيها، أو هم بدفعها عن نفسه، فكل ذلك غير ظاهر، بل بعيد من الظاهر ولا دليل عليه.

والجواب الثاني: وهو اختيار أبي حيان: أن يوسف لم يقع منه هم أصلاً، بل هو منفي عنه لوجود البرهان.

قال مقيده - عفا الله عنه -: هذا الوجه الذي اختاره أبو حيان وغيره هو

أخرى الأقوال على قواعد اللغة العربية، لأن الغالب في القرآن وفي كلام العرب: أن الجواب المحذوف يذكر قبله ما يدل عليه، كقوله: ﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ أي إن كتم مسلمين فتوكلوا عليه، فال الأول: دليل الجواب المحذوف لا نفس الجواب، لأن جواب الشروط وجواب «لولا» لا يتقدم، ولكن يكون المذكور قبله دليلاً عليه كآلية المذكورة، وقوله: ﴿هُوَ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي إن كتم صادقين فهاتوا برهانكم.

وعلى هذا القول فمعنى الآية: وهم بها لولا أن رأى برهان ربه، أي لولا رأاه هم بها، فما قبل «لولا» هو دليل الجواب المحذوف، كما هو الغالب في القرآن واللغة.

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبِطَنَا عَلَيْهِ قَلْبَهَا﴾ فما قبل «لولا» دليل الجواب، أي لولا أن ربطنا على قلبها لكادت تبدي به. وأعلم أن جماعة من علماء العربية أجازوا تقديم جواب «لولا» في قوله: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ هو ما قبله من قوله: ﴿وَهُمْ بِهَا﴾ وإلى جواز التقديم المذكور ذهب الكوفيون، ومن أعلام البصريين: أبو العباس المبرد، وأبو زيد الأنباري.

وقال الشيخ أبو حيان في «البحر المحيط» ما نصه:

والذي اختاره أن يوسف عليه السلام لم يقع منه هم بها أبنته، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان؛ كما تقول: لقد قارفت لولا أن عصمت الله. ولا نقول: إن جواب «لولا» متقدم عليها، وإن كان لا يقوم دليل على امتناع ذلك بل صريح أدوات الشروط العاملة مختلف في جواز تقديم أجوبتها عليها. وقد ذهب إلى ذلك الكوفيون، ومن أعلام البصريين: أبو زيد

الأنصاري وأبو العباس المبرد.

بل نقول: إن جواب «لولا» ممحذوف لدلالة ما قبله عليه، كما يقول جمهور البصريين في قول العرب: أنت ظالم إن فعلت؛ فيقدرونـهـ: إن فعلت فأنت ظالمـ. ولا يدل قولهـ أنت ظالمـ على ثبوت الظلمـ، بل هو مشتبـ على تقدير وجود الفعلـ، وكذلك هنا التقديرـ: لولاـ أن رأـيـ بـرهـانـ رـبـهـ لـهـمـ بهاـ، فـكانـ وـجـودـ الـهـمـ عـلـىـ تـقـدـيرـ اـنـتـفـاءـ رـؤـيـةـ الـبـرـهـانـ فـاـنـتـفـيـ الـهـمـ، وـلاـ التـفـاتـ إـلـىـ قـوـلـ الزـجـاجـ. وـلـوـ كـاـنـ الـكـلـامـ: وـلـهـمـ بـهـاـ كـاـنـ بـعـيـداـ، فـكـيـفـ مـعـ سـقـوـطـ الـلـامـ؟ لـأـنـ يـوـهـمـ أـنـ قـوـلـهـ: «هـمـ بـهـاـ»، هـوـ جـوـابـ «لـوـلـاـ» وـنـحـنـ لـمـ نـقـلـ بـذـلـكـ، وـإـنـاـ هـوـ دـلـيـلـ الـجـوـابـ.

وـعـلـىـ تـقـدـيرـ أـنـ يـكـوـنـ نـفـسـ الـجـوـابـ فـالـلـامـ لـيـسـ بـلـازـمـةـ، لـجـواـزـ أـنـ يـأـتـيـ جـوـابـ «لـوـلـاـ» إـذـاـ كـاـنـ بـصـيـغـةـ الـماـضـيـ بـالـلـامـ. وـبـغـيـرـ لـامـ تـقـوـلـ: لـوـلـاـ زـيـدـ لـأـكـرـمـتـكـ. وـلـوـلـاـ زـيـدـ أـكـرـمـتـكـ.

فـمـنـ ذـهـبـ إـلـىـ أـنـ قـوـلـهـ: «هـمـ بـهـاـ» نـفـسـ الـجـوـابـ لـمـ يـبـعـدـ: وـلـاـ التـفـاتـ لـقـوـلـ اـبـنـ عـطـيـةـ: إـنـ قـوـلـ مـنـ قـالـ: إـنـ الـكـلـامـ قـدـتـمـ فـيـ قـوـلـهـ: ﴿وَلَقَدْ هَمَتْ بِهِ﴾ وـإـنـ جـوـابـ «لـوـلـاـ» فـيـ قـوـلـهـ: ﴿وَهُمْ بِهَا﴾ وـإـنـ الـمـعـنـىـ: لـوـلـاـ أـنـ رـأـيـ بـرـهـانـ رـبـهـ لـهـمـ بـهـاـ، فـلـمـ يـهـمـ يـوـسـفـ عـلـىـ السـلـامـ قـالـ: وـهـذـاـ قـوـلـ يـرـدـهـ لـسـانـ الـعـربـ وـأـقـوـالـ السـلـفـ. اـهـ.

أـمـاـ قـوـلـهـ: يـرـدـهـ لـسـانـ الـعـربـ فـلـيـسـ كـمـاـ ذـكـرـ، وـقـدـ اـسـتـدـلـ مـنـ ذـهـبـ إـلـىـ جـواـزـ ذـلـكـ بـوـجـودـهـ فـيـ لـسـانـ الـعـربـ، قـالـ اللـهـ تـعـالـىـ: ﴿إـنـ كـادـتـ لـتـبـدـيـ بـهـ لـوـلـاـ أـنـ رـبـطـنـاـ عـلـىـ قـلـبـهـاـ لـتـكـوـنـ مـنـ الـمـؤـمـنـينـ﴾ فـقـوـلـهـ: ﴿إـنـ كـادـتـ لـتـبـدـيـ بـهـ﴾: إـمـاـ أـنـ يـتـخـرـجـ عـلـىـ أـنـ الـجـوـابـ عـلـىـ مـاـ ذـهـبـ إـلـىـ ذـلـكـ الـقـائـلـ، وـإـمـاـ أـنـ

يتخرج على ما ذهبا إليه من أنه دليل الجواب، والتقدير: لو لا أن ربنا على قلبها لكادت تبدي به.

وأما أقوال السلف: فنعتقد أنه لا يصح عن أحد منهم شيء من ذلك، لأنها أقوال متكاذبة ينافق بعضها بعضاً، مع كونها قادحة في بعض فساق المسلمين فضلاً عن المقطوع لهم بالعصمة.

والذي روي عن السلف لا يساعد عليه كلام العرب؛ لأنهم قدروا جواب «لولا» محدوداً ولا يدل عليه دليل؛ لأنهم لم يقدروا «لهم بها» ولا يدل كلام العرب إلا على أن يكون المذوق من معنى ما قبل الشرط؛ لأن ما قبل الشرط دليل عليه اهـ. محل الغرض من كلام أبي حيان بلفظه.

وقد قدمنا أن هذا القول هو أجرى الأقوال على لغة العرب، وإن زعم بعض العلماء خلاف ذلك.

فيهذين الجوابين تعلم أن يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بريء من الواقع فيما لا ينبغي، وأنه إما أن يكون لم يقع منه هم أصلاً بناء على أن الهم معلق بأداة الامتناع التي هي «لولا» على انتفاء رؤية البرهان، وقد رأى البرهان فانتفى المعلق عليه، وبيانفائه ينتفي المعلق الذي هو همه بها كما تقدم أيضاً في كلام أبي حيان.

وإما أن يكون همه خاطراً قليلاً صرف عنه وازع التقوى أو هو الشهوة والميل الغريزي المزوم بالتقوى كما أوضحناه، فبهذا يتضح لك أن قوله: «وهم بها» لا يعارض ما قدمنا من الآيات على براءة يوسف من الواقع فيما لا ينبغي.

أما الرازي^(١) فقد سلك مسلكًا آخر، فقال بعد أن أورد الأدلة على براءة يوسف عليه السلام مما نسب إليه :

وإذا عرفت هذا فنقول : الكلام على ظاهر هذه الآية يقع في مقامين :

المقام الأول : أن نسلم أن يوسف عليه السلام هم بها ، والدليل عليه : أنه تعالى قال : «وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ» وجواب «لولا» هنا مقدم ، وهو كما يقال : قد كنت من الهالكين لو لا أن فلانا خلصك ، وطعن الزجاج في هذا الجواب من وجهين :

الأول : أن تقديم جواب «لولا» شاذ وغير موجود في الكلام الفصيح .

الثاني : أن «لولا» يجاب جوابها باللام ، فلو كان الأمر على ما ذكرتم لقال : ولقد همت ولهم بها لولا .

وذكر غير الزجاج سؤالاً ثالثاً وهو أنه : لو لم يوجد لهم لما كان لقوله : «لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ» فائدة .

واعلم أن ما ذكره الزجاج بعيد؛ لأننا نسلم أن تأخير جواب «لولا» حسن جائز ، إلا أن جوازه لا يمنع من جواز تقديم هذا الجواب ، وكيف ونقل عن سيبويه أنه قال : إنهم يقدمون الأهم فالأهم ، والذي هم بشأنه فكان الأمر في جواز التقديم والتأخير مربوطاً بشدة الاهتمام ، وأما تعين بعض الألفاظ بالمنع فذلك مما لا يليق بالحكمة ، وأيضاً ذكر جواب «لولا» باللام جائز . أما هذا لا يدل على أن ذكره بغير اللام لا يجوز ، ثم إننا نذكر آية أخرى تدل على

(١) سبق وبيننا في جملة مواطن أن الرازي رحمة الله له آراء شاذة في عدة مسائل ولكننا ننتقي من تفسيره ما نراه قد أصاب فيه ووافق غيره ، أو ما له وجه محتمل ، وبالله التوفيق .

فساد قول الزجاج في هذين السؤال، وهو قوله تعالى: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَى قُلُوبِهَا﴾.

وأما السؤال الثالث: وهو أنه لو لم يوجد الهم لم يبق لقوله: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ فائدة.

فنتقول: بل فيه أعظم الفوائد، وهو: بيان أن ترك الهم بها ما كان لعدم رغبته في النساء وعدم قدرته عليهن، بل لأجل أن دلائل دين الله منعه عن ذلك العمل، ثم نقول: إن الذي يدل على أن جواب «لولا» ما ذكرناه أن «لولا» تستدعي جواباً، وهذا المذكور يصلح جواباً له، فوجوب الحكم بكونه جواباً لا يقال: إننا نضمر له جواباً، وترك الجواب كثير في القرآن، لأننا نقول: لا نزاع أنه كثير في القرآن، إلا أن الأصل أن لا يكون ممحذوفاً. وأيضاً فالجواب إنما يحسن تركه وحذفه إذا حصل في اللفظ ما يدل على تعينه، ومهما بتقدير أن يكون الجواب ممحذوفاً فليس في اللفظ ما يدل على تعين ذلك الجواب، فإن هنا أنواعاً من الإضمارات يحسن إضمار كل واحد منها، وليس إضمار بعضها أولى من إضمار الباقي فظهر الفرق. والله أعلم.

المقام الثاني: في الكلام على هذه الآية أن نقول: سلمنا أن الهم قد حصل إلا أنا نقول: إن قوله: ﴿وَهُمْ بِهَا﴾ لا يمكن حمله على ظاهره لأن تعليق الهم بذات المرأة محال لأن الهم من جنس القصد، والقصد لا يتعلق بالذوات الباقية، فثبت أنه لا بد من إضمار فعل مخصوص يجعل متعلق ذلك الهم وذلك الفعل غير مذكر، فهم زعموا أن ذلك المضمر هو إيقاع الفاحشة بها، ونحن نضمر شيئاً آخر يغاير ما ذكروه، وبيانه من وجوه:

الأول: المراد أنه عليه السلام هم بدفعها عن نفسه ومنعها عن ذلك القبيح، لأن الهم هوقصد، فوجب أن يحمل في حق كل أحد على القصد الذي يليق به، فاللائق بالمرأة القصد إلى تحصيل اللذة والتنعم والتتمتع واللائق بالرسول المبعوث إلى الخلق القصد إلى زجر العاصي عن معصيته وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقال: هممت بفلان أي بضربه ودفعه.

فإن قالوا: فعلى هذا التقدير لا يبقى لقوله: «لَوْلَا أَن رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ» فائدة.

قلنا: بل فيه أعظم الفوائد، وبيانه من وجهين:

الأول: أنه تعالى أعلم يوسف عليه السلام أنه لو هم بدفعها لقتلته أو ل كانت تأمر الحاضرين بقتلها، فأعلمه الله تعالى أن الامتناع من ضربها أولى صوناً للنفس عن الهلاك.

والثاني: أنه عليه السلام لو اشتغل بدفعها عن نفسه فربما تعلقت به، فكان يتمزق ثوبه من قدامه، وكان في علم الله تعالى أن الشاهد يشهد بأن ثوبه لو تمزق من قدامه لكانت يوسف هي الخائن، ولو كان ثوبه ممزقاً من خلفه وكانت المرأة هي الخائنة، فالله تعالى أعلمه بهذا المعنى، فلا جرم لم يشتعل بدفعها عن نفسه بل ولـى هارباً عنها، حتى صارت شهادة الشاهد حجة له على براءته عن المعصية.

الوجه الثاني في الجواب: أن يفسر الهم بالشهوة، وهذا مستعمل في اللغة الشائعة. يقول القائل فيما لا يشتهيه: ما يهمني هذا، وفيما يشتهيه:

هذا أهم الأشياء إلي ، فسمى الله تعالى شهوة يوسف عليه السلام همّا .
فمعنى الآية: ولقد اشتهرت واشتهاها لو لا أن رأى برهان ربه لدخل ذلك العمل في الوجود .

الثالث: أن يفسر الهم بحديث النفس ، وذلك لأن المرأة الفائقة في الحسن والجمال إذا تزينت وتهيأت للرجل الشاب القوي فلا بد وأن يقع هناك بين الحكمة والشهوة الطبيعية وبين النفس والعقل مجازيات ومنازعات ، فتارة تقوى داعية الطبيعة والشهوة وتارة تقوى داعية العقل والحكمة . فالله عبارة عن جواذب الطبيعة ، ورؤيا البرهان عبارة عن جواذب العبودية .

ومثال ذلك : أن الرجل الصالح الصائم في الصيف الصائف ، إذا رأى الجلاب المبرد بالثلج فإن طبيعته تحمله على شربه ، إلا أن دينه وهداه يمنعه منه ، فهذا لا يدل على حصول الذنب ، بل كلما كانت هذه الحالة أشد كانت القوة في القيام بلوازم العبودية أكمل ، فقد ظهر بحمد الله تعالى صحة هذا القول الذي ذهبنا إليه ولم يبق في يد الواحدي إلا مجرد التصلف وتعديل أسماء المفسرين ، ولو كان قد ذكر في تقرير ذلك القول شبهة لأجبنا عنها ، إلا أنه ما زاد على الرواية عن بعض المفسرين .

وأنقل هنا قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من «مجموع الفتاوى»، قال رحمه الله :

ويوسف عليه الصلاة والسلام لم يذكر الله تعالى عنه في القرآن أنه فعل مع المرأة ما يتوب منه ، أو يستغفر منه أصلاً . وقد اتفق الناس على أنه لم تقع منه فاحشة ، ولكن بعض الناس يذكر أنه وقع منه بعض مقدماتها ، مثل ما

يدكرون أنه حل السراويل وقعد منها مقعد الخاتن، ونحو هذا، وما ينقلونه في ذلك ليس هو عن النبي ﷺ، ولا مستند لهم فيه إلا النقل عن بعض أهل الكتاب، وقد عُرف كلام اليهود في الأنبياء وغضهم منهم، كما قالوا في سليمان ما قالوا، وفي داود ما قالوا، فلو لم يكن معناه بيرد نقلهم لم نصدقهم فيما لم نعلم صدقهم فيه، فكيف نصدقهم فيما قد دل القرآن على خلافه؟

والقرآن قد أخبر عن يوسف من الاستعصام والتقوى والصبر في هذه القضية ما لم يذكر عن أحد نظيره، فلو كان يوسف قد أذنب لكان إما مصراً وإما تائباً، والإصرار ممتنع، فتعين أن يكون تائباً. والله لم يذكر عنه توبة في هذا ولا استغفاراً كما ذكر عن غيره من الأنبياء؛ فدل ذلك عن أن ما فعله يوسف كان من الحسنات المبرورة والمساعي المشكورة، كما أخبر الله عنه بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَنْ يَعْقِلُ وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وإذا كان الأمر في يوسف كذلك؛ كان ما ذكر من قوله: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَا مَأْرَأَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ إنما يناسب حال امرأة العزيز لا يناسب حال يوسف، فإضافة الذنوب إلى يوسف في هذه القضية فريدة على الكتاب والرسول، وفيه تحريف للكلم عن مواضعه، وفيه الاغتياب لنبي كريم، وقول الباطل فيه بلا دليل، ونسبته إلى ما نزعه الله منه، وغير مستبعد أن يكون أصل هذا من اليهود أهل البهت، الذين كانوا يرمون موسى بما برأه الله منه، فكيف بغيره من الأنبياء؟

وقد تلقى نقلهم من أحسن به الظن، وجعل تفسير القرآن تابعاً لهذا الاعتقاد.

واعلم أن المنحرفين في مسألة العصمة على طرفي نقىض ، كلاماً مخالف لكتاب الله من بعض الوجوه: قوم أفرطوا في دعوى امتناع الذنوب ، حتى حرفوا نصوص القرآن المخبرة بما وقع منهم من التوبة من الذنوب ، ومغفرة الله لهم ، ورفع درجاتهم بذلك . وقوم أفرطوا في أن ذكر واعتئهم ما دل القرآن على براءتهم منه ، وأضافوا إليهم ذنوباً وعيوباً نزههم الله عنها . وهؤلاء مخالفون للقرآن وهؤلاء مخالفون للقرآن ، ومن اتبع القرآن على ما هو عليه من غير تحريف كان من الأمة الوسط ، مهتدياً إلى الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

قال النبي ﷺ : «اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون» وقد ثبت في «ال الصحيح » عن النبي ﷺ أنه قال : «لتتبين سنن من كان قبلكم حذوا القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا : يا رسول الله ! اليهود والنصارى ؟ قال : «فمن ؟!» وفي الحديث الآخر الذي في «ال الصحيح » : «لتأخذن أمتي مأخذ الأمم قبلها، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع» قالوا : يا رسول الله ! فارس والروم ؟ قال : «ومن الناس إلا هؤلاء؟» .

ولا ريب أنه صار عند كثير من الناس من علم أهل الكتاب ومن فارس والروم ما دخلوه في علم المسلمين ودينهـم وهم لا يشعرون ، كما دخل كثير من أقوال المشركين من أهل الهند واليونان وغيرـهم ، والمجوس والفرس والصابئـين من اليونان وغيرـهم في كثير من المتأخرـين لا سيما في جنس المتكلـفة والمتكلـمة .

ودخلـ كثير من أقوال أهل الكتاب اليهود والنصارى في طائفة هـم أمثل

من هؤلاء، إذ أهل الكتاب كانوا خيراً من غيرهم.

ولما فتح المسلمون البلاد كانت الشام ومصر ونحوهما مملوقة من أهل الكتاب، النصارى واليهود، فكانوا يحدثونهم عن أهل الكتاب بما بعضه حق وبعضه باطل، فكان من أكثرهم حديثاً عن أهل الكتاب كعب الأحبار. وقد قال معاوية رضي الله عنه: ما رأينا في هؤلاء الذين يحدثوننا عن أهل الكتاب أصدق من كعب، وإن كنا لنبلوا عليه الكذب أحياناً.

أما الحبر الكريم عبد الله بن عباس رضي الله عندهما فقد ورد عنه من طرق عند الطبرى^(١) وغيره أنه سئل عن هم يوسف ما يبلغ؟ قال: حلّ الهميان وجلس منها مجلس الخاتم، «أي جلس كما يجلس الرجل من أمراته قبل الجماع».

وهذا الذي روی عن ابن عباس رضي الله عندهما غالب ظني أنه تلقاه من الإسرائيликـات، والله تعالى أعلم.

هذا، وقد أورد الطبرى سؤالاً حول هذا الأخير فقال: وكيف يجوز أن يوصف يوسف بمثل هذا، وهو لله نبى؟ قيل: إن أهل العلم اختلفوا في ذلك:

قال بعضهم: كان من ابتدىء من الأنبياء بخطيئة، فإنما ابتلاه الله بها ليكون من الله عز وجل على وجـل إذا ذكرها، فيجد في طاعته إشفاقاً منها، ولا يتكل على سعة عفو الله ورحمته.

وقال آخرون: بل ابتلاهم الله بذلك، ليعرفـهم موضع نعمته عليهم،

(١) الطبرى (١٦/٢٥-٢٦-٢٧).

بصفحه عنهم، وتركه عقوبته عليه في الآخرة.

وقال آخرون: بل ابتلهم بذلك ل يجعلهم أئمة لأهل الذنب في رجاء رحمة الله، وترك الإياس من عفوه عنهم إذا تابوا.

وأما آخرون من خالف أقوال السلف، وتأولوا القرآن بآرائهم، فإنهم قالوا في ذلك أقوالاً مختلفة.

فقال بعضهم: معناه: ولقد همت المرأة بيوسف، وهم بها يوسف أن يضرها أو ينالها لهمّها به مما أرادته من المكروه، لو لا أن يوسف رأى برهان ربه، وكفَه ذلك عما هم به من أذاها، لأنها ارتدعت من قبل نفسها. قالوا: والشاهد على صحة ذلك قوله: ﴿كَذَلِكَ لَنْصَرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾. قالوا: فالسوء هو ما كان هم به من أذاها، وهو غير «الفحشاء».

وقال آخرون منهم: معنى الكلام: ولقد همت به، فتناهى الخبر عنها. ثم ابتديء الخبر عن يوسف فقيل: «وهم بها يوسف لو لا أن رأى برهان ربه»، كأنهم وجهوا معنى الكلام إلى أن يوسف لم يهم بها، وأن الله إنما أخبر أنَّ يوسف لو لا رؤيته برهان ربه لهم بها، ولكنه رأى برهان ربه فلم يهم بها، كما قيل: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

قال أبو جعفر: ويفسد هذين القولين: أن العرب لا تقدم جواب «الولا» قبلها، لا تقول: «لقد قمت لو لا زيد»، وهي تريده: «لو لا زيد لقد قمت»، هذا مع خلافهما جميع أهل العلم بتأويل القرآن، الذين عنهم يؤخذ تأويله.

وقال آخرون منهم: بل قد همَّت المرأة بيوسف، وهم يوسف بالمرأة، غير أن همَّهما كان تقييلاً منهما بين الفعل والترك، لا عزماً ولا إرادة، قالوا: ولا حرج في حديث النفس، ولا في ذكر القلب، إذالم يكن معهما عزمٌ ولا فعلٌ.

* * *

س: ما هذا البرهان الذي رأه يوسف عليه السلام فانكف بسببه عن المعصية وترك من أجله مواقعة الخطيئة؟

ج: ابتداءً: لم يصح في تفسير هذا البرهان خبرُ عن رسول الله ﷺ وإنما هي أقوال غير مرفوعة إليه صلوات الله وسلامه عليه، نذكر منها ما يلي:

١ - إنه نداءٌ نودي به يوسف ﷺ.

فقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهمَا عند الطبرى^(١) ، أنه قال: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ قال نودي يا يوسف، أتنى فتكون كالطير وقع ريشه فذهب يطير فلا ريش له !!

٢ - إن البرهان هو صورة يعقوب عليه السلام تراءات ليوسف عليه السلام:

فقد صح عن ابن عباس من طرق عند الطبرى أنه تمثلت له صورة أبيه يعقوب عاصًا على أصابعه (وفي رواية: أنامله) فخرجت شهوته من أنامله .

٣ - إن البرهان هو آية من آيات ربه حجزه اللهُ بها عن معصيته . ومن العلماء من قال: إن هذه الآية هي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرِبُوا الزِّنَى﴾

(١) الطبرى (١٩٠٣٢).

إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا

روى ذلك الطبرى ياسناده إلى محمد بن كعب.

ومنهم من قال : إنه رأى ثلاط آيات من كتاب الله عز وجل ، وهي :
 ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴾ وقوله : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأنٍ ﴾ [يونس: ٦١] ، وقوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ .

٤ - ذكر آخرون أن البرهان هو تمثال الملك ، وقال آخرون : هو خياله .
 وثم أقوال أخرى .

وهذه الأقوال كما قدمت لا يصح فيها شيء عن رسول الله ﷺ ، ومن ثم قال أبو جعفر الطبرى : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله جل ثناؤه أخبرهم عن هم يوسف وامرأة العزيز كل واحد منها بصاحبه ، لولا أن رأى يوسف برهان ربه ، وذلك آية من الله زجرته عن ركوب ما هم به يوسف من الفاحشة وجائز أن تكون تلك الآية صورة يعقوب ، وجائز أن تكون صورة الملك ، وجائز أن يكون الوعيد في الآيات التي ذكرها الله في القرآن على الزنا ، ولا حجة للعذر قاطعة بأي ذلك كان من أي . والصواب أن يقال في ذلك ما قاله الله تبارك وتعالى ، والإيمان به ، وترك ما عدا ذلك إلى عالمه .

* * *

س : ما جواب قوله : ﴿ لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ ؟

ج : جوابه والله أعلم : لأمضى ما هم به و فعله ، فالمعنى : فلو لا أن رأى برهان ربه لأمضى ما هم به ونفذه .

* * *

س: ووضح المراد بقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنُصْرِفَ عَنِ السُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم: كما أنتا أريننا يوسف عليه السلام برهاناً فصرف به عن الفاحشة، فكذلك نريه عند كل أمر فيه سوء يعرض له نريه من البراهين والآيات ما يدفعه ويصرفه عن ارتكاب المحرمات.

* * *

س: لماذا استبقا الباب؟ واذكر معنى الآية بمزيد من الإيضاح.

ج: يوسف بَشَّارَةً يريد الخروج، والمرأة تريد منعه من ذلك وتشبث به.

قال الطبرى رحمه الله:

يقول جل ثناوه: واستبق يوسف وامرأة العزيز باب البيت، أما يوسف فراراً من ركوب الفاحشة لما رأى برهان ربه فزجره عنها، وأما المرأة فطلبتها ليوسف لتقضى حاجتها منه التي راودته عليها، فأدركته فتعلقت بقميصه فجذبته إليها، مانعة له من الخروج من الباب، فقدته من دبر، يعني: شقته من خلف لا من قدام، لأن يوسف كان هو الهاوب، وكانت هي الطالبة.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالى عن حالهما حين خرجا يستبقان إلى الباب، يوسف هارب، والمرأة تطلبـه ليرجع إلى البيت فلحقـته في أثناء ذلك فامسـكت بقميـصـه من وزـائهـ، فقدـتـهـ قدـاـ فظـيـعاـ، يـقـالـ إـنـهـ سـقطـ عـنـهـ، وـاستـمـرـ يـوـسـفـ هـارـبـاـ ذـاهـبـاـ وهـيـ فـيـ إـثـرـهـ فـأـلـفـيـاـ سـيـدـهـاـ، وـهـوـ زـوـجـهـاـ عـنـدـ الـبـابـ فـعـنـدـ ذـلـكـ خـرـجـتـ مـاـ هـيـ فـيـ بـكـرـهـاـ وـكـيـدـهـاـ، وـقـالـتـ لـزـوـجـهـاـ مـتـنـصـلـةـ وـقـادـفـةـ يـوـسـفـ بـدـائـهـاـ ﴿مـاـ جـزـاءـ مـنـ أـرـادـ بـأـهـلـكـ سـوـءـاـ...﴾.

* * *

س: قوله: ﴿ هي راودتني عن نفسي ﴾ فيه أدب من أداب التخاطب، وضح هذا الأدب.

ج: في هذا القول من الأدب: الإيجاز في الحديث مع النساء وعدم الاسترسال معهن .

وفيه أيضاً: الإيجاز في الحديث عن السوء والشر .

في يوسف ﷺ لم يفصل ولم يوضح كيفية المراودة، بل أوجز إيجازاً، وهكذا ينبغي أن يكون الحديث عن الشر، لا يفصل فيها، أما أمور الخير فيفصل فيها للترغيب فيها، وفي فعل الخير .

ولذلك فإن الوعاظ والخطباء لا ينبغي أن يُفصلوا في الجرائم أو أمور الشر وكيف حدثت، بل يُحملوا في ذلك إجمالاً حتى لا تستقر الجرائم وطريقة ارتکابها في النفوس والأذهان .

هـ، وثم أدب آخر في قول يوسف عليه السلام ﴿ هي راودتني ﴾ مخاطباً بضمير الغائب، ولم يقل لها: أنتِ راودتني، وإنما قال ﴿ هي ﴾ حتى لا يتزدّى إلى مرحلة المهاارات إلى النساء، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى نبينا محمد وسائر الأنبياء والمرسلين .

* * *

س: ما صفة هذا الشاهد الذي شهد في قضية امرأة العزيز؟

ج: ابتداءً: لم يرد في صفتة خبر ثابت عن رسول الله ﷺ، ومن ثم فقد قال بعض العلماء كان رجلاً ذا حية، آتاه الله بعض الحكمـة .
وقال آخرون: كان صبياً في المهد .

وثم أقوال آخر شاذة في هذا الباب.

* * *

س: ما وجه قوله: ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدْرًا مِّنْ دُبُّرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾؟

ج: ذلك، والله تعالى أعلم: أن القميص إذا قدّر من دُبُّر فيستفاد من ذلك أنه كان هارباً وهي تلاحمه وتجذبه من الخلف، فلذا تمزق من الخلف، وإن كان قدّر من قبل فمعنى أنه كان يهجم عليها ويطلبها وهي تدافع عن نفسها وترده.

* * *

س: لماذا قدم الشاهد قول: ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدْرًا مِّنْ قُبْلٍ﴾ وهو يرى أن القميص قدّر من دُبُّر؟

ج: ذلك، والله أعلم: لنفي التهمة عن نفسه حتى لا يُظن أنه متحامل على امرأة العزيز، وهذا كقول مؤمن آل فرعون في شأن موسى عليه السلام: ﴿وَإِنْ يَكُنْ كَادِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبَهُ وَإِنْ يَكُنْ صَادِقًا يُصِبِّكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعْدُكُمْ﴾. وكذلك كما في آية أخرى: ﴿قُلْ لَا تُسَأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسَأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

ووجه آخر في الجواب: أن يُقال: لعله أدلى بهذه الشهادة قبل أن يرى القميص، والله أعلم.

س: إلام أشير بقوله: ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾؟

ج: هذا، والله أعلم: إشارة إلى الصنيع الذي صدر من المرأة من

مراودتها يوسف عليه السلام عن نفسه ثم إلصاقها التهمة به بقولها: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

* * *

س: من القائل ﴿يُوسُفُ أَعْرَضْ عَنْ هَذَا﴾؟

ج: في ذلك قولان:
أحدهما: أن القائل هو الشاهد.
والثاني: إنه الزوج.

* * *

س: هل كانت امرأة العزيز مؤمنة حتى يقال لها ﴿اسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكَ﴾؟
ج: لا يظهر أنها كانت مسلمة، وذلك لقول يوسف عليه السلام وهو في السجن ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مَلَةً قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾.
وعليه: فقوله لها: ﴿اسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكَ﴾ أي اطلبني مغفرة زوجك وعدم مؤاخذته لك على ما بدر منك، والله أعلم.

* * *

س: لماذا قال ﴿مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ ولم يقل «من الخاطئات»؟

ج: قال الطبرى رحمه الله:
و قيل: ﴿إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ ولم يقل «من الخاطئات» لأنه لم يقصد بذلك قصد الخبر عن النساء، وإنما قصد به الخبر عنمن يفعل ذلك فيخطئ.

وقال القرطبي رحمه الله:

ولم يقل من الخطأthat لأنَّه قصد الإخبار عن المذكُور والمؤنث فغلَبَ المذكُور.

والمعنى من الناس الخطأthatين، أو من القوم الخطأthatين، مثل: ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [التمل: ٤٣]، و﴿وَكَانَتْ مِنْ الْقَانِتِينَ﴾.

* * *

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ أُمَّرَاتُ الْعَزِيزِ تَرَاوِدُ فَتَّاهَا

عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾

فَلَمَّا سِمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مَتَّكَأً وَأَتَتْ

كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتْ أَخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُمْ أَكْبَرْنَهُمْ

وَقَطَعْنَ أَيْدِيهِنَّ وَقُلْنَ حَشَّ اللَّهُ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ ﴿٣١﴾

كَرِيمٌ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لَمْ تُنَتِّنِ فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدَنَاهُ عَنْ

نَفْسِهِ فَأَسْتَعْصَمْ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمْرُهُ لِيُسْجِنَنَّ وَلَيَكُونَا

مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي

إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبَ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ

فَأَسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ ﴿٣٣﴾

الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَأَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَتِ لِيُسْجِنُنَّهُ ،

حَتَّىٰ حِينَ ﴿٣٥﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

فتاها - شغفها حبا - ضلال مبين - مكرهن - أرسلت إليهن - أعتدت -
متكتئاً - آت - أكبرنه - حاش لله - استعصم - الصاغرين - أصبب إليهن -
بـدا لهم.

: ج:

الكلمة	معناها
فتاها	. عبدها.
شغفها حبا	دخل حبه تحت شغاف قلبها . وصل حبه إلى شغاف قلبها ، وهو غلافه المحيط به . أهللها حبا .
ضلال مبين	خطأ بين واضح ، وبعد عن الصواب شديد .
مكرهن	حديثهن الذي يكدرنها به . كيدهن .
أرسلت إليهن	دعتهن إلى منزلتها .
أعتدت	. أعدت .
متكتئاً	مجلساً للطعام . ما يتکأ عليه من الوسائل والنمارق للطعام والشراب .
آت	. أعطت .
أكبرنه	أعظمنه (أعظم من قدره و منزلته) . أجللنـه (أجللنـ شأنه) .
وش قول ضعيف وهو : (حضرـ).	وـ ثم قول ضعيف وهو : (حضرـ).
حاش لله	تنزيهـا للـه (أـي : نـزـهـ اللهـ عنـ العـجزـ أـنـ يـخـلقـ)

بشرًا كهذا، (أي: فالله قادر على خلق بشرًا كهذا الجميل المتعطف، بل وأفضل من هذا).

معاذ الله - براءة لله - امتناع يوسف عن هذا لخوفه من الله .

امتنع مستمسكًا بعصمته .
الأذلاء الحقيرين .
أميل بقلبي إليهن حبًّا .
ظهر لهم - ترجحَ عندهم - استبان لهم .

استعصم
الصاغرين
أصبُ
بدالهم



س: من الذي أشاع الخبر حتى قال نسوة في المدينة ﴿ امرأة العزيز تراود فتاتها عن نفسه ﴾؟

ج: في الغالب أن بيوت الأمراء والوزراء والملوك والكبار تكون مراقبة، ثم إن الخدم الذين بها يتحدثون عما يدور فيها في كثير من الأحيان، فلعل أحد الخدم قد تحدث بذلك أو الشاهد قد تحدث بذلك، أو امرأة العزيز أو العزيز نفسه. فالله أعلم.

* * *

س: لماذا قيل: ﴿ تراود ﴾ ولم يقل راودت؟

ج: ذلك، والله أعلم: كما قال بعض العلماء: للتنبيه على أن المراودة صارت مهنة لها وديداً.

* * *

س: كيف قيل: ﴿ تراود فتاتها ﴾ وإنما هو عبد لزوجها؟

ج: قال بعض أهل العلم إنه وهب لها.

وقال آخرون: بل نسب إليها لكونه يخدمها، وإن كانت خدمته لها بأمر زوجها.

* * *

س: لماذا وصف حديثهن بأنه مكر؟

ج: قال بعض العلماء: وإنما سمي حديثهن مكرًا لكونهن أردن من ورائهم رؤية يوسف عليه السلام، فقلن الذي قلن كي تريهن امرأة العزيز يوسف عليه السلام.

وقال بعض العلماء: إنما قيل ﴿بِمَكْرٍ هُنَّ﴾ لغيبتهن لها سميت الغيبة مكرًا الاشتراكهما في الإخفاء.

* * *

س: قول النسوة في المدينة: ﴿أَمْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ متضمن لل默ك من وجوهه، اذكر بعض هذه الوجوه؟

ج: ذكر ذلك ابن القيم^(١) رحمه الله فقال:

قول الله تعالى ذكره: ﴿وَقَالَ نَسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ أَمْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ .
هذا الكلام متضمن لوجوه من المكر.

أحدها: قولهن: «امرأة العزيز تراود فتاهما» ولم يسموها باسمها، بل ذكرها بالوصف الذي ينادي عليها بقبيح فعلها بكونها ذات بعل، فتصدور الفاحشة من ذات الزوج أقبح من صدورها من لا زوج لها.

الثاني: أن زوجها عزيز مصر، ورئيسها، وكثيرها. وذلك أقبح لوقوع الفاحشة منها.

الثالث: أن الذي تراوده ملوك لا حرّ. وذلك أبلغ في القبح.

الرابع: أنه فتاهما الذي هو في بيتها، وتحت كنفها، فحكمه حكم أهل البيت. بخلاف من تطلب ذلك من الأجنبي البعيد.

والخامس: أنها هي المراودة الطالبة.

(١) انظر: «التفسير القيم» (ص ٣١٤ - ٣١٥)، و«إغاثة اللهفان» (ص ٣٨٣).

السادس: أنها قد بلغ بها عشقها له كل مبلغ، حتى وصل حبها له إلى شغاف قلبها.

السابع: أن في ضمن هذا: أنه أَعْفَّ منها وأَبْرَرَ، وأَوْفَى، حيث كانت هي المراودة الطالبة، وهو الممتنع، عفافاً وكرماً وحياء، وهذا غاية الذم لها.

الثامن: أنهن أتين بفعل المراودة بصيغة المستقبل الدالة على الاستمرار والوقوع حالاً واستقبلاً، وأن هذا شأنها، ولم يقلن: راودت فتاهما، وفرق بين قولك: فلان أضاف ضيفاً وفلان يقرى الضيف ويطعم الطعام، ويحمل الكل فإن هذا يدل على أن هذا شأنه وعادته.

التاسع: قولهن: «إنا لزراها في ضلال مبين» أي إننا لنت凄بع منها ذلك غاية الاستقباح، فنسين الاستقباح إليهن ومن شأنهن مساعدة بعضهن ببعضًا على الهوى ولا يكدرن يرین ذلك قبيحًا، كما يساعد الرجال بعضهم ببعضًا على ذلك، فحيث استقبحن منها ذلك كان هذا دليلاً على أنه من أقبح الأمور، وأنه مما لا ينبغي أن تساعد عليه، ولا يحسن معاونتها عليه.

العاشر: أنهن جمعن لها في هذا الكلام واللوم بين العشق المفرط والطلب المفرط، فلم تقتصر في حبها، ولا في طلبها.

أما العشق فقولهن: (قد شغفها حباً) أي وصل حبه إلى شغاف قلبها.

وأما الطلب المفرط فقولهن: (تراود فتاهما) والمراودة: الطلب مرة بعدمرة فنسبوها إلى شدة العشق، وشدة الحرص على الفاحشة.

فلما سمعت بهذا المكر منهن هيات لهن مكرًا أبلغ منه، فهيات لهن متکأ، ثم أرسلت إليهن، فجمعتهن، وخبأت يوسف عليه السلام عنهن،

وقيل : إنها جملته ، وألبسته أحسن ما تقدر عليه ، وأخرجته عليهم فجأة .
فلم يرّعُهُنَّ إِلَّا وَأَحْسَنَ خَلْقَ اللَّهِ وَأَجْمَلَهُ قَدْ طَلَعَ عَلَيْهِنَّ بَغْتَةً ، فَرَاعَهُنَّ ذَلِكَ
الْمَنْظَرُ الْبَهِيُّ ، وَفِي أَيْدِيهِنَّ مُدْئِي يَقْطَعُنَّ بِهَا مَا يَأْكُلُنَّ ، فَدَهْشَنَ حَتَّىٰ قَطَعُنَّ
أَيْدِيهِنَّ ، وَهُنَّ لَا يَشْعُرُنَّ » .

* * *

س : قال تعالى : ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَاهُ﴾ فلماذا أكبرنه ؟

ج : أكبرنه لجماله الفائق وحسناته الباهر وأدبه الوفير وعفته ووقاره وفرط
حياته بِكَلَّتِهِ .

* * *

س : كيف وصفته بأنه ملك ، وهن لم يرّين الملائكة ؟

ج : لأنّه قد استقر في النفوس حسن صورة الملائكة وأنهم فوق البشر ،
وأن لا شيء أحسن من الملك .

كما أنه قد استقر في النفوس أن لا شيء أভى من الشياطين ، فلذا قال
تعالى في شجرة الزقوم : ﴿ طَلَعُهَا كَانَهُ رَءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ .

وقال بعض العلماء : ذلك لأنّ الملائكة مطهرون من المعاصي ، فقد قال
تعالى : ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمْرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ ﴾ ويوسف بِكَلَّتِهِ لما لم
يلتفت إلى النسوة شبّهنه بالملك لعفته وطهارته ، والله أعلم .

* * *

س : إذا أكره رجل بالسجن أو بالضرب على الزنا هل يزني ؟

ج : قال القرطبي رحمه الله :

ولو أكره رجل بالسجن على الزنا ما جاز له إجماعاً ، فإن أكره بالضرب

فقد اختلف فيه العلماء، وال الصحيح : أنه إذا كان فادحاً فإنه يسقط عنه إثم الزنى وحده .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله^(١) :
لكن تنازع العلماء هل يمكن الإكراه على الفاحشة؟
على قولين :

قيل : لا يمكن ، كقول أحمد بن حنبل وأبي حنيفة وغيرهما . قالوا : لأن الإكراه يمنع الانتشار .

والثاني : يمكن ، وهو قول مالك والشافعي ، وابن عقيل وغيره من أصحاب أحمد؛ لأن الإكراه لا ينافي الانتشار ، فإن الإكراه لا ينافي كون الفعل اختياراً ، بل المكره يختار دفع أعظم الشررين بالتزام أدناهما .

وأيضاً : فالانتشار بلا فعل منه ؛ بل قد يقييد ويضجع فتبasher المرأة فتتشر شهوتها فتستدخل ذكره .

فعلى قول الأولين لم يكن يحل له ما طلبت منه بحال .

وعلى القول الثاني فقد يقال : الحبس ليس بإكراه يبيح الزنا؛ بخلاف ما لو غلب على ظنه أنهم يقتلونه أو يتلفون بعض أعضائه ، فالنزاع إنما هو في هذا ، وهم لم يبلغوا به إلى هذا الحد ، وإن قيل : كان يجوز له ذلك لأجل الإكراه لكن يفوته الأفضل .

وأيضاً : فالإكراه إنما يحصل أول مرة ثم يباشر ، وتبقى له شهوة وإرادة في الفاحشة .

(١) «مجموع الفتاوى» (١١٥/١١٥ - ١١٦).

ومن قال : الزنا لا يتصور فيه الإكراه . يقول : فرق بين ما لا فعل له - كالمقييد . وبين من له فعل ، كما أن المرأة إذا أضجعت وقيدت حتى فعل بها الفاحشة لم تأثم بالاتفاق ، وإن أكرهت حتى زنت ففيه قولان ؛ هما روایتان عن أحمد ؛ لكن الجمهور يقولون : لا تأثم وقد دل على ذلك قوله تعالى : ﴿وَمَن يُكْرِهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وهؤلاء يقولون : فعل المرأة لا يحتاج إلى انتشار ، فإنما هو بالإكراه على شرب الخمر ؛ بخلاف فعل الرجل ، وبسط هذا له موضع آخر .

* * *

س : في قوله : ﴿قَالَ رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ مقدر محذوف ، ووضح هذا المقدر .

ج : هذا المقدر هو قوله «دخول» ، المعنى : يا رب ، دخول السجن أحب إليَّ .

* * *

س : ما الذي دعا به يوسف عليه السلام فأجيب بقوله تعالى : ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ﴾ ؟

ج : دعا عليه السلام بقوله : ﴿وَإِلَّا تَصْرُفْ عَنِي كَيْدُهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مَّنْ الْجَاهِلِينَ﴾ ففي هذا معنى الدعاء والمسألة ، وفيه إظهار حاله وما به ، وهذا نوع دعاء ، كما قال أياوب عليه السلام : ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِي الضرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ، وكما قال موسى عليه السلام : ﴿رَبِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ ، والله تعالى أعلم .

* * *

س: في قول يوسف عليه السلام: ﴿رَبُّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مَا يَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾ فوائد وعبر، وضع هذه الفوائد وال عبر.

ج: أوضح بعض ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله^(١) فقال: وفي قول يوسف: ﴿رَبُّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مَا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدُهُنَّ أَصْبَحُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنُّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ عبرتان: إحداهما: اختيار السجن والبلاء على الذنب والمعاصي . والثانية: طلب سؤال الله ودعائه أن يثبت القلب على دينه ويصرفه إلى طاعته، وإلا فإذا لم يثبت القلب، وإلا صبا إلى الأمرين بالذنب، وصار من الجاهلين .

ففي هذا توكل على الله واستعانة به أن يثبت القلب على الإيمان والطاعة، وفيه صبر على المحنـة والبلاء والأذى الحالـل إذا ثبت على الإيمان والطاعة . وهذا كقول موسى عليه السلام لقومه: ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُرْثِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَقْبِلِينَ﴾ لما قال فرعون: ﴿سَنُقْتَلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقُهُمْ قَاهِرُونَ﴾^(٢) قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

وكذلك قوله: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(٣) الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون .

(١) «مجموع الفتاوى» (١٥ / ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٢).

ومنه قول يوسف عليه السلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ وهو نظير قوله: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَقَوَّا لَا يَضُرُّكُمْ كِيدُهُمْ شَيْئًا﴾ وقوله: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَقَوَّا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ وقوله: ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَقَوَّا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمَدِّدُكُمْ رِبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾.

فلا بد من التقوى بفعل المأمور والصبر على المقدور، كما فعل يوسف عليه السلام: اتقى الله بالعفة عن الفاحشة، وصبر على أذاهم له بالمراءدة والحبس، واستعان الله ودعاه، حتى يثبته على العفة فتوكل عليه أن يصرف عنه كيدهن، وصبر على الحبس.

وهذا كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فَتْنَةَ النَّاسِ كَعِذَابِ اللَّهِ﴾، وكما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ أَطْمَأْنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فَتْنَةٌ أَنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾^(١) يدعوه من دون الله ما لا يضره وما لا يفعوه ذلك هو الضلالُ البعيدُ^(٢) يدعوه لمن ضره أقربُ من نفعه لبئسَ الْمَوْلَى وَلَبَئِسَ الْعَشِيرُ^(٣) فإنه لا بد من أذى لكل من كان في الدنيا، فإن الشر أعظم مما فر منه بكثير وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَئْذَنْ لَيْ وَلَا تَفْتَنِي أَلَا فِي الْفَتْنَةِ سَقَطْرَا﴾.

ومن احتمل الهاون والأذى في طاعة الله على الكرامة والعز في معصية الله. كما فعل يوسف عليه السلام وغيره من الأنبياء والصالحين. كانت العاقبة له في الدنيا والآخرة، وكان ما حصل له من الأذى قد انقلب نعيمًا وسرورًا، كما أن ما يحصل لأرباب الذنوب من التنعم بالذنوب ينقلب حزنًا

وثبوراً.

في يوسف ﷺ خاف الله من الذنوب ، ولم يخف من أذى الخلق وحبسهم إذ أطاع الله ، بل آثر الحبس والأذى مع الطاعة على الكرامة والعز وقضاء الشهوات ونيل الرياسة والمال مع المعصية ، فإنه لو وافق امرأة العزيز نال الشهوة ، وأكرمه المرأة بالمال والرياسة ، وزوجها في طاعتتها ، فاختار يوسف الذل والحبس ، وترك الشهوة والخروج عن المال والرياسة ، مع الطاعة على الرياسة والمال وقضاء الشهوة مع المعصية .

بل قدم الخوف من الخالق على الخوف من المخلوق ، وإن آذاه بالحبس والكذب فإنها كذبت عليه ؛ فزعمت أنه راودها ثم حبسته بعد ذلك» .

* * *

س: اذكر طرفاً من كيد امرأة العزيز .

ج: من ذلك قولها وقد راودت يوسف عن نفسه : ما جزا ، من أراد بأهلك سوءاً .

وكونها أعتدت لهن متكناً وقالت اخرج عليهن .

* * *

س: كيد امرأة العزيز قد عُرف ، فما الكيد الذي كادته به النساء ؟

ج: من ذلك: ترغيبهن ليوسف عليه السلام في المطاوعة (مطاوعة امرأة العزيز) والتزول عند الرغبة ، والتخويف من مخالفته أمر امرأة العزيز ، وذكر بعض العلماء أيضاً أن كل واحدةً منهم كانت تريده لنفسها وتقول له: يا يوسف اقض لي حاجتي فأنا خير لك من امرأة العزيز .

وقيل: إنه خاطب امرأة العزيز بما يصلح خطاب جماعة النساء ستراً عليها. والله أعلم.

三

س: لماذا ختمت الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾؟

ج: قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ تعليل لما قبلها من صرف الكيد، أي إنه هو السميع لدعوات الداعين له العليم بأحوال المتجهين إليه.

قلت (مصطفى): وفي هذا تعميم أيضاً لإنجابة الدعوات وحيثُ جمِيع
المبتليين على الدعاء والله أعلم.

• • •

س: هذه المحنّة التي تعرض لها نبّي الله يوسمف عليه السلام محنّة عظيمّة، بين بعض ما فيها من صعوبة.

ج: قال السعدي رحمه الله في «تفسيره»^(١):

هذه المحنـة العظـيمة أعـظم عـلـى يـوسـف مـن مـحـنة إـخـوـتـه، وـصـبـرـه عـلـيـها
أعـظم أـجـراً، لـأنـه صـبـرـ اختـيـارـ، مـع وـجـود الدـوـاعـي الكـثـيرـة لـوقـوع الفـعلـ،
فـقـدـمـ مـحـبة الله عـلـيـها.

وأما محتته بإخوته، فصبره صبر اضطرار، بمنزلة الأمراض والمكاره التي تصيب العبد بغير اختياره وليس له ملجاً إلا الصبر عليها، طائعاً أو كارهاً. وذلك أن يوسف عليه الصلاة والسلام، بقي مكرماً في بيت العزيز، وكان

(١) «تيسير الكريم الرحمن».

له من الجمال والكمال والبهاء ما أوجب ذلك، أن «راودته التي هو في بيتها عن نفسه» أي: هو غلامها، وتحت تدبيرها، والمسكن واحد يتيسر فيه إيقاع الأمر المكروه، من غير شعور أحد، ولا إحساس بشر.

وزاد المصيبة، بأن غلقت الأبواب، وصار المحل حالياً، وهم آمنان من دخول أحد عليهمما، بسبب تغلق الأبواب.

وقد دعته إلى نفسها: وقالت: هيـت لك، أي: افعل الأمر المكروه وأقبل إلىَّ.

ومع هذا فهو غريب، لا يحتمـم مثلـه ما يحـتمـمـه إذا كانـ فيـ وـطـنـهـ وـبـيـنـ مـعـارـفـهـ، وـهـوـ أـسـيرـ تـحـتـ يـدـهـ، وـهـيـ سـيـدـتـهـ، وـفـيهـ مـاـ يـدـعـوـ إـلـىـ مـاـ هـنـالـكـ، وـهـوـ شـابـ عـزـبـ، وـقـدـ توـعـدـتـهـ إـنـ لـمـ يـفـعـلـ مـاـ تـأـمـرـهـ بـهـ بـالـسـجـنـ أوـ العـذـابـ الـأـلـيمـ. فـصـبـرـ عـنـ مـعـصـيـةـ اللـهـ، مـعـ وـجـودـ الدـاعـيـ القـوـيـ فـيـهـ، لـأـنـهـ قـدـ هـمـَّ فـيـهـ هـمـَّاـ تـرـكـهـ لـلـهـ، وـقـدـ مـرـادـ اللـهـ عـلـىـ مـرـادـ النـفـسـ الـأـمـارـةـ بـالـسـوـءـ. وـرـأـيـ مـنـ بـرـهـانـ رـبـهـ وـهـوـ مـاـ مـعـهـ مـنـ عـلـمـ وـإـيمـانـ الـمـوـجـبـ لـتـرـكـ كـلـ مـاـ حـرـمـ اللـهـ مـاـ^(١)ـ أـوـجـبـ لـهـ بـعـدـ وـالـنـكـافـ عـنـ هـذـهـ الـمـعـصـيـةـ الـكـبـيرـةـ.

أما ابن القيم رحمة الله تعالى فقال «الجواب الكافي»:

«... والله سبحانه وتعالى... أخبر عن عشق امرأة العزيز ليوسف وما راودته وكادته به، وأخبر عن الحال التي صار إليها يوسف بصبره وعفته وتقواه، مع أن الذي ابتلي به أمر لا يصبر عليه إلا من صبره الله عليه، فإن موافقة الفعل بحسب قوة الداعي وزوال المانع، وكان الداعي لها هنا في غاية القوة، وذلك لوجوه:

أحدها: ما ركب الله سبحانه في طبع الرجل من ميله إلى المرأة، كما يميل العطشان إلى الماء والجائع إلى الطعام، حتى إن كثيراً من الناس يصبر عن الطعام والشراب ولا يصبر عن النساء، وهذا لا يخدم إذا صادف حلالاً، بل يحمد كما في كتاب «الزهد» للإمام أحمد من حديث يوسف بن عطية الصفار عن ثابت البناني عن أنس عن النبي ﷺ: «حبب إليَّ من دنياكم الطيب والنساء، أصبر عن الطعام والشراب ولا أصبر عنهن».

الثاني: أن يوسف عليه السلام كان شاباً، وشهوة الشاب وحدته أقوى.

الثالث: أنه كان عزباءً، لا زوجة له ولا سرية، تكسر حدة الشهوة.

الرابع: أنه كان في بلاد غربة لا يتأتى للغريب فيها من قضاء الوطر ما يتأتى لغيره في وطنه وأهله ومعارفه.

الخامس: أن المرأة كانت ذات منصب وجمال، بحيث أن كل واحد من هذين الأمرين يدعو إلى موافقتها.

السادس: أنها غير آبية ولا ممتنعة، فإن كثيراً من الناس يزيل رغبته في المرأة إياها وامتناعها، لما يجد في نفسه من ذل النفس والخضوع والسؤال لها، وكثير من الناس يزيد الإباء والامتناع حباً ورغبة، كما قال الشاعر:

وزادني كلفاً في الحب أن منعت
أحب شيء إلى الإنسان ما منعا
فطباع الناس مختلفة في ذلك:

فمنهم: من يتضاعف حبه عند بذل المرأة نفسها ورغبتها وتض محل عند إبائها وامتناعها، وأخبرني بعض القضاة أن ارادته وشهوته تض محل عند امتناع زوجته أو سريته وإبائها، بحيث لا يعاودها.

ومنهم: من يتضاعف حبه وإرادته بالمنع، ويشتد شوقه بكل ما منع، ويحصل له من اللذة بالظفر نظير ما يحصل من اللذة بالظفر بالضد بعد امتناعه ونفاره، والله بإدراك المسألة بعد استصعبها وشدة الحرص على إدراكها.

السابع: أنها طلت وأرادت وبذلت الجهد، فكتفه مؤنة الطلب وذل الرغبة إليها، بل كانت هي الراغبة الذليلة، وهو العزيز المرغوب إليه.

الثامن: أنه في دارها وتحت سلطانها وقهرها، بحيث يخسني إن لم يطأوها من أذاها له، فاجتمع داعي الرغبة والرعب.

التاسع: أنه لا يخسني أن تنم عليه هي: ولا أحد من جهتها، فإنها هي الطالبة والراغبة، وقد غلقت الأبواب وغيت الرقباء.

العاشر: أنه كان مملوكاً لها في الدار، بحيث يدخل ويخرج ويحضر معها، ولا يُنكِّر عليه، وكان الأم من سابقًا على الطلب، وهو من أقوى الدواعي، كما قيل لأمرأة شريفة من أشراف العرب: ما حملك على الزنا؟ قالت: قرب الوساد وطول السواد. تعني: قرب وساد الرجل من وسادتي، وطول السواد بيننا.

الحادي عشر: أنها استعانت عليه بأئمة المكر والاحتيال، فأرته إياهن وشكت حالها إليهن ل تستعين بهن عليه، فاستعان هو بالله عليهم فقال: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدُهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

الثاني عشر: أنها توعده بالسجن والصغار، وهذا نوع إكراه، إذ هو تهديد من يغلب على الظن وقوع ما هدد به، فيجتمع داعي الشهوة وداعي

حب السلامة من ضيق السجن والصغراء.

الثالث عشر: أن الزوج لم يظهر من الغيرة والنخوة ما يفرق به بينهما ويبعد كلاًًاً منهما عن صاحبه، بل كان غاية ما خاطبهما به إذ قال ليوسف: ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ وللمرأة: ﴿اسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ وشدة الغيرة للرجل من أقوى الموانع، وهنا لم يظهر منه غيرة.

ومع هذه الدواعي كلها: فقد آثر مرضاة الله وخوفه، وحمله حبه لله على أن يختار السجن على الزنى فقال: ﴿رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾ وعلم أنه لا يطيق صرف ذلك عن نفسه، وأن ربه تعالى إن لم يعصمه ويصرف عنه كيدهن صبا إليهن بطبعه وكان من الجاهلين، وهذا من كمال معرفته بربه وبنفسه. وفي هذه القصة من العبر والفوائد والحكم ما يزيد على ألف فائدة، لعلنا إنْ وفقنا الله أن نفرد لها في مصنف مستقل» اهـ.

* * *

س: هناك حديث ثابت صحيح عن نبينا محمد ﷺ لنبي الله يوسف فيه أكمل حظ وأوفر نصيب، اذكر هذا الحديث.

ج: هذا الحديث هو ما أخرجه البخاري ومسلم^(١) في «صححهما» من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشا في عبادة ربّه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعوا عليه وتفرقوا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق؛ أخفى حتى لا تعلم شماليه ما تتفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه».

(١) البخاري (حديث ٦٦٠)، ومسلم (حديث ١٠٣١).

س: ما المراد بالآيات في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لِيَسْجُنَنَهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾؟ ومن الذين بدا لهم؟

ج: بدا للعزيز ومن معه.

أما الآيات:

فمنها: قد القميص من دبر.

ومنها: تقطيع النسوة أيديهن.

ومنها: شهادة الشاهد.

وفي الجملة؛ فهي الآيات الدالة على صدقه وبراءته.

* * *

س: ما المراد بـ«الحين» في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لِيَسْجُنَنَهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾؟

ج: المراد، والله أعلم: أجل غير مسمى ومدة غير معلومة إلى أن ينقطع الحديث الذي قد شاع بالمدينة، الذي هو امرأة العزيز تراود فتاتها عن نفسه قد شغفها حبًا. فعموم الأخبار تأخذ أو قاتاً، ثم ينقطع الحديث فيها أو يقل ويندر، وذلك لمجيء خبر آخر هو أعظم منه، فيُنسى الناس الخبر الأول، فلكل نبأ مستقر.

وقيل أيضًا: «الحين» هو الوقت الذي فيه يرون رأيهم في يوسف عليه السلام.

* * *

وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٌ قَالَ أَحَدُهُمَا
إِنِّي أَرَنِي أَغْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَنِي أَحْمِلُ فَوْقَ
رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الظَّيْرُ مِنْهُ نَشَنَّا تَأْوِيلَهُ إِنَّا نَرَنَاكَ مِنَ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِي كُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَ فِيهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا
بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِي كُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلِمْنَا رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ
مِلَةً قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَفِرُونَ ﴿٢٧﴾
وَاتَّبَعْتُ مِلَةً إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ
لَنَا أَنْ نُشَرِّكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى
النَّاسِ وَلَنِكَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٨﴾ يَصَّحِّبِي
السِّجْنَ إِرْبَابُ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ أَوْحَدُ الْقَهَّارُ
مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَيَّتُمُوهَا أَنْتُمْ
وَإِبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَنٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ
أَمْرَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَيْمُ وَلَنِكَنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ يَصَّحِّبِي السِّجْنَ أَمَا أَحَدُكُمَا
فَيَسْقِي رَبِّهِ خَمْرًا وَأَمَا الْآخَرُ فَيَصْلُبُ فَتَأْكُلُ الظَّيْرُ
مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْفِيَانٌ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ لِلَّذِي
ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٌ مِنْهُمَا أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَهُ
الشَّيْطَانُ ذَكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضُعْفَ سِنِينَ

س: اذكر معنى ما يلي:

نبئنا بتأويله - نبأتكما بتاؤيله - ملة - لا يؤمنون بالله - يا صاحبي السجن - أرباب متفرقون - الواحد - القهار - سلطان - الحكم - الدين - القيم - يسقي ربه - بضع سنين.

: ج

الكلمة	معناها
نبئنا بتأويله	أخبرنا بما يقول إليه (بما يصير إليه).
نبأتكما بتاؤيله	أخبرتكما بتفسيره، وبما تصير إليه هذه الرؤيا.
ملة	دين.
لا يؤمنون بالله	لا يصدقون بالله، ولا يقررون بوحدانيته.
يا صاحبي	يا من هما في السجن - يا صاحبي في السجن،
السجن	وقيل: «يا صاحبي السجن» لطول بقائهم فيه،
	كما قال تعالى: ﴿أولئك أصحاب النار﴾ لطول
	بقائهم فيها.
أرباب متفرقون	أبادة أرباب شتى، متفرقون في الصغر وال الكبر
	والتوسط، ومتفرقون في العدد والصفات.
واحد	الذي لا ثانٍ له ولا شريك له.
القهار	الذي قهر كل شيء فزّلَه وسخرَه.
سلطان	حجة وبرهان، قوله: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ أي: ما أمر بعبادتها ولا أذن في ذلك.

<p>الأمر والنهي والتشريع والقضاء . المستقيم الموصل إلى كل خير بخلاف غيره من الأديان .</p> <p>يسقي سيده (وهو الملك) أي سيكون صاحب شرابه ويكون ساقيه .</p> <p>«البِضْع» : من ثلاثة إلى تسعة .</p>	<p>الحكم الدين القيم</p> <p>يسقي ربه</p> <p>بضع</p>
--	--

* * *

س: ما شأن الفتىَن الذين دخلوا السجن مع يوسف عليه السلام؟

ج: صَح عن قتادة^(١) أنه قال: كان أحدهما خبازاً للملك على طعامه، وكان الآخر ساقِيه على شرابه.

قلت (مُصطفى): والله أعلم بصحة ذلك؛ فلم يرد عن رسول الله ﷺ خبر بذلك.

هذا وما ذكره المفسرون أيضاً: أنهما اتهما بوضع السم للملك، هذا اتهم بوضع السم للملك في طعامه، وهذا اتهم بوضع السم للملك في شرابه، والله أعلم بصحة ذلك.

* * *

س: في الآية الكريمة إطلاق الاسم على الشيء باعتبار ما سيؤول إليه، ووضح ذلك.

ج: إيضاحه: أنه أطلق على العنب الخمر باعتبار ما سيؤول إليه.

فالمعنى: إنني أراني أعصر عنبًا فيؤول العنب إلى الخمر.

وذلك لأن الخمر لا يعصر، وإنما الذي يُعصر هو العنب^(٢).

* * *

س: ما الحامل للفتىَن على قولهما: {إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}؟

ج: ذلك، والله أعلم: للصلاح الذي يبدر منه من إيثار الإحسان.

(١) أخرج ذلك الطبرى.

(٢) ييد أن بعض العلماء ذكروا أن أهل عمان يطلقون العنب على الخمر، وقد ورد ذلك عند الطبرى (١٩٢٨٢) عن الضحاك.

قال الرازى في «تفسيره»:

إنه كان يعود مرضاهم، ويؤنس حزينهم، فقالوا: إنك من المحسنين.
أي: في حق الشركاء والاصحاب.

وقيل: إنه كان شديد المراقبة على الطاعات من الصوم والصلوة فقالوا:
إنك من المحسنين في أمر الدين.

ومن كان كذلك فإنه يوثق بما يقوله في تعبير الرفيا، وفي سائر الأمور.
وقيل: المراد **﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾** في علم التعبير، وذلك لأنه متى
عبر لم يخطئ كما قال: **﴿وَعَلِمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾**.

* * *

س: قوله: **﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾** فيه أدب من أدب السؤال،
وضح ذلك.

ج: إيضاحه: أنهم توسلوا إلى يوسف بإحسانه، وأثنيا عليه بذلك أيضاً.
فعليه يستحب للشخص أن يبني على المسؤول أثناء المسألة بما يعلمه فيه
من خير وإحسان، وذلك قيد أمن الفتنة، كأن تقول: يا بن المحسنين
تصدق، ويا بن الشجعان بارز الأبطال، ونحو ذلك.

* * *

س: هل رأى الفتيان رؤيا أم أنهم أدوا ذلك؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أنهم لم يروا شيئاً.

أورد الطبرى من طريق إبراهيم النخعى^(١) عن ابن مسعود قال: ما رأى

= (١) وفي رواية إبراهيم عن ابن مسعود نزاع، فلابراهيم لم يسمع من ابن مسعود، والأثر عند

صاحبَا يوْسُفَ شَيْئًا إِنَّمَا كَانَا تَحْمَلَا لِيَجْرِيَا عِلْمَهُ .

وأورد الطبرى نحو هذا عن مجاهد^(١) .

وقال آخرون: بل قد رأيا رؤيا .

* * *

س: لماذا لم يعجبهما يوسف عليه السلام مباشرةً إلى ما سأله عنه من تأويل الرؤيا؟

ج: قال بعض أهل العلم: إنه بدهما بالجواب الأنفع لهما في دينهما، فالأنفع لهما أن يُسلما، وأن يوحدا ربهم، ثم يأتي بعد ذلك تأويل الرؤيا.

وثم قول آخر: وهو أن يوسف عليه السلام أشار إليهما بتأويلها، ولكنها إشارة فيها إلماح وتعريف؛ وذلك لأن فيها ما يتزعج به أحدهما.

وها هي بعض الأقوال في ذلك:

ذكر ابن الجوزي رحمه الله في «زاد المسير» أربعة أجوبة على هذا؛ فقال: أحدها: أنه لما علم أن أحدهما مقتول، دعاهما إلى نصيهما من الآخرة. قاله قتادة.

والثاني: أنه عدل عن الجواب لما فيه من المكره لأحدهما. قاله ابن

جريج .

= الطبرى (١٩٢٧٠)، وقد أورده الطبرى من طريق إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود، لكنه من طريق ابن وكيع (١٩٢٩٧).

(١) أثر مجاهد عند الطبرى (٢٩٣٠١) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وفي رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد في التفسير كلام.

والثالث: أنه ابتدأ بدعائهم إلى الإيمان قبل جواب السؤال. قاله الرجاج.

والرابع: أنه ظنهم كاذبين في رؤياهما، فعدل عن جوابهما لعرضها عن مطالبته بالجواب، فلما أتاهما أجابهما.

وقال الطبرى رحمه الله: فإن قال قائل: ما وجه هذا الخبر ومعناه من يوسف؟ وأين جوابه الفتى؟ عما سأله من تعبير رؤياهما من هذا الكلام؟

قيل له: إن يوسف كره أن يجيبهما عن تأويل رؤياهما، لما علم من مكروه ذلك على أحدهما، فأعرض عن ذكره، وأخذ في غيره، ليعرضها عن مسألته الجواب عما سأله من ذلك.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِه﴾ من جهة الله أو الملك، والجملة صفة لـ«طعام» ﴿إِلَّا نَبَاتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيكُمَا﴾ مستأنفة جواب سؤال مقدر ومعنى ذلك: أنه يعلم شيئاً من الغيب بإلهام الله تعالى، وأنه لا يأتيهما إلى السجن طعام في اليقظة إلا أخبرهما بما هيته قبل أن يأتيهما.

وقيل: أراد به في النوم، والأول هو الأظهر، وهذا ليس من جواب سؤالهما تعبير ما قصاه عليه بل جعل عليه السلام مقدمة قبل تعبيره لرؤياهما بياناً لعلو مرتبته في العلم، وأنه ليس من المعتبرين الذين يعبرون الرؤيا عن ظن وتخمين، فهو كقول عيسى عليه السلام: ﴿وَأَنْتُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾.

وإنما قال يوسف لهم هذا؛ ليحصل الانقياد له منهما فيما يدعوهما إليه بعد ذلك من الإيمان بالله والخروج من الكفر، والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال، أي: لا يأتيكم في حال من الأحوال، إلا حال ما نبأتما، أي: بينت لكم ما هيته وكيفيته، وسماه «تاويلاً» بطريق المشاكلة؛ لأن الكلام في الرؤيا أو المعنى: إلا نبأتما بما يؤول إليه الكلام من مطابقة ما أخبركم به الواقع.

وقال القاسمي في «محاسن التأويل»:

لا يخفى أن قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ﴾ إلى هنا، مقدمة لحوار سؤالهما عن تعبير رؤياهما، مهد - عليه السلام - بها لهما ليدعوهما إلى التوحيد، ليزدادا علماً بعظم شأنه وثقة بأمره، توسلًا بذلك إلى تحقيق ما يتواخاه من هدایتهما، لا سيما وأن أحدهما ستتعاجله منيته بالصلب، فرجا أن يُختتم له بخير.

قال الزمخشري: لما استعبره ووصفه بالإحسان، افترض ذلك، فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء، وهو الإخبار بالغيب، وأنه ينبعهما بما يحمل إليهما من الطعام، وجعل ذلك تخلصاً إلى أن يذكر لهما التوحيد، ويعرض عليهمما الإيمان، ويزينه لهما، ويقبح إليهما الشرك بالله.

وهذه طريقة على كل ذي مسلم أن يسلكها مع الجهل والفسقة إذا استفتأه واحد منهم، أن يقدم الهدایة والإرشاد والمعونة الحسنة والنصيحة أولاً، ويدعوه إلى ما هو أولى به وأوجب عليه مما استفتني فيه، ثم يفتنه بعد ذلك.

وفيه: أن العالم إذا جهلت منزلته في العلم، فوصف نفسه بما هو بصدده -

وغرضه أن يقتبس منه، وينتفع به في الدين - لم يكن من باب التزكية .
انتهى .

وبعد تحقيق الحق ، ودعوتهما إليه ، وبيانه لهما مرتبة علمه ، شرع في تفسير ما استفسراه ، ولكونه بحثاً مغايراً لما سبق ، فصله عنه بتكرير الخطاب .

* * *

س: ما المراد بتأويل الطعام في قوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيْكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيْكُمَا﴾؟

ج: تأويله هو الإخبارية ، أي أنه يقول لهما : سيأتيكم طعام كيت وكيت ، والمراد بالطعام : الطعام الذي يُرسل إلى المسجونين .

* * *

س: لماذا قال يوسف عليه السلام: ﴿لَا يَأْتِيْكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيْكُمَا﴾ مع ما فيه من تزكية للنفس؟

ج: ذلك ، والله تعالى أعلم : تمهيداً للدعوتهما إلى الله عز وجل ، وإظهاراً لكونه من بيت نبوة ، وجلباً لاستماعهما وإصغائهما لما يُلقى عليهم .

* * *

س: أيد الله عز وجل يوسف عليه السلام في السجن بمعجزة ، اذكر هذه المعجزة .

ج: هذه المعجزة هي الإخبار ببعض أمور الغيب كما في قوله: ﴿لَا يَأْتِيْكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيْكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلِمْنِي رَبِّي﴾ .

* * *

س: قوله تعالى: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مَلَةً قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ من هؤلاء القوم؟

ج: قال بعض أهل العلم: هم الكنعانيون والمصريون آنذاك.

* * *

س: لماذا كررت كلمة (هم) في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾؟

ج: قال الطبرى رحمه الله:

وكررت «هم» مرتين، فقيل: ﴿وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾، لما دخل بينهما قوله: ﴿بِالآخِرَةِ﴾، فصارت «هم» الأولى كالملاحة، وصار الاعتماد على الثانية، كما قيل: ﴿وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقَنُونَ﴾ [النمل: ٢، لقمان: ٤]، وكما قيل: ﴿أَيَعْدُكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُتُمْ تَرَابًا وَعَظَامًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ﴾.

* * *

س: اذكر دليلاً على إطلاق الأب على الجد.

ج: الدليل هو قول يوسف عليه السلام: ﴿وَاتَّبَعْتُ مَلَةً آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ فإسحاق جده، وإبراهيم جد أبيه ومع ذلك قال: واتبع ملة آبائي.

* * *

س: قول يوسف عليه السلام: ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾ عائدٌ على ماذا؟

ج: عائدٌ على الإيمان والتوحيد وعدم الشرك، وعائدٌ أيضاً على العلم.

* * *

س: ما وَجَهَ الإِفْضَالُ عَلَى النَّاسِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾؟

ج: وجَهَ ذَلِكَ: أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ دُعَاءً يَهْدُونَهُمْ إِلَى الْخَيْرِ وَالْإِيمَانِ وَالجَنَّةِ، وَيَصْرِفُونَهُمْ عَنِ النَّارِ وَيَحْذِرُونَهُمْ مِنْهَا.

* * *

س: اذْكُرْ بَعْضَ الْأَدْلَةِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ.

ج: مِنَ الْأَدْلَةِ عَلَى ذَلِكَ مَا يَلِي:

* قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

* وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَعَذُّرُوا إِلَيْهِنَّ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾.

* وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾.

* وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَأْتَبْغُوا إِلَيَّ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾.

* وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهٌ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

* وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّهُ لَا إِلَهٌ إِلَّا هُوَ الْحَقُّ الْقَيُومُ﴾.

* وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهٌ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾.

* وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

* وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّهُ لَا إِلَهٌ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾.

* وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

وَالآيَاتُ فِي هَذَا الصَّدِّدِ كَثِيرَةٌ جَدًّا.

* * *

س: ما نوع الاستفهام في قوله: ﴿أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ حَيْرٌ ...﴾؟
ج: الاستفهام للإنكار.

* * *

س: اذكر آية نظير هذه الآية: ﴿أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ حَيْرٌ أَمَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾؟

ج: في معناها قول الله تبارك وتعالى: ﴿اللَّهُ حَيْرٌ أَمَا يُشْرِكُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مُثْلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءٌ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لَرْجُلٍ هَلْ يَسْتُوِيَانِ مُثْلًا﴾.

* * *

س: لماذا قال: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ ولم يقل: (ما تعبدان)؟
ج: ذلك، والله أعلم: لأنّه قصد هما ومن هم على شاكلتهما في عبادة غير الله تعالى، وقال بعض أهل العلم: ذلك لأنّه أراد من في السجن عموماً.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ﴾؟

ج: ذلك، والله أعلم: أنّهم أطلقوا على أوثانهم وأصنامهم أسماء، ولا تُثُتُّ هذه الأسماء لما تسمى بها بصلة.

فسموا أوثانهم وأصنامهم آلهة وأرباباً شركاً منهم وتشبيهاً لها بأسماء الله تعالى، وليس لها في الحقيقة أي شيء من خصائص الألوهية ولا الربوبية، فهي أصنام ليس لها من الألوهية شيء إلا الاسم الذي أطلقوا عليها.

قال ابن القيم رحمه الله في «التفسير القيم»:
 قول الله تعالى ذكره: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُوْنِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمِيتُوهَا﴾ :
 إنما عبدوا المسميات، ولكن من أجل أنهم نحلوها أسماء باطلة، كاللات
 والعزى، وهي مجرد أسماء كاذبة باطلة لا مسمى لها في الحقيقة، فإنهم
 سموها آلهة وعبدوها لاعتقادهم الإلهية لها، وليس لها من الإلهية إلا مجرد
 الأسماء لا حقيقة المسمى، فما عبدوا إلا أسماء لا حقائق لمسمياتها، وهذا
 كمن سمي قشور البصل حمّا وأكلها، فيقال: ما أكلت من اللحم إلا اسمه
 لا مسماه، وكمن سمي التراب خبزاً وأكله، يقال له: ما أكلت إلا اسم
 الخبز، بل هذا النفي أبلغ في آلهتهم، فإنه لا حقيقة لإلهيتها بوجه، وما
 الحكمة ثم إلا مجرد الاسم.
 فتأمل هذه الفائدة الشرفية في كلامه تعالى.

* * *

س: ووضح المراد بقوله: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلطَانٍ﴾ .
 ج: قال الطبرى رحمه الله:
 سموها بأسماء لم يأذن لهم بتسميتها، ولا وضع لهم على أن تلك
 الأسماء أسماؤها دلالة ولا حجة، ولكنها اختلاف منهم لها وافتراء .

* * *

س: في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ﴾ كلمة «ذلك» عائدة على ماذا؟
 ج: عائدة على التوحيد، وإفراد الله عز وجل بالعبادة.

* * *

س: هل استجابة الفتىان لدعوة يوسف عليه السلام إذ دعاهمما إلى التوحيد؟

ج: لا يظهر من السياق أنهما استجابا أو لم يستجيبا، فيحتمل أنهما استجابا له وانقادا، ويحتمل أنهما بقيا على شركهما، والله أعلم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمَا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم: أن يوسف عليه السلام قال للساقي ما حاصله: إنك سترد إلى عملك الذي كنت عليه قبل دخولك السجن وستستقي الملك خمراً.

* * *

س: لماذا أبهم يوسف عليه السلام اسم من يسقي ربه خمراً؟

ج: ذلك لأمرتين ذكرهما العلماء:

أحدهما: لكون ذلك كان مفهوماً.

الثاني: لكراهة التصریح للخباز بأنه الذي سيصلب، والله أعلم.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانٌ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم: أن هذا الأمر الذي أخبرتما به كتأويل لرؤياكم الواقع ومتتحقق لا محالة.

* * *

س: من الآيات ما يدل على أن تأويل يوسف عليه السلام للرؤيا كان بوحي، اذكر ما يدل على ذلك.

ج: دليل ذلك قوله تعالى: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانٌ﴾ .

* * *

س: هل «الظن» في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَ﴾ بمعنى اليقين أم بخلاف اليقين؟

ج: للعلماء في ذلك قولان:

أحدهما: أنه بخلاف اليقين، وهو قول قتادة كما عند الطبرى، فقد قال^(١): عبارة الرؤيا بالظن فيحق الله ما يشاء ويبطل ما يشاء.

أما الطبرى رحمه الله فقال:

وهذا الذي قاله قتادة من أن عبارة الرؤيا ظن، فإن ذلك كذلك من غير الأنبياء، فأما الأنبياء فغير جائز منها أن تخبر بخبر عن أمر أنه كائن ثم لا يكون، أو أنه غير كائن ثم يكون، مع شهادتها على حقيقة ما أخبرت عنه أنه كائن أو غير كائن؛ لأن ذلك لو جاز عليها في أخبارها لم يؤمن مثل ذلك في كل أخبارها، وإذا لم يؤمن بذلك في أخبارها، سقطت حجتها على من أرسلت إليه. فإذا كان ذلك كذلك كان غير جائز عليها أن تخبر بخبر إلا وهو حق وصدق.

فمعلوم إذا كان الأمر على ما وصفت، أن يوسف لم يقطع الشهادة على ما أخبر الفتىين اللذين استعبراه أنه كائن، فيقول لأحدهما: ﴿أَمَا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي

(١) الطبرى (١٩٣١٠).

رَبِّهِ خَمْرًا وَأَمَا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكِلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ^٢ ثم يؤكد ذلك بقوله: «فُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْفِيَانٌ»، عند قولهما: «لم نر شيئاً»، إلا وهو على يقين أن ما أخبرهما بحدوده وكونه، أنه كائن لا محالة لا شك فيه، ولقيمه يكون ذلك قال للناجي منهما: «اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ» فبَيْنَ إِذَا بِذَلِكَ فَسادُ القول الذي قاله قتادة في معنى قوله: «وقال للذي ظن أنه ناج منهما».

* * *

س: ووضح المراد بقوله: «اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ».

ج: المعنى المراد، والله أعلم: اذكرني عند سيدك، (الذي هو الملك) وأخبره بظلمتي وأنني محبوس بغير جرم.

* * *

س: استدل البعض بالآية الكريمة على جواز الاستعانة بالمشرك في بعض الأمور ووضح ذلك.

ج: إيضاحه: أن يوسف عليه السلام قال للسجناء «اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ» والسجناء مشركٌ وربه (الذي هو سيده، أي الملك) مشرك أيضاً.

* * *

س: هل في قول يوسف عليه السلام: «اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ» ما يناقض التوكل؟

ج: قال شيخ الإسلام^(١):

ليس في قوله: «اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ» ما يناقض التوكل؛ بل قد قال

(١) «المجموع» (١٥/١١٣).

يوسف : ﴿إِنَّ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ كما أن قول أبيه : ﴿لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقةٍ﴾ لم ينافض توكله ؛ بل قال : ﴿وَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلِيتوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ .

وأيضاً في يوسف قد شهد الله له أنه من عباده المخلصين ، والمخلص لا يكون مخلصاً مع توكله على غير الله ، فإن ذلك شرك ، ويوسف لم يكن مشركاً لا في عبادته ولا توكله ، بل قد توكل على ربه في فعل نفسه بقوله : ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدُهُنَّ أَصْبَحُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فكيف لا يتوكلا عليه في أفعال عباده ؟ !

وقوله : ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ مثل قوله لربه : ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَرَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِظٌ عَلَيْمٌ﴾ فلما سأله الولاية للمصلحة الدينية لم يكن هذا مناقضاً للتوكل ، ولا هو من سؤال الإمارة المنهي عنه ، فكيف يكون قوله للفتى : ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ مناقضاً للتوكل وليس فيه إلا مجرد إخبار الملك به ؛ ليعلم حاله ليتبين الحق ، ويوسف كان من أثبت الناس .

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى : ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ .

ج: في ذلك قولان لأهل العلم :

أحدهما: أنسى الشيطان يوسف ذكر الله تعالى فلجاجاً في طلب الخلاص إلى إنسان .

قال الطبرى رحمه الله:

«وقوله : ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ وهذا خبرٌ من الله جل ثناؤه عن

غَفْلَةٍ عَرَضَتْ لِيُوسُفَ مِنْ قَبْلِ الشَّيْطَانِ، نَسِيَ لَهَا ذِكْرَ رَبِّهِ الَّذِي لَوْ بَهُ استغاثَ لِأَسْرَعِ بِمَا هُوَ فِيهِ خَلَاصَهُ، وَلَكِنَّهُ زَلَّ بِهَا فَأَطَالَ مِنْ أَجْلِهَا فِي السَّجْنِ حَبْسَهُ، وَأَوْجَعَ لَهَا عَقْوبَتَهُ، وَأَوْرَدَ جَمْلَةً آثَارَ مَرْسَلَةً يُؤَيِّدُ بِهَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ، مِنْهَا مَا أُورَدَهُ عَنْ عَكْرَمَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْلَا أَنَّهُ يَعْنِي يُوسُفَ - قَالَ الْكَلْمَةُ الَّتِي قَالَ، مَا لَبِثَ فِي السَّجْنِ طَوْلَ مَا لَبِثَ».

وَمِنْهَا مَا أُورَدَهُ عَنِ الْحَسْنِ، قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «رَحْمَ اللَّهِ يُوسُفُ، لَوْلَا كَلْمَتَهُ مَا لَبِثَ فِي السَّجْنِ طَوْلَ مَا لَبِثَ» يَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿إِذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾، قَالَ: ثُمَّ يَكْيِي الْحَسْنَ فَيَقُولُ: نَحْنُ إِذَا نَزَلْنَا أَمْرٌ فَزَعَنَا إِلَى النَّاسِ .

وَثُمَّ آثَارُ أُخْرَى أُورَدَهَا الطَّبَرِيُّ رَحْمَهُ اللَّهُ، وَذَهَبَ إِلَى هَذَا الْقَوْلِ فَرِيقٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ كَذَلِكَ^(١) .

(١) قال القرطبي رحمة الله :

قوله تعالى: ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ الضمير في «أنساه» فيه قولان: أحدهما: أنه عاين إلى يوسف عليه السلام، أي: أنساه الشيطان ذكر الله عز وجل، وذلك أنه لما قال يوسف لساقي الملك - حين علم أنه سينجو ويعود إلى حالته الأولى مع الملك - : ﴿إِذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ نسي في ذلك الوقت أن يشكوا إلى الله ويستغيث به، وجئن إلى الاعتصام بخلوق، فعقوبة بالليل.

وأورد بعض الآثار ثم قال:

وقيل: إن الهاء تعود على الناجي، فهو الناسي، أي أنسى الشيطان السافي. أن يذكر يوسف لربه، أي لسيده وفيه حذف، أي: أنساه الشيطان ذكره لربه؛ وقد رجح بعض العلماء هذا القول فقال: لو لا أن الشيطان أنسى يوسف ذكر الله لما استحق العقاب بالليل في السجن؛ إذ الناسي غير مؤاخذ.

وأجاب أهل القول الأول بأن النسيان قد يكون بمعنى الترك، فلما ترك ذكر الله ودعاه الشيطان إلى ذلك عقوبة. رد عليهم أهل القول الثاني بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَاهَا =

منهما وادَّكر بعد أُمَّةً» فدل على أن الناسي هو الساقِي لا يوسف، مع قوله تعالى: «إن عبادي ليس لك عليهم سلطان» فكيف يصح أن يضاف نسيانه إلى الشيطان، وليس له على الأنبياء سلطنة؟

قيل: أما النسيان فلا عصمة للأنبياء منه إلا في وجه واحد، وهو الخبر عن الله تعالى فيما يبلغونه، فإنهم معصومون فيه؛ وإذا وقع منهم النسيان حيث يجوز وقوعه فإنه ينسب إلى الشيطان إطلاقاً، وذلك إنما يكون فيما أخبر الله عنهم، ولا يجوز لنا نحن ذلك فيهم، قال عليه السلام: «نسى آدم فنسنت ذريته» وقال: «إنما أنا بشر أنسني كما تنسون».

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

«فأنساه الشيطان ذكر ربه» وكانت هذه المقالة منه صادرة عن ذهول نسيان عن ذكر الله بسبب الشيطان، فيكون ضمير المفعول في «أنساه» عائداً إلى يوسف عليه السلام، هكذا قال أكثر المفسرين، ويكون المراد بربه في قوله «ذكر ربه» هو الله سبحانه، أي: أنسى الشيطان يوسف عليه السلام ذكر الله تعالى في تلك الحال. فقال للذى ظن أنه ناج منها يذكره عند سيده ليكون ذلك سبباً لانتباذه على ما أوقعه من الظلم البين عليه بسجنه بعد أن رأى من الآيات ما يدل على براءته، وذلك غفلة عرضت له عليه السلام، فإن الاستعانة بالملائكة في دفع الضرر وإن كانت جائزة إلا أنه لما كان مقام يوسف عليه السلام أعلى المقامات، ورتبته أعلى الرتب وهي منصب النبوة والرسالة لا جرم صار مؤاخذاً بهذا القدر، فإن حسنات الأبرار سيناث المقربين.

وذهب جماعة من المفسرين إلى أن الذي أنساه الشيطان ذكر ربه هو الذي نجا من الغلامين وهو الشرابي، والمعنى: أنسى الشرابي الشيطان ذكر سيده، أي: ذكره لسيده فلم يلُغ إليه ما أوصاه به يوسف عليه السلام من ذكره عند سيده، ويكون المعنى: فأنساه الشيطان ذكر إخباره بما أمره به يوسف عليه السلام مع خلوصه من السجن ورجوعه إلى ما كان عليه من القيام بسقي الملك.

وذكر نحواً مما قاله القرطبي ثم قال:

ويؤيد رجوع الضمير إلى يوسف عليه السلام ما بعده من قوله: «فلبث في السجن بضع سنين» ويؤيد رجوعه إلى الذي نجا من الغلامين قوله فيما سيأتي «الذي نجا منهما وادَّكر بعد أُمَّةً».

أما شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيرجح أن الذي أنساه الشيطان ذكر ربّه هو الذي نجا منهما، قال شيخ الإسلام^(*) رحمه الله:

وقيل: بل الشيطان أنسى الذي نجا منهما ذكر ربّه، وهذا هو الصواب، فإنه مطابق لقوله: ﴿إذْكُرْنِي عَنْدَ رَبِّكَ﴾ قال تعالى: ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذَكْرَ رَبِّهِ﴾ والضمير يعود إلى القريب إذا لم يكن هناك دليل على خلاف ذلك، ولأن يوسف لم ينس ذكر ربّه؛ بل كان ذاكراً للربّ.

وقد دعاهم قبل تعبير الرؤيا إلى الإيمان بربّه، وقال لهم: ﴿يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرْبَابَ مُتَفَرِّقَوْنَ خَيْرُ أَمِّ الْلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمْرٌ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكُ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكُنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وقال لهم قبل ذلك: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تَرْزَقَنَّهُ﴾ أي: في الرؤيا ﴿لَا بَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيكُمَا﴾ يعني التأويل ﴿ذَلِكُمَا مَا عَلِمْنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مَلْهُ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ وَاتَّبَعُتُ مَلْهُ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيُعَقُّوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشَرِّكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكُنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ فبذا يذكر ربّه عزّ وجلّ، فإنّ هذا مما علمه ربّه؛ لأنّه ترك ملة قوم مشركين لا يؤمنون بالله، وإن كانوا مقرين بالصانع ولا يؤمنون بالآخرة واتبع ملة آبائه أئمّة المؤمنين - الذين جعلهم الله أئمّةً يدعون بأمره - إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فذكر ربّه ثم دعاهم إلى الإيمان بربّه.

ثم بعد هذا عبر الرؤيا فقال: ﴿يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَمَا أَحْدَكُمَا فَيُسْقِي رَبِّهِ خَمْرًا﴾ الآية، ثم لما قضى تأويل الرؤيا: ﴿قَالَ لِلَّذِي نَجَا مِنْهُمَا إِذْكُرْنِي عَنْدَ رَبِّكَ﴾ فكيف يكون قد أنسى الشيطان يوسف ذكر ربّه؟ وإنما أنسى الشيطان الناجي ذكر ربّه، أي: الذكر المضاف إلى ربّه والمنسوب إليه، وهو أن يذكر عنده يوسف، والذين قالوا بذلك القول قالوا: كان الأولى أن يتوكّل على الله، ولا يقول: ﴿إِذْكُرْنِي عَنْدَ رَبِّكَ﴾. فلما نسي أن يتوكّل على ربّه، جوزي بلّثه في السجن بضع سنين.

الثاني: أنسى الشيطانُ الساقِي الناجي ذكر أمر يوسف لملائكة، ويتراجع هذا بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَّا مِنْهُمَا وَادْكُرْ بَعْدَ أُمَّةً أَنَا أَبْتَكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾.

وما يرجحه أيضاً: أن الناسي لا يُعاقب، فقول من قال: إن يوسف عوقب بالسجن لنسيانه ذكر ربه» قول مدفوع.

وما يرجح أن يوسف عليه السلام لم ينس ذكر ربه: قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلِمْنِي رَبِّي﴾.

وقوله: ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾ وقوله: ﴿أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أُمَّ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ وما سوى ذلك من تذكرة لهما بالله عز وجل.

* * *

س: الأمور المهمة قد تنسى أيضاً ووضح ذلك.

ج: إياضاته: أن بشارته يوسف عليه السلام لأحد الفترين أمر مهم جداً، ومجالسته يوسف عليه السلام في السجن أمر لا يُنسى ووصيته لا تنسى، ومع ذلك كله نسي الفتى أن يذكر أمر يوسف للملك.

* * *

وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ
سَبْعَ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُبْلَتٍ خُضْرٌ وَأُخْرَ يَا إِسْتٍ
يَأْتِيهَا الْمَلَائِكَةُ فِي رُءُوفٍ إِنْ كُنْتُمْ لِلرَّءَةِ يَا تَعْبُرُونَ **٤٣**
قَالُوا أَضَفْتُ أَحَلَّنِيمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحَلَّمِ بِعَالَمِينَ **٤٤**
وَقَالَ الَّذِي نَجَّا مِنْهُمَا وَأَدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنْتُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ
فَأَرْسَلُونَ **٤٥** يُوسُفُ أَيْهَا الصِّدِيقُ أَفْتَنَافِ سَبْعَ بَقَرَاتٍ
سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعَ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُبْلَتٍ خُضْرٌ
وَأُخْرَ يَا إِسْتٍ لَعَلَّيَ أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ **٤٦** قَالَ
تَزَرَّعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابِّاً فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُبْلَلِهِ إِلَّا
قِيلَّاً مِمَّا تَأْتِي كُلُونَ **٤٧** شَمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعُ شِدَادِيَاً كُلُّنَّ
مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قِيلَّاً مِمَّا تَحْصِنُونَ **٤٨** شَمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ **٤٩** وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَوْنُ
يَهُ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بِالْ
النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيهِنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ **٥٠** قَالَ
مَا خَطَبُكُنَّ إِذْ رَوَدْتُمْ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَشَّ لِلَّهِ
مَا عَلِمْتُ أَعْلَمُ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ أَكُنْ حَصَصَ
الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لِمِنَ الصَّدِيقِينَ **٥١** ذَلِكَ
لِيَعْلَمَ أَفِ لَمْ أَخْنُهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْمُخَابِرِينَ **٥٢**

وَمَا أَبْرَى نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَارَةٌ بِالشُّوءِ إِلَّا مَارَ حَمَرَ
رَبِّيْ إِنَّ رَبِّيْ عَفُورٌ رَّحِيمٌ^{٥٣} وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَوْفِيْ بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ
لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لِدِيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ^{٥٤} قَالَ
أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمٌ^{٥٥} وَكَذَلِكَ
مَكَنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ
بِرَحْمَتِنَا مَنْ شَاءَ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ^{٥٦} وَلَا جُرْ
الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ^{٥٧}

س: اذكر معنى ما يلي:

عجب - الملا - تعبرون - أضعاث - ادّكر - بعد أمة - الصديق - دأبًا - ذروه - شداد - تحصنون - يُغاث الناس - ما بال - ما خطبكن - سوء - حصحاب - بالغيب - لا يهدي كيد الخائبين - أستخلصه لنفسي - لدينا مكينٌ - أمينٌ - خزائن الأرض - حفيظ - عليم - مكنا - يتبعوا منها حيث يشاء - نصيب برحمتنا.

: ج

الكلمة	معناها
عجب	هزالٌ - ضعافٌ .
الملا	الأشراف - الأعيان من رجال الدولة .
تعبرون	تُفسّرون - تؤولون .
أضعاث	أخلاط (يريدون أنها رؤية كاذبة لا حقيقة لها) .
ادّكر	تذكّر - ذكّر .
بعد أمة	بعد زمنٍ من النسيان .
الصديق	كثير الصدق .
دأبًا	متتابعة متتالية - والدأب العادة ، والمعنى :
ذروه	تزرعون سبع سنين كعادتكم فتنبت الأرض . اتركوه - لا تدرسوه (لا تفصلوا الحبَّ عن التبن) .
شداد	قاسيةٌ لما فيها من الجدب .

تدخرون - تضعون في الحصنون - تُخزنون -
 تحفظون . والإحسان : الوضع في الحصن .
 يصيّبهم ربهم بالغث .
 ما شأن .
 ما شأنكـن - ما أمركـن - ماذا كان منكـن .
 واحظـب : الشأن العظيم .
 السوء ما يُسيء إلى صاحبه .
 تـين وانكـشف وظـهر بعد خـفـائه .
 في حال غـيـابـي عنه .
 لا يـسـدـدهـ ولا يـوـفـقـهـ ولا يـنـذـهـ ولا يـمـضـيـهـ .
 لا يـهـديـهـمـ بـسـبـبـ كـيـدـهـمـ . لا يـهـديـهـمـ فـيـ كـيـدـهـمـ .
 أـجـعـلـهـ مـنـ خـلـصـائـيـ وـأـهـلـ مشـورـتـيـ .
 عـنـدـنـاـ .
 ذـوـ مـكـانـةـ . مـتـمـكـنـ مـاـ أـرـدـتـ تـفـعـلـ مـاـ تـشـاءـ .
 أـمـيـنـ عـلـىـ أـسـرـارـنـاـ ، أـمـيـنـ عـلـىـ مـاـ اـسـتـؤـمـنـتـ عـلـيـهـ
 خـزـائـنـ الدـوـلـةـ .
 حـافـظـ لـماـ اـسـتـوـدـعـتـنـيـ . حـافـظـ لـلـحـسـابـ .
 ذـوـ عـلـمـ وـبـصـيرـةـ بـتـدـبـيرـ الـأـمـورـ .
 عـلـيـمـ أـيـضاـ بـسـنـاتـ الـمـجـاعـةـ ، وـعـلـيـمـ بـالـأـلسـنـ .
 وـطـائـنـاـ .

تحصنون	يغاث الناس
ما خطبكـن	ما بال
سوء	حصـصـ
بالغـيـبـ	لا يـهـديـ كـيـدـ
لـدـيـنـاـ	الـخـائـنـيـنـ
لنـفـسـيـ	أـسـتـخلـصـهـ
مـكـنـ	عـلـيـمـ
أـمـيـنـ	خـزـائـنـ الـأـرـضـ
حـفـيـظـ	مـكـنـاـ

يتبعها حيث

يشاء

نصيب برحمتنا

ينزل ويحل حيث أراد .

يتخذ منها متنلاً في أي مكان أراد .

تفضل بإحساننا ونعمتنا - نحسن إليهم
برحمتنا ، وإحساننا من رحمتنا .



س: من هذا الملك الذي رأى الرؤيا؟

ج: هو ملك مصر آنذاك، وقد كان العزيز يعمل وزيرًا عنده، وقد سماه كثير من المفسرين: الريان بن الوليد، فالله أعلم.

* * *

س: قال الملك: ﴿إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ...﴾ ولم يذكر أنه رأى ذلك في رؤيا منامية، فمن أين استفید أنه رأى ذلك في منامه؟

ج: استفید ذلك من رد السامعين إذ قالوا: ﴿أَضْغَاثُ أَحَلَامٍ﴾ واستفید أيضًا من نفس السياق، والمخاطب إذا كان يفهم مضمون الكلام استُغْنِي عن ذكر التفاصيل له.

أما الإمام الطبرى رحمه الله فقال:

يعنى جل ذكره بقوله: وقال ملك مصر: إني أرى في المنام سبع بقرات سمان يأكلهن سبع من البقر عجاف، وقال: «إني أرى»، ولم يذكر أنه رأى في منامه ولا في غيره، لتعرف العرب بينها في كلامها إذا قال القائل منهم: «أرى أفعل كذا وكذا» أنه خبر عن رؤيته ذلك في منامه؛ وإن لم يذكر النوم، وأخرج الخبر جل ثناوه على ما قد جرى به استعمال العرب ذلك بينهم.

* * *

س: في رؤيا الملك أمرٌ غريب يلفت النظر، ووضح هذا الأمر.

ج: إيضاحه: أن السبع بقرات العجاف (النحيفه الهزيلة الضعيفة) تأكل السبع سمان القوية الشديدة.

* * *

س: جمع الملا في جوابهم على الملك ثلات خصال مذمومة، بين هذه الخصال.

ج: من هذه الخصال ما يلي:

أولاً: الجهل إذ لم يعلموا تفسير الرؤيا.

ثانياً: الجزم -بغير علم- بأنها أضغاث أحلام.

ثالثاً: الزهو والإعجاب بالنفس، فلم يقولوا: لا نعلم تأويلها، بل اغترروا اغتراراً بأنفسهم إذ قالوا: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ أي لو كانت رؤيا لأولناها، ولكن لكونها أضغاث أحلام من الشياطين فإننا لا نعبرها.

* * *

س: من فضل الله على نبيه يوسف عليه السلام أن الرؤيا عرضت على الملا أولاً فلم يستطعوا تأويلها، وضح وجه هذا الفضل.

ج: قال السعدي رحمه الله في «تيسير الكريم المنان»:

ثم قالوا: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ أي: لا نعبر إلا الرؤيا. وأما الأحلام -التي هي من الشيطان، أو من حديث النفس- فإننا لا نعبرها، فجمعوا بين الجهل والجزم بأنها أضغاث أحلام، والإعجاب بالنفس، بحيث إنهم لم يقولوا: لا نعلم تأويلها، وهذا من الأمور التي لا تنبغي لأهل الدين والحجاج.

وهذا أيضاً من لطف الله بيوفوس عليه السلام، فإنه لو عبرها ابتداء -قبل أن يعرضها على الملا من قومه وعلمائهم، فيعجزوا عنها- لم يكن لها ذلك الموضع.

ولكن لما عرضها عليهم، فعجزوا عن الجواب. وكان الملك مهتماً لها، غاية الاهتمام، فعبرها يوسف. وقعت عندهم موقعاً عظيماً، وهذا نظير إظهار الله فضل آدم على الملائكة بالعلم، بعد أن سألهم، فلم يلْعُمُوا، ثم سألهم، فعلمهم أسماء كل شيء، فحصل بذلك زيادة فضله.

وكما يظهر فضل خلقه محمد ﷺ في القيامة، أن يلهم الله الخلق أن يتشفعوا بأدّم، ثم بنوح، ثم بآبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى عليهم السلام، فيعتذرون عنها، ثم يأتون محمداً ﷺ فيقول: «أنا لها أنا لها» فيشفع في جميع الخلق، وينال ذلك المقام محمود، الذي يغبطه به الأولون والآخرون، فسبحان من خفيت الطافه، ودقت في إيصاله البر والإحسان إلى خواص أصفيائه وأوليائه.

* * *

س: اذكر بعض معاني كلمة (أمة).

ج: من معاني كلمة أمة ما يلي:

جماعة: ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾.

الإمام: قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾.

ملة: لقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾.

مدة - زمن: لقوله تعالى: ﴿وَادْكُرْ بَعْدَ أُمَّةً﴾.

* * *

س: هناك آداب تُستفاد من تفسير يوسف عليه السلام لرؤيا الملك ووضح بعض هذه الآداب.

ج: من هذه الآداب ما يلي:

أولاً: عدم تعنيف يوسف عليه السلام للناجي من السجينين لكونه لم يذكر شأن يوسف للملك، إذ قال له: «اذكرني عند ربك»، ولم يفعل.

ثانياً: عدم اشتراط يوسف أجراً على تأويل الرؤيا.

ثالثاً: عدم اشتراط يوسف الخروج قبل تفسير الرؤيا.

* * *

س: ما تأويل السبع بقرات السمان والسبعين العجاف؟

ج: أما السبع السمان: فهي سبع سنين مخصبة تخرج الأرض فيها ثمرها.

أما السبع العجاف: فهي سنون الجدب التي لا تنبت الأرض فيها شيئاً.

* * *

س: قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُون﴾ يعلمون ماذا؟

ج: يعلمون مكانك من الفضل والعلم، وينعلمون تعبير الرؤيا.

* * *

س: هل يمكن أن تتحقق رؤيا الكافر؟

ج: نعم يمكن ذلك، فقد تحققت رؤيا صاحبي السجن ، وتحققت رؤيا الملك.

قال القرطبي رحمه الله:

هذه الآية أصل في صحة رؤيا الكافر، وأنها تخرج على حسب ما رأى، لا سيما إذا تعلقت بهؤمن؛ فكيف إذا كانت آية لنبيّ، ومعجزة لرسول، وتصديقاً لمصطفى للتبلیغ، وحجة للواسطة بين الله - جل جلاله - وبين عباده.

* * *

س: في تعبير يوسف عليه السلام للرؤيا إجابةً للسائل بأكثر مما سأله
وضع ذلك.

ج: إياضاحه: أنه أرشدهم إلى العلاج ولم يسألوه ذلك، فقال لهم:
﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَدِرُوهُ فِي سُبْلِهِ...﴾.

فهي مشورة أشار بها عليهم نبي الله يوسف عليه الله، ونصيحة نصحهم بها.
وكذلك قوله لهم: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ ولم يسألوه عن ذلك، فهذه زيادة على ما في هذه الرؤيا التي رأها الملك.

وقد صح عن قتادة^(١) عند الطبرى أنه قال: (وفيه يعصرون) قال:
يعصرون الأعناب والزيتون والثمار من الخصب، هذا علم آتاه الله يوسف
لم يُسأل عنه.

* * *

(١) الطبرى (١٩٣٨٩) وسنده حسن.

س: لماذا قال يوسف عليه السلام ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سَبْلِهِ﴾؟
 ج: قال بعض أهل العلم: ذلك لثلاً يُسَوَّس (يدخله السوس)، وكذلك:
 فالتبين علف لدواهم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَأْكُلُنَّ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾؟ وهل توصف السنون بأنها تأكل؟

ج: المعنى: يؤكل فيهن ما ادخلتم في السبع سنوات الخصيبة.
 قال الطبرى رحمة الله:

وقال جل ثناؤه: ﴿يَأْكُلُنَّ﴾، فوصف السنين بأنهن «يأكلن»، وإنما
 المعنى: أن أهل تلك الناحية يأكلون فيهن، كما قيل:
 نهارك يا مغورو سهو وغفلة وليلك نوم والردى لك لازم
 فوصف النهار بالسهو والغفلة، والليل بالنوم، وإنما يسمى في هذا،
 ويغفل فيه، وبينما في هذا، لمعرفة المخاطبين بمعناه والمراد منه.

* * *

س: ما مناسبة قول النبي ﷺ: «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف»؟
 وما وجہ هذا الدعاء؟

ج: مناسبة ذلك تتضح مما أخرجه البخاري^(١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إنَّ قَرِيشًا لَمَا أَبْطَأَوْا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالإِسْلَامِ قَالَ: «اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِسْبَعِ كَسْبَعِ يُوسُفَ»، فَأَصَابَتْهُمْ سَنَةٌ حَصَّتْ كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى

(١) البخاري (حديث ٤٦٩٣).

أكلوا العظام، حتى جعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى بينه وبينها مثل الدخان، قال الله : ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠] ، قال الله : ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ [الدخان: ١٥] ، أفيشكف عنهم العذاب يوم القيمة وقد مضى الدخان ومضت البطشة» .

* * *

س: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يُعَصِّرُونَ﴾ يغاثون بماذ؟ ويعصرن بماذ؟
 ج: يغاثون بالمطر، ويعصرن كل ما يعصر، فيعصرن العنبر،
 ويعصرن الزيتون، ويعصرن السمسم . ومن العلماء من قال:
 «يعصرن» معناها: يحلبون .

* * *

س: كيف استدل يوسف عليه السلام على العام الخصيب مع أنه لا ذكر له في الرؤيا؟

ج: لأنه، والله أعلم: علم أن الشّداد إنما هي سبع فقط ، فمن ثم سيتلوها عام خصيب .

ووجه آخر من أوجه الإجابة: أن الله سبحانه وأعلم به بذلك .

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾ .
 ج: قال الطبرى رحمه الله: قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾ ، يقول: فلما جاءه رسول الملك يدعوه

إلى الملك، ﴿قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾ ، يقول: قال يوسف للرسول: ارجع إلى سيدك، ﴿فَاسْأَلْهُ مَا يَالَ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيهِنَ﴾ وأبى أن يخرج مع الرسول وإجابة الملك، حتى يعرف صحة أمره عندهم ما كانوا قرفوه به من شأن النساء، فقال للرسول: سل الملك: ما شأن النسوة اللاتي قطعن أيديهن؟ والمرأة التي سُجِّنتْ بِسَبِيلِهَا؟

* * *

س: وضح معنى ما ورد عن النبي ﷺ إذ قال: «لو لبست في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي». ل

ج: ابتداءً فالحديث أخرجه البخاري ومسلم^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يرحم الله لو طأ لقدر كأن يأوي إلى ركن شديد، ولو لبست في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي، ونحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال له ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لَيَطْمَئِنَ قَلْبِي﴾».

والحديث فيما يبدو لي، يحمل ثناءً على نبي الله يوسف عليه السلام لصبره وكرمه وتأنيه في الخروج من السجن حتى ثبتت براءته . والله أعلم .

* * *

س: لماذا تأخر يوسف ﷺ عن الخروج من السجن؟

ج: ذلك؛ والله أعلم: لأنه لو خرج قبل أن يعلم الملك أمره لم يزل في نفس العزيز منه شيء يقول في نفسه: هذا الذي خانني في أهلي وراود

(١) أخرجه البخاري في مواطن من «صححه» (٤٦٩٤).

أمرأتي الآن خرج من السجن .

وأيضاً؛ كي يدفع يوسف عليه السلام الشبهة عن نفسه .

* * *

س: لماذا امتنع يوسف ﷺ من الخروج لأول داع دعاه، وقال: ﴿ ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة ﴾؟

ج: ذلك ، والله أعلم ، كي يدفع الشبهة عن نفسه ، وكيف يظهر براءته أمام الملك وأما الناس ، وكيف يطمئن خاطر العزيز أيضاً تجاهه ، ثم قد يتقلد منصباً وصاحب المنصب ينبغي أن يكون عفيفاً نزيهاً ، فقد يوشي به الحاسدون عند الملك ويتخذون ما نسب إليه من مراودة امرأة العزيز عن نفسها سلماً للطعن فيه ، والحط من منزلته ومرتبته ومكانته .

* * *

س: قول امرأة العزيز: ﴿ وإنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ من الصادقين في ماذا؟

ج: من الصادقين في أقوالهم ، وفي قوله أيضاً: ﴿ هِيَ رَاوِدَتِي عَنْ نَفْسِي ﴾ .

* * *

س: من سياق الآيات يُستفاد أن الملوك لا تعرف كل الأشياء عن الرعية ووضح ذلك؟

ج: إيضاحه: أن الملك لم يكن يعلم تفاصيل الأمور التي تحدث بين امرأة العزيز ويوسف عليه السلام ، ولم يعلم بحديث النسوة في المدينة وحقيقة هذا الأمر ووجه الصواب فيه حتى سألهن عن ذلك .

* * *

س: من القائل: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أُخْنَهُ بِالْغَيْبِ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن قائل ذلك هو يوسف عليه السلام، فكان الخطاب قد تحول بعد أن كانت المرأة تتحدث بلغ حديثها يوسف عليه السلام، فقال ذلك (أي الذي طلبه من استبيان الأمر والوقوف على حقيقته)، ليس لمجرد الطعن في امرأةٍ وفضحيتها، فليس هذا من شأنني، ليس من شأنني أن أفضح امرأةً أكرمت مثواي هي وزوجها، ليس من شأنني الخوض في القيل والقال، وإنما ليعلم زوجها أني لم أخنه في أمرأته وهو غائب عنى.

وهذا تحولٌ في الخطاب فكانت المرأة تتكلم، ثم تحول الحديث إلى يوسف عليه السلام وهذا كقوله تعالى (على تفسير بعض المفسرين): ﴿قَالُوا يَا وَيَلَّا مَنْ بَعَنَا مِنْ مَرْقُدَنَا﴾ [يس: ٥٢] فتقول الملائكة: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٣]، وكقوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ ف قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾.

والثاني: أن قائل ذلك هي المرأة، إذ هو استطراد لقولها، وهي بقولها هذا تظهر الاحترام والإجلال والتقدير لشخصٍ بريءٍ متuffف عن الحرام، مع أنه لم يطأوها على ما أرادت من ارتكاب الفاحشة.

فسبحان الله؛ كيف قيض الله سبحانه وتعالى ليوسف من يدافع عنه في غيابه؟! ومن هذا المدافع؟ إنها المرأة التي كانت يوماً ما تقول: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلَّا أَنْ يُسْجِنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وسبحان من قيض له نسوةٍ كن يراودنه عن نفسه فيقلن بعد ذلك: ﴿حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾.

وهذه بعض أقوال أهل العلم في بيان قائل: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهْ بِالْغَيْبِ﴾ .

قال الطبرى رحمه الله:

يعنى بقوله: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهْ بِالْغَيْبِ﴾ ، هذا الفعل الذى فعلته، من ردي رسول الملك إليه، وتركت إجابته والخروج إليه، ومسئالتى إيه أن يسأل النسوة اللاتي قطعن أيديهن عن شأنهن إذ قطعن أيديهن ، إنما فعلته ليعلم أني لم أخنه في زوجته «بالغيب»، يقول: لم أركب منها فاحشة في حال غيتيه عني . وإذا لم يركب ذلك بمعيبي فهو في حال مشهده إيه أخرى أن يكون بعيداً عن ركبوبه .

وذكر جملة من الآثار ثم قال رحمه الله:

واتصل قوله: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهْ بِالْغَيْبِ﴾ ، بقول امرأة العزيز: ﴿أَنَا رَاوِدَتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ، لمعرفة السامعين لمعناه ، كاتصال قول الله: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ ، بقول المرأة: ﴿وَجَعَلُوا أَعْزَةَ أَهْلَهَا أَذْلَةً﴾ [النمل: ٣٤] ، وذلك أن قوله: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ خبر مبتدأ ، وكذلك قول فرعون لاصحابه في سورة الأعراف: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ ، وهو متصل بقول الملا: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ [الأعراف: ١١٠] .

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهْ بِالْغَيْبِ﴾ ، اختلف فيمن قاله، فقيل: هو من قول امرأة العزيز ، وهو متصل بقولها: ﴿الآن حَصْحَصْ الْحَقُّ﴾ أي أقررت بالصدق ليعلم أني لم أخنه بالغيب أي: بالكذب عليه ،

ولم أذكره بسوء وهو غائب ، بل صدقت وحدت عن الخيانة ، ثم قالت : ﴿ وَمَا أَبْرَئُ نَفْسِي ﴾ بل أنا راودته ، وعلى هذا هي كانت مقرة بالصانع ، ولهذا قالت : ﴿ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

وقيل : هو من قول يوسف ؟ أي : قال يوسف : ذلك الأمر الذي فعلته ، من رد الرسول ﴿ لِيَعْلَمُ ﴾ العزيز ﴿ أَنِّي لَمْ أَخْنُهُ بِالْغَيْبِ ﴾ . قاله الحسن وقتادة وغيرهما . ومعنى « بالغيب » : وهو غائب .

وإنما قال يوسف ذلك بحضورة الملك ، وقال : « لِيَعْلَمُ » على الغائب توقيراً للملك . وقيل : قاله إذ عاد إليه الرسول وهو في السجن بعد .

قال ابن عباس : جاء الرسول إلى يوسف عليه السلام بالخبر وجبريل معه يحدثه ؛ فقال يوسف : ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ أي : لم أخُنْ سيدتي بالغيب ؛ فقال له جبريل عليه السلام : يا يوسف ! ولا حين حللتَ الإزار ، وجلستَ مجلس الرجل مع المرأة ؟ ! فقال يوسف : ﴿ وَمَا أَبْرَئُ نَفْسِي ﴾ الآية .

وقال السدي : إنما قالت له امرأة العزيز : ولا حين حللت سراويلك يا يوسف ؟ ! فقال يوسف : ﴿ وَمَا أَبْرَئُ نَفْسِي ﴾ . وقيل : ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ ﴾ من قول العزيز ؛ أي : ذلك ليعلم يوسف أنني لم أخنه بالغيب ، وأنني لم أغفل عن مجازاته على أمانته ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ . معناه : أن الله لا يهدي الخائنين بكيدهم . ا . ه .

وذهب الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى إلى أن قائلة ذلك هي امرأة العزيز . وانتصر لذلك بأمررين :

أحدهما: أن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضوره الملك .
والثاني: أن يوسف عليه السلام لم يكن موجوداً عندهم بل أحضره الملك
بعد ذلك .

قال رحمة الله:

﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهُ بِالْغَيْبِ﴾ تقول: إنما اعترفت بهذا على نفسي ليعلم زوجي أنني لم أخنه بالغيب في نفس الأمر ولا وقع المحدود الأكبر، وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع، فلهذا اعترفت ليعلم أنني بريئة ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ وَمَا أَبْرَى نَفْسِي﴾ تقول المرأة: ولست أبرئ نفسي؛ فإن النفس تتحدث وتتمنى ولها راودتها؛ لأنها أمارة بالسوء إلا ما رحم ربها، أي: إلا من عصمه الله تعالى ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ .

وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام، وقد حكاه الماوردي في «تفسيره» وانتدب لنصره الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية، رحمة الله، فأفرده بتصنيف على حدة.

ثم ذكر رحمة الله فحوى الذي قدمناه عنه .

* * *

س: إذا سلمنا أن قائلة: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهُ بِالْغَيْبِ﴾ هي امرأة العزيز، فإلى ماذا يعود الضمير في قولها ﴿أَخْنُهُ﴾؟

ج: في ذلك أيضاً قولان:

أشهرهما: أن الضمير يعود إلى يوسف عليه السلام، أي أنها تقول ذلك ليعلم يوسف أنني لم أشهد عليه شهادة باطل في غيابه .

والثاني: ذلك ليعلم زوجي أنني لم أخنه في غيابه، وهذا الأخير ضعيف، والله أعلم.

* * *

س: ووضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ .
ج: المعنى، والله أعلم: أن الله لا يُسدد صنيع من خان الأمانات، ولا يرشد فعالهم التي خانوا فيها.

فخيانة الخائن تعود على نفسه، ومكره يحيق به، وأمره لا بد وأن يتبيّن.

* * *

س: هل كانت المرأة تعرف الله، وتعرف أن الزنا ذنبٌ حتى قالت: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَارَةٍ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ؟
ج: نعم، كان عند هذه المرأة بعض العلم بالله سبحانه، وقد دلَّ على ذلك ما يلي:

* قول النسوة لمارأين يوسف عليه السلام: ﴿حَاشَ اللَّهُ﴾ .

* قول العزيز لزوجتهك: ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِك﴾ .

* قول المرأة - على أحد التفاسير - : ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ .

* قول المرأة (على تفسير من فسر أن ذلك قولها) ﴿إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَارَةٍ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

ثم ذكرت ما يقتضي طلب المغفرة والرحمة، فقالت: إن ربِّي غفورٌ رَّحِيمٌ .

فإن قيل: فهذا كلام من يقر بأن الزنا ذنب، وأن الله قد يغفر لصاحبـه .
 قلت: نعم، والقرآن قد دل على ذلك، حيث قال زوجها: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِك﴾ فأمرـه لها بالاستغفار لذنبـها دليلـ أنـهم كانوا يـرون ذلك ذنـباً ويـستغـفرونـ منهـ، وإنـ كانوا معـ ذلكـ مـشرـكـينـ، فقدـ كانتـ العـربـ مـشـرـكــينـ وـهـمـ يـحرـمـونـ الـفـوـاحـشـ، ويـسـتـغـفـرـونـ اللهـ مـنـهـ.

* * *

سـ: قوله تعالى: ﴿وَمَا أَبْرَئُ نَفْسِي﴾ من قائلـهـ؟

جـ: ذهبـ بعضـ أهلـ الـعـلـمـ إـلـىـ أنـ قـائـلـ هـذـاـ هوـ يـوسـفـ ﷺـ، وـهـوـ الـذـيـ اختـارـهـ الطـبـرـيـ رـحـمـهـ اللـهـ، وـحـكـاهـ وـلـمـ يـورـدـ شـيـئـاـ سـواـهـ وـأـورـدـ هـنـاكـ أـيـضاـ جـملـةـ مـنـ الـآـثـارـ مـؤـداـهاـ أـنـ يـوسـفـ عـلـيـهـ السـلـامـ لـماـ قـالـ: ﴿ذـلـكـ لـيـعـلـمـ أـنـيـ لـمـ أـخـفـهـ بـالـغـيـبـ وـأـنـ اللـهـ لـاـ يـهـدـيـ كـيـدـ الـخـائـنـينـ﴾ـ قـالـ لـهـ الـمـلـكــ. وـفـيـ بـعـضـ الـرـوـاـيـاتـ جـبـرـيلــ. وـلـاـ حـيـنـ هـمـمـتـ بـاـ هـمـمـتـ بـهـ؟ـ فـقـالـ: ﴿وَمَا أَبْرَئُ نَفْسِي إـنـ الـنـفـسـ لـأـمـارـةـ بـالـسـوـءـ إـلـاـ مـاـ رـحـمـ رـبـيـ إـنـ رـبـيـ ..﴾ـ.

* أماـ الحـافـظـ اـبـنـ كـثـيرـ فـذـهـبـ إـلـىـ أنـ قـائـلـهـ ذـلـكـ هـيـ اـمـرـأـةـ الـعـزـيزــ، وـقـدـ قـدـمـنـاـ قـولـهـ قـرـيـباــ.

أماـ اـبـنـ الـقـيمـ رـحـمـهـ اللـهـ فـقـدـ قـالـ:

﴿وَمَا أَبْرَئُ نَفْسِي﴾ـ:ـ فـإـنـ قـيلـ:ـ فـكـيـفـ قـالـ وـقـتـ ظـهـورـ بـرـاءـتـهـ:ـ ﴿وَمَا أَبْرَئُ نَفْسِي﴾ـ؟ـ

قـيلـ:ـ هـذـاـ قـدـ قـالـهـ جـمـاعـةـ مـنـ الـمـفـسـرـينـ،ـ وـخـالـفـهـمـ فـيـ ذـلـكـ آـخـرـونـ أـجـلـ
 مـنـهـمـ،ـ وـقـالـوـاـ:ـ إـنـ هـذـاـ مـنـ قـوـلـ اـمـرـأـةـ الـعـزـيزــ،ـ لـاـ مـنـ قـوـلـ يـوسـفـ عـلـيـهـ السـلـامــ.

* والصواب معهم من وجوهِ:

أحدها: أنه متصل بكلام المرأة، وهو قوله: ﴿الآن حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدَتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ذلك ليعلم أنّي لم أخْنُه بالغَيْبِ وأنَّ الله لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿وَمَا أَبْرَئُ نَفْسِي ...﴾ ومن جعله من قوله فإنه يحتاج إلى إضمار قول لا دليل عليه في اللفظ بوجه ما. والقول في مثل هذا لا يحذف لثلا يقع في اللبس، فإن غايتها أن يتحمل الأمرين، فالكلام الأول أولى به قطعاً.

والثاني: أن يوسف عليه السلام لم يكن حاضراً وقت مقالتها هذه، بل كان في السجن لما تكلمت بقولها: ﴿الآن حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ والسياق صحيح صريح في ذلك. فإنه لما أرسل إليه الملك يدعوه قال للرسول: ﴿أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأُلْهُ مَا بَالُ النَّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيهِنَّ﴾؟ فأرسل إليها الملك وأحضرهن، وسألهن، وفيهن امرأته، فشهدن ببراءته ونزاذه في غيبته، ولم يكنن إلا قول الحق، فقال النسوة: ﴿حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾، وقالت امرأة العزيز: ﴿أَنَا رَاوِدَتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

فإن قيل: لكن قوله: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهُ بِالْغَيْبِ وَإِنَّ اللهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ الأحسن أن يكون من كلام يوسف عليه السلام، أي: إنما كان تأخيري عن الحضور مع رسوله ليعلم الملك أنني لم أخْنُه في امرأته في حال غيبته، وأن الله لا يهدى كيد الخائنين. ثم إنه عليه السلام قال: ﴿وَمَا أَبْرَئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وهذا من تمام معرفته عليه السلام بربه ونفسه. فإنه لما أظهر نزاذه وبراءته مما قدف به أخبر عن

حال نفسه ، وأنه لا يزكيها ولا يبرئها ، فإنها أمارة بالسوء ، لكن رحمة رب وفضله هو الذي عصمه . فرد الأمر إلى الله بعد أن أظهر براءته .

قيل : هذا وإن كان قد قاله طائفة . الصواب أنه من تمام كلامها ، ولكن كون الضمائر كلها في نسق واحد يدل عليه . وهو قوله النسوة : ﴿ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ﴾ ، وقول امرأة العزيز : ﴿ أَنَا رَاوِدَتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمَنِ الصَّادِقِينَ ﴾ هذه خمسة ضمائر بين بارز ومستتر ، ثم اتصل بها قوله : ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهُ بِالْغَيْبِ ﴾ فهذا هو المذكور أولاً بعينه ، فلا شيء يفصل الكلام من نظمه ، ويُضمر فيه قول لا دليل عليه .

فإن قيل : فما معنى قولها : ﴿ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهُ بِالْغَيْبِ ﴾ ؟

قيل : هذا من تمام الاعتذار ، قرنت الاعتذار بالاعتراف ، فقالت ذلك ، أي : قولي هذا وإقراري ببراءته ؛ ليعلم أنني لم أخنه بالكذب عليه في غيبته ، ثم اعتذر عن نفسها بقولها : ﴿ وَمَا أَبْرَئُ نَفْسِي ﴾ ثم ذكرت السبب الذي لأجله لم تبرئ نفسها وهو أن النفس أمارة بالسوء .

فتأمل ما أتعجب أمر هذه المرأة ، أقرت بالحق واعتذر عن محبوبها ، ثم اعتذر عن نفسها ، ثم ذكرت السبب الحامل لها على ما فعلت ، ثم ختمت ذلك بالطمع في مغفرة الله ورحمته ، وأنه إن لم يرحم عبده وإلا فهو عرضة للشر .

فوازن بين هذا وبين تقدير كون هذا الكلام كلام يوسف عليه السلام لفظاً ومعنى ، وتأمل ما بين التقديرتين من التفاوت ، ولا يستبعد أن تقول المرأة هذا وهي على دين الشرك ؛ فإن القوم كانوا يقررون بالرب سبحانه وتعالى وببحقه ، وإن أشركوا معه غيره . ولا تننس قول سيدها لها في أول الحال :

﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ .

* * *

س: ووضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَبْرَئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ .

ج: قال الطبرى رحمه الله^(١):

يقول يوسف صلوات الله عليه: ﴿وَمَا أَبْرَئُ نَفْسِي﴾ من الخطأ والزلل فأزكيها؛ ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ يقول: إن النفوس نفوس العباد، تأمرهم بما تهواه، وإن كان هواها في غير ما فيه رضى الله.

﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ : يقول: إلا أن يرحم ربى من شاء من خلقه، فينجيه من اتباع هواه وطاعتها فيما تأمره به من السوء ﴿إِنَّ رَبَّيْ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ .

* * *

س: هل كل الأنفس أمارة بالسوء؟

ج: ليست كل النفوس أمارة بالسوء، فما رحم الله من النفوس ليست بأمارة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله^(٢):

إن في الكلام المحكى الذي أقره الله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ وهذا يدل على أنه ليس كل نفس أمارة بالسوء؛ بل ما رحم ربى ليس فيه النفس الأمارة بالسوء.

(١) وهذا اختياره أن قائل ذلك هو يوسف عليه السلام.

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٥ / ١٤٣).

وقد ذكر طائفة من الناس أن النفس لها ثلاثة أحوال: تكون أماراً بالسوء، ثم تكون لؤماً، أي: تفعل الذنب ثم تلوم عليه، أو تتلوم فتتردد بين الذنب والتوبة، ثم تصير مطمئنة.

والمقصود هنا: أن ما رحم ربِّي من النفوس ليست بأمارَة^(١).

* * *

س: تبينت للملك جملة أمور في شأن يوسف عليه السلام، ومن ثم قال: ﴿أَتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنفْسِي﴾. وضح بعض هذه الأمور.

ج: من هذه الأمور التي تبينت للملك في شأن يوسف ما يلي:

* علم يوسف ﷺ بتأويل الرؤيا، وتدبير الأمور.

* براءة يوسف ﷺ ونزاهته وحرصه على إظهار براءته حتى يخرج نزيهاً مما هو فيه.

* ثبتت يوسف ﷺ وتأنيه في الأمور؛ فلم يبادر بالخروج من السجن بل قال متأنياً متريثاً: ﴿أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيهِنَّ إِنَّ رَبِّي بِكِيدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾.

* ثقة يوسف ﷺ في الله ثم في نفسه، وذلك في قوله: ﴿إِنِّي حَفِظْ عَلِيمٌ﴾ وذكيره بالله الحين بعد الحين، بل وكلما وجد إلى ذلك سبيلاً.

* علامات الوقار وحسن الحديث، إذ الله قال: ﴿فَلَمَّا كَلَمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾.

* * *

(١) ذكر ذلك في بيان آن قائل ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَارَةٌ بِالسوء﴾ هي امرأة انعزيز.

س: ما المراد بخزائن الأرض؟

ج: المراد: خزائن الطعام وعموم الخزائن، وقد أورد الطبرى بإسناده صحيح عن ابن زيد أنه قال: كان لفرعون خزائن كثيرة غير الطعام، فأسلم سلطانه كله إليه، وجعل القضاء إليه، أمره وقضاءه نافذ.

* * *

س: هل يجوز لشخص أن يسأل الإمارة؟

ج: ابتداءً؛ فقد ورد عن رسول الله ﷺ النهي عن سؤال الإمارة فقال عليه الصلاة والسلام لعبد الرحمن بن سمرة: «يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة؛ فإنك إن أعطيتها عن مسألة وُكّلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعتنت عليها».

وفي الحديث الآخر قال عليه الصلاة والسلام: «إنا لا نولي هذا الأمر أحداً سأله».

لكن إن كانت هناك مصلحة راجحة تستلزم سؤال الإمارة كأن يكون هناك أميرٌ ظالم غشوم يظلم العباد ويسلبهم أموالهم، وطلب شخص الإمارة للقيام بالعدل ورد المظالم إلى أهلها؛ فلا بأس بسؤال الإمارة في هذه الحال.

وكذلك إذا كان ثمّ شخص يريد إقامة الدين والحق وسؤال الإمارة لذلك فلا بأس، وقد قال يوسف عليه السلام: ﴿وَاجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِظٌ عَلَيْمٌ﴾ .

أما إذا سأّل شخص الإمارة تكثراً وتعالياً وبراً ورياءً؛ فهذا السؤال يحرّم عليه ولا يجوز له، وهذه بعض أقوال أهل العلم في ذلك:

قال القرطبي رحمه الله في تفسير قول يوسف عليه السلام: ﴿اجعلني على خزان الأرض إني حفيظ عالم﴾:

ودللت الآية أيضاً على جواز أن يطلب الإنسان عملاً يكون له أهلاً؛ فإن قيل: فقد روى مسلم عن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمامة؛ فإنك إن أعطيتها عن مسألة وُكِلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أُعنت عليها».

وعن أبي بُردة قال: قال أبو موسى: أقبلت إلى النبي ﷺ ومعي رجلان من الأشرين، أحدهما عن يميني والآخر عن يساره، فكلاهما سأله العمل، والنبي ﷺ يستاك، فقال: «ما تقول يا أبو موسى - أو: يا عبد الله بن؟». قال: قلت: والذي بعثك بال الحق ما أطلعني على ما في أنفسهما، وما شعرت أنهما يطلبان العمل.

قال: وكأني أنظر إلى سواكه تحت شفته وقد قلصت، فقال: «لن - أو - لا نستعمل على عملنا من أراده» وذكر الحديث؛ خرجه مسلم أيضاً وغيره.

فالجواب:

أولاً: أن يوسف عليه السلام إنما طلب الولاية لأنه علم أنه لا أحد يقوم مقامه في العدل والإصلاح، وتوصيل الفقراء إلى حقوقهم، فرأى أن ذلك فرض متعين عليه فإنه لم يكن هناك غيره.

وهكذا الحكم اليوم، لو علم إنسان من نفسه أنه يقوم بالحق في القضاء أو الحسبة ولم يكن هناك من يصلح ولا يقوم مقامه لتعيين ذلك عليه، ووجب أن يتولاها ويسأل ذلك، ويخبر بصفاته التي يستحقها به من العلم والكمالية

وغير ذلك، كما قال يوسف عليه السلام.

فأمّا لو كان هناك من يقوم بها ويصلح لها وعلم بذلك فالأولى ألا يطلب؛ لقوله عليه السلام لعبد الرحمن: «لا تسأل الإمارة».

وأيضاً فإنّ في سؤالها والحرص عليها مع العلم بكثرة آفاتها وصعوبة التخلص منها دليلاً على أنه يطلبها لنفسه ولأغراضه، ومن كان هكذا يوشك أن تغلب عليه نفسه فيهلك؛ وهذا معنى قوله عليه السلام: «وكل إليها» ومن أباها لعلمه بأفاتها، وخوفه من التقصير في حقوقها فرّ منها، ثم إن ابتهل بها فيرجى له التخلص منها، وهو معنى قوله: «أعين عليها».

الثاني: أنه لم يقل: إني حبيب كريم، وإن كان كما قال النبي ﷺ: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن ععقوب بن إسحاق بن إبراهيم». ولا قال: إني جميل مليح، إنما قال: ﴿إِنِّي حَفِظْ عَلِيم﴾ فسألها بالحفظ والعلم، لا بالنسب والجمال.

الثالث: إنما قال ذلك عند من لا يعرفه فأراد تعريف نفسه، وصار ذلك مستثنى من قوله تعالى: ﴿فَلَا تُرْكُوا أَنفُسَكُم﴾.

الرابع: أنه رأى ذلك فرضياً متعيناً عليه؛ لأنّه لم يكن هنالك غيره، وهو الأظهر، والله أعلم.

ودللت الآية أيضاً على أنه يجوز لإنسان أن يصف نفسه بما فيه من علم وفضل؛ قال الماوردي: وليس هذا على الإطلاق في عموم الصفات، ولكنه مخصوص فيما اقترب بوصله، أو تعلق بظاهر من مكسب، ومنعوه منه فيما سواه، لما فيه من تزكية ومراءة، ولو ميزه الفاضل عنه لكان أليق بفضله؛ فإن يوسف دعوه الضرورة إليه لما سبق من حاله، ولما يرجو من الظفر بأهله.

وقال صديق حسن خان في تفسير قوله تعالى: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِظٌ عَلَيْمٌ﴾:

طلب يوسف عليه السلام منه ذلك ليتوصل به إلى نشر العدل، ورفع الظلم، ويتوصل به إلى دعاء أهل مصر إلى الإيمان بالله وترك عبادة الأوثان.

وفيه دليل على أنه يجوز لمن وثق من نفسه إذا دخل في أمر من أمور السلطان أن يرفع منار الحق ويهدى ما أمكنه من الباطل أن يطلب ذلك لنفسه، ويجوز له أن يصف نفسه بالأوصاف التي لها؛ ترغيباً فيما يرومها وتنشيطاً لمن يخاطبه من الملوك بإلقاء مقاليد الأمور إليه وجعلها منوطه به.

ولكنه يعارض هذا الجواز ما ورد عن النبي ﷺ من النهي عن طلب الولاية والمنع من تولية من طلبها أو حرص عليها، وكان يوسف عليه السلام طلبها ابتغاء لوجه الله لا لحب الملك والدنيا؛ وبهذا يجمع بينهما.

* * *

س: هل يجوز لشخصٍ أن يُزكي نفسه^(١)؟

ج: نعم، يجوز ذلك في بعض الأحيان^(٢)، إذا كان يُرغب الناس في الخير ويوجههم إليه، وإذا كان يريد التوصل إلى أمر محمود ومشروع ومقرب من الله، وقد قال يوسف ﷺ لعزيز مصر: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِظٌ عَلَيْمٌ﴾.

* * *

(١) وقد قدمنا مزيداً لهذا الباب في تفسير سورة النساء عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا ترْكُوا أَنفُسَكُم﴾.

(٢) وإلا فالاصل عدم تزكية النفس؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا ترْكُوا أَنفُسَكُم﴾.

س: هل يجوز لمسلم أن يعمل عند كافر؟

ج: إذا كان العمل عند الكافر ليس فيه امتحان لدين المسلم ولا إخلال بالشرع جاز ذلك العمل، بدليل طلب يوسف العمل عند ملك مصر إذ قال: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِظُ عَلَيْمٌ﴾.

أما إذا كان في العمل امتحان لدين المسلم وإزاره به فلا يجوز، وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخْوُضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخْوُضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذَّكْرِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيُسْتَهْزِئُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخْوُضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾.

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك:

قال القرطبي رحمه الله:

قال بعض أهل العلم: في هذه الآية ما يبيح للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر، والسلطان الكافر، بشرط أن يعلم أنه يفروض إليه في فعل لا يعارضه فيه، فيصلح منه ما شاء؛ وأما إذا كان عمله بحسب اختيار الفاجر وشهواته وفجوره فلا يجوز ذلك.

وقال قوم: إن هذا كان ليوسف خاصة، وهذا اليوم غير جائز.
وال الأول أولى إذا كان على الشرط الذي ذكرناه. والله أعلم.

وبوَّب البخاري في كتاب الإجارة من «صحيحة» بباب (هل يؤاجر الرجل نفسه من مشرك في أرض الحرب؟).

أي: أن البخاري علق الترجمة ولم يجزم فيها برأي، وذلك لكون المسألة

تحتمل الوجهين . والله أعلم .

ثم إن البخاري^(١) أورد في الباب حديث خباب رضي الله عنه ، وفيه أن خباباً قال : كنتُ رجلاً قيناً ، فَعَمِلْتُ لِلعاصِي بْنَ وَائِلٍ ، فاجتَمَعَ لِي عَنْهُ فَأَتَيْتُهُ أَنْقَاضَاهُ فَقَالَ : لَا ، وَاللَّهِ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ . فَقَلَتْ : أَمَا وَاللَّهِ حَتَّى تَمُوتَ ثُمَّ تُبَعَثُ فَلَا . قَالَ : إِنِّي لَمَّا تُمْوِتَ ثُمَّ مُبَعُوثٌ ؟ قَلَتْ : نَعَمْ . قَالَ : فَإِنَّهُ سِكِّونٌ لِي مَالٌ وَوَلَدٌ ، فَأَقْضِيهِكَ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَنِّي مَالًا وَوَلَدًا﴾ .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله شارحاً لترجمة البخاري :

قوله : (باب هل يؤاجر الرجل نفسه من مشرك في أرض الحرب؟) : أورد فيه حديث خباب . وهو إذ ذاك مسلم . في عمله لل العاصي بن وائل وهو مشرك ، وكان ذلك بكرة وهي إذ ذاك دار حرب ، واطلع النبي ﷺ على ذلك وأقره ، ولم يجزم المصنف بالحكم لاحتمال أن يكون الجواز مقيداً بالضرورة ، أو أن جواز ذلك كان قبل الإذن في قتال المشركين ومنابذتهم وقبل الأمر بعدم إذلال المؤمن نفسه ، وقال المهلب : كره أهل العلم ذلك إلا لضرورة بشرطين :

أحدهما : أن يكون عمله فيما يحل للمسلم فعله .

والآخر : أن لا يعينه على ما يعود ضرره على المسلمين .

وقال ابن المنير : استقرت المذاهب على أن الصناع في حواناتهم يجوز لهم العمل لأهل الذمة ولا يعد ذلك من الذلة ، بخلاف أن يخدمه في منزله

(١) البخاري (حديث ٢٢٧٥).

وبطريق التبعية له والله أعلم .

* * *

س: قوله: ﴿إِنِّي حَفِظْتُ عِلْمًا﴾ حفيظ على ماذا؟ وعليم بماذا؟
ج: حفيظ على ما استودعتني، حفيظ على الخزائن، عليم بتصريف
الأمور وتدبرها، والله أعلم .

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ .

ج: قال القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ أي: ومثل هذا الإنعام الذي أنعمنا عليه في تقريره إلى قلب الملك، وإنجائه من السجن مكنا له في الأرض؛ أي: أقدرناه على ما يريد .

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

ج: المراد والله أعلم: لا نبطل جزء من عمل عملاً صالحًا مطيناً فيه لله سبحانه وتعالى، مستقيماً فيه على أوامرها مجتنباً نواهيه، مخلصاً في ذلك من قلبه عافياً عن الخلق .

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلِأَجْرِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَقَوَّلُونَ﴾ .

ج: المعنى، والله أعلم: أن المدخل ليوسف عليه السلام وللمؤمنين المتقيين عموماً

خَيْرٌ مَا عُجِّلَ لَهُمْ فِي دُنْيَا هُمْ مِنْ مُلْكٍ وَثِرَاءٍ وَمَنْصَبٍ وَجَاهٍ وَأَوْلَادٍ وَنِسَاءٍ . .
 إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، كَمَا قَالَ تَعَالَى بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ مَا أَنْعَمَ بِهِ
 عَلَى سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^{٣٩}
 وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُفْقَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ . .

قال السعدي رحمه الله:

﴿وَلَا جُرُّ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ أي: من جمع بين الإيمان والتقوى .



وَجَاءَ إِخْوَةً

يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ **٦٨** وَلَمَّا
جَهَزَهُمْ بِمَا هُمْ قَالَ أَشْتُوْنِي يَا خَلَّكُمْ مِنْ أَيِّكُمْ أَلَا تَرَوْنَ
أَفِي أُوْفِي الْكِيلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزَلِينَ **٦٩** فَإِنَّمَا تَأْتُونِي بِهِ فَلَا
كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا نَقْرَبُونَ **٦٧** قَالُوا سَرُورُ دُعَاهُ أَبَاهُ
وَإِنَّا لَفَعِلُونَ **٦١** وَقَالَ لِفَتِيَّنِيهِ أَجْعَلُو أَيْضًا عَنْهُمْ فِي رِحَالِهِمْ
لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا أَنْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرَجِعُونَ
فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَيِّهِمْ قَالُوا يَا بَانَا مُنْعَ مِنَ الْكِيلَ **٦٢**
فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَا نَانَ كَتَلَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ **٦٣**

قَالَ هَلْءَ أَمْتُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ
قَبْلُ فَإِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ حَفَظَا وَهُوَ رَحْمَ الرَّاحِمِينَ **٦٤** وَلَمَّا فَتَحُوا
مَتَعَهُمْ وَجَدُوا أَيْضًا عَنْهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَانَا
مَا بَغَى هَذِهِ بِضَعْنَارُدَتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ
أَخَا نَانَا وَنَزَدَادُ كَيْلَ بَعِيرِ ذَلِكَ كَيْلَ يَسِيرُ **٦٥** قَالَ لَنَّ
أَرْسَلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقَاتِمَ لَهُ لَتَأْشِنَّ بِهِ إِلَّا
أَنْ يُحَاطِ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكَيْلُ

س: اذكر معنى كلِّ ما يلي:

وهم له منكرون - خير المنزلين - سراود - وإنما لفاعلون - فتیانه - رحالهم - انقلبوا - نكتل - ما نبغى - غير أهلنا - كيل بغير - يسير - موئقاً - يُحاط بكم - وكيل.

ج:

الكلمة	معناها
وهم له منكرون	وهم لا يعرفونه.
خير المنزلين	خير المُضيّفين (خير من أكرم الأضياف، وأحسن منازلهم).
سراود عنه أباه	سنطلبه من أبيه (والمراودة: الطلب برفق ولين). ونراود معناها أيضًا: نطلب منه النزول عن إرادته. وهي إبقاء أخيانا - إلى إرادتنا وهي المعيّنة به معنا.
فاعلون	لمجتهدون في مراودة أخيانا (حتى يسمح لنا بالإتيان بأخيانا).
فتیانه	غلمانه.
رحالهم	الرحل: كل شيء يعدُّ للرحيل، من وعاء للممتعة ومركب للبعير، ومجلس ونحو ذلك.
انقلبوا	رجعوا.
نكتل	نأتي بالكيل - نأخذ الكيل.
ما نبغى	ماذا نريد.

<p>نجلب لهم الميرة وهي الطعام . حملَ جَمْلَ .</p> <p>قليل (قليل بالنسبة لنا فلن يكفيانا) ، و(قليل بالنسبة للعزيز فلن يشق عليه إعطاؤنا) .</p> <p>ما أثق به في قولكم ، ما تحدث لي به الثقة ، والمراد هنا العهد المؤكـد باليمين .</p> <p>يُحال بينكم وبينه - تُغلبوا - تهلكوا جميعاً ، ومنه ﴿وَأَحِيطَ بِشَمْرِه﴾ .</p> <p>والإحاطة مأخذة من إحاطة العدو ، فمن أحاط به العدو فقد هلك .</p> <p>شهيد (شهيد علـينا أن نـفي بما نـقول) - كـفـيل - رقـيب .</p>	<p>غـير أـهـلـنا كـيل بـعـير يـسـير موـثـقـاً يعـاطـ بـكـم وكـيل</p>
--	--



س: قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ متى كان هذا المجيء؟ ولماذا أتوا؟

ج: كان هذا المجيء بعد سنوات الرخاء التي هي السبع السمان، فتلتها سنون الشدة والجدب، وفيها أتى إخوة يوسف يتلمسون الطعام والزاد لأهليهم بعد أن ضربتهم المجاعة.

قال القرطبي رحمه الله:

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ أي: جاءوا إلى مصر لما أصابهم القحط ليختاروا، وهذا من اختصار القرآن المعجز. قال ابن عباس وغيره: لما أصاب الناس القحط والشدة، ونزل ذلك بأرض كنعان بعث يعقوب عليه السلام ولده للمرة، وذاع أمر يوسف عليه السلام في الأفاق، للينه وقربه ورحمته ورأفته وعدله وسيرته؛ وكان يوسف عليه السلام حين نزلت الشدة بالناس يجلس للناس عند البيع بنفسه، فيعطيهم من الطعام على عدد رءوسهم، لكل رأس وسقاً.

* * *

س: كيف لم يعرفه إخوه وقد أوتي شطر الحسن؟

ج: قال بعض العلماء: إنهم لم يعرفوه لأسباب منها ما يلي: أولاً: إنهم تركوه صغيراً، ورأوه كبيراً، وقد تغيرت ملامحه وظهرت له لحية.

ثانياً: إنهم لم يتوقعوا أن يصل إلى هذه المنزلة التي هو فيها.

ثالثاً: الذي يلبسه يوسف غير بعض ملامحه.

رابعاً: صرفهم الله عن معرفته لأمر يريده سبحانه وتعالى.

* * *

س: من هذا الأخ الذي هو لهم من أبيهم؟

ج: على رأي جمهور المفسرين هو بنيامين^(١) ، وهو أخو يوسف لأمه وأبيه، وبهذا قال قنادة^(٢) رحمه الله.

* * *

س: كيف استجاز يوسف عليه السلام إدخال الحزن على أبيه بطلب أخيه؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن ذلك كان بأمر الله عز وجل زيادة لبلاء يعقوب عليه السلام؛ حتى يعظم له الأجر ويكثر له الثواب.

* * *

س: ما المراد بالبضاعة في قوله: ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتِهِمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾؟

ج: المراد بالبضاعة: مقابل الطعام الذي يشترونه.

ومن العلماء من قال: كانت عملة من فضة.

* * *

س: لماذا رد إليهم يوسف البضاعة؟

ج: قال يوسف عليه السلام: ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتِهِمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

(١) ولم يرد له اسم صريح في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ولعل اسم بنيامين هذا متلقى من الإسرائيليات.

(٢) أخرج ذلك الطبرى عنه بإسناد حسن (١٩٤٧٥).

قال صديق حسن خان في تفسير ذلك:

فعل يوسف عليه السلام ذلك تفضلاً عليهم .

وقيل: ليستعينوا بها على الرجوع إليه سريعاً لشراء الطعام، وقيل: ليرجعوا إليه مرة أخرى لعلمه أنهم لا يقبلون الطعام إلا بشمن. قاله الفراء، وجرى عليه الحال.

وقيل: إنه خاف أن لا يكون عند أبيه شيء آخر من المال لأن الزمان كان زمان قحط وشدة.

وقيل: أراد أن يحسن إليهم على وجه لا يلحقهم فيه منة ولا عيب.

وقيل: أراد أن يرיהם بره وكرمه وإحسانه إليهم.

وقيل: أراد أن يكون ذلك عوناً لأبيه وإخوته على شدة الزمان. وقيل غير ذلك.

وقيل: إنه استقبح أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمن الطعام.

وقال الطبرى رحمه الله:

فإن قال قائل: ولأية علة أمر يوسف فتىاته أن يجعلوا بضاعة إخوته في حالهم؟

قيل: يحتمل ذلك أوجهًا:

أحدها: أن يكون خشي ألا يكون عند أبيه دراهم، إذ كانت السنة سنة جدب وقحط، فيضرُّ أخذ ذلك منهم به، وأحبَّ أن يرجع إليه.

أو: أراد أن تسع بها أبوه وإخوته، مع قلة حاجتهم إليه، فرده عليهم من حيث لا يعلمون، سبب رده، تكرماً وتفضلاً.

والثالث: وهو أن يكون أراد بذلك ألا يخلفوه الوعد في الرجوع، إذا وجدوا في رحالهم ثمن طعام قد قبضوه وملكه عليهم غيرهم، عوضاً من طعامه، ويترجحوا من إمساكهم ثمن طعام قد قبضوه حتى يؤذوه على صاحبه، فيكون ذلك أدعى لهم إلى العود إليه.

* * *

س: وضع معنى قوله: ﴿قَالَ هَلْ آمِنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قِبْلِهِ﴾.

ج: قال صديق حسن خان رحمه الله في تفسيره «فتح البيان»: والمعنى: أنه لا يأمنهم على بنيامين إلا كما أمنهم على أخيه يوسف عليه السلام وقد قالوا له في يوسف عليه السلام: وإنما لـه لحافظون كما قالوا هنا، ثم خانوه في يوسف عليه السلام، فهو إن أمنهم في بنيامين خاف أن يخونوه كما خانوه في يوسف عليه السلام.

* * *

س: كيف قالوا: ﴿يَا أَبَانَا مُنْعِ مِنَ الْكِيلِ﴾، ويوسف قد أوفى لهم الكيل إذ قال: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أَوْفِي الْكِيلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزَلِينَ﴾؟

ج: مرادهم، والله أعلم: سيمعنـ منـ الكـيلـ إذا لم تـرسلـ معـناـ أـخـاناـ، فـهـوـ إـطـلاقـ باـعـتـبارـ ماـ هوـ آـتـ. أوـ منـ كـيلـ أـخـيناـ، إذـ قـدـ تـقرـرـ أـنـ لـكـلـ مـنـهـمـ حـمـلـ بـعـيرـ.

قال الطبرـي رـحـمـهـ اللهـ:

يقول تعالى ذكره: فلما رجـعـ إـخـوةـ يـوسـفـ إـلـىـ أـبـيهـمـ قالـواـ: ﴿يَا أَبَانَا مُنْعِ مِنَ الْكِيلِ فَأَرْسَلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتُلُ﴾ يقولـ: منـ كـيلـ، فـوـقـ كـيلـ الذـيـ

كيل لنا، ولم يكل لكل رجل مَنَّا إِلَّا كيل بعير، ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا﴾ بنiamين يكتل لنفسه كيل آخر زيادة على كيل أباعرنا، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، من أن يناله مكروه في سفره.

وقال ابن الجوزي رحمه الله «زاد المسير»:

أحدهما: حُكْم عَلَيْنَا بَنْعُ الْكَيْلِ بَعْدَ هَذَا الْوَقْتِ، كَمَا تَقُولُ لِلرَّجُلِ: دَخَلَتْ وَاللَّهُ النَّارُ بِمَا فَعَلَتْ.

والثاني: أن المعنى: يا أباانا يُمنع منا الكيل إن لم ترسله معنا، فناب «منع» عن «يُمنع» كقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ أي: يخلده، وقوله: ﴿وَنَادَى أَصْحَابَ النَّارِ﴾ ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى﴾ أي: وإذا يقول، ذكرهما ابن الأنباري.

* * *

س: ووضح المراد بقولهم «ما» في قولهم: «ما نَبْغِي»؟
ج: قال بعض العلماء: إنها استفهامية.

قولهم: «ما نَبْغِي» أي: ماذا نطلب، وماذا نريد بعد هذا الإكرام الذي قابلنا به العزيز؟! إن بضاعتنا - وهي الثمن الذي نشتري به الطعام - قد رجعت إلينا مع الطعام، وقد أوفى لنا الكيل أيضاً، فماذا نريد بعد ذلك.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

«ما نَبْغِي» ما للاستفهام الإنكاري، والمعنى: أي شيء نطلب من هذا الملك بعد أن صنع معنا ما صنع من الإحسان بـالبضاعة والإكرام عند القدوم إليه، وتوفير ما أردناه من الميرة، وأرادوا بهذا الكلام تطيب قلب أبيهم.

وقال قتادة : مَا نَبْغِي وراء هذَا؟

وَقَيْلٌ : إِنْ مَا نَافِيَ أَيْ : مَا نَبْغِي فِي الْقَوْلِ ، وَمَا نَزِيدُ فِيمَا وَصَفَنَا لَكَ مِنْ إِحْسَانِ الْمَلِكِ إِلَيْنَا وَإِكْرَامِهِ لَنَا .

وَقَرِئَ بِالْفَوْقِيَّةِ خَطَابًا لِيَعْقُوبَ ، أَيْ : أَيْ شَيْءٌ تَطْلُبُ وراء هذَا الإِحْسَانِ؟ أَوْ أَيْ شَيْءٌ تَطْلُبُ مِنَ الدَّلِيلِ عَلَى صَدْقَنَا؟!



وَقَالَ يَبْنَيَ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ
مُّتَفَرِّقَةً وَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ مِنْ أَلَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا
لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلُ وَعَلَيْهِ فَلَيَسْتَوْكِلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ٦٧
دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمْرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ
مِنْ أَلَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَيْهَا وَإِنَّهُ
لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلِمَنَهُ وَلَنْ يَكُنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ يُوسُفَ أَوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ ٦٨
إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَسِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

٦٩

٦٧

٦٨

س: ووضح معنى ما يلي:
عليه توكلت - آوى - تبئس.

ج:

الكلمة	معناها
عليه توكلت	عليه اعتمدت ، وفيه وثقت .
آوى	ضمّ .
تبئس	حزن - تأسف .

* * *

س: لماذا طلب يعقوب عليه السلام من أبنائه الدخول من أبواب متفرقة؟

ج: قال كثيرون من أهل العلم: لأنهم كانوا ذوي هيئة وصورة وحسن وجمال وبهاء فخشى عليهم العين.

وما يدل على كونهم من ذوي الحُسْن والجمال أن آباءهم كانوا كذلك، فقد قال تعالى: ﴿وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ أي: الأقوية العلماء.

وقال آخرون: إنما خشى عليهم يعقوب عليه السلام أذى المؤذين واعتداء المعذين. والله أعلم.

وهنا فقه ينبغي أن يتفضل له إخواننا عند دخولهم بعض المدن لتفادي كمائن الشرط ونقاط التفتيش، فلا يدخلون بعدد كبير من مكان واحد، بل يتفرقون عند دخولهم دفعاً للسوء الذي قد يصابون به، والله أعلم.

* * *

س: وضح معنى قوله: ﴿وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾.

ج: المعنى والله أعلم: وما أقدر أن أدفع عنكم من قضاء الله الذي قد قضاه عليكم من شيء، صغير ولا كبير؛ لأن قضاءه نافذ في خلقه. قاله الطبرى رحمه الله.

* * *

س: ما المراد بقوله في هذا الموضع: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾؟

ج: المراد بالحكم هنا، والله أعلم القضاء والأمر.

* * *

س: ما الحاجة التي في نفس يعقوب؟

ج: قال بعض العلماء: هي حرصه وشفقته على أبنائه، وإرادة دفع العين والسوء والمكروره عنهم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمَنَاهُ﴾.

ج: المعنى والله أعلم: وإنه لذو علم لتعليمنا له، أي: بسبب تعليمنا له^(١)، وقيل: وإنه لعامل بما علّم، وقيل أيضاً: لحافظ لما علمناه.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لا يعلمون ماذا؟

ج: لا يعلمون أن يعقوب على علم، ولا يعلمون كثيراً من العلم عموماً، والله أعلم.

* * *

س: في الآية الكريمة ما يدل على أن الله عز وجل يدافع عن أنبيائه عليهم السلام. وضح ذلك بمزيد من الأدلة.

ج: إياضاحه: أن الله سبحانه وتعالى بعد أن قال: ﴿مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ قد يتوهם متوهماً أن يعقوب عليه السلام ليس على علم، فنفي الله ذلك عن نبيه يعقوب عليه السلام فقال: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمَنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

ومن هذا الدفاع: قول الله سبحانه وتعالى في معرض الدفاع عن نبيه

(١) أي: أن العلم الذي يحمله ليس بحوله ولا بقوته، إنما بفضل تعليمنا.

﴿فَذَكِرْ فَمَا أَنْتَ بِنْعَمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنَ وَلَا مُجْنَوْ﴾ .

ومن ذلك أيضاً: قوله تعالى: **﴿وَدَاؤُدُّ وَسُلَيْمَانٌ إِذْ يَحْكُمُانَ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنْمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾** ٧٨ **﴿فَهُمْ مِنَّا هَا سُلَيْمَانٌ﴾** فقد يتسرّب إلى شخص أن داود عليه السلام ليس على علم؛ فقال تعالى:

﴿وَكُلَّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعْلَمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاؤُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحُنَّ وَالظَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ وَعَلَمْنَا هَا صَنْعَةَ لَبُوسِكُمْ...﴾ ٧٩

فذكر الله فضله على نبيه داود عليه السلام وبين منزلته عليه السلام. ونحو ذلك قول الله سبحانه وتعالى في شأن نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام إذ جاءته البشرى، قال تعالى: **﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرُّؤُعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمٍ لُوطٍ﴾** أي: أنه يطلب إمهال قوم لوط وتأخير إنزال العذاب عليهم، فقد يتوجه شخص أن إبراهيم عليه السلام أخطأ خطأً شديداً في طلبه هذا، لكن الله تعالى قال مثنياً عليه بين يدي عتابه: **﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾** ثم قال: **﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ أَتَيْهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾**.

فعلى ذلك إذا انتقدنا شخصاً من الأشخاص لعمل قام به لم يوفق فيه، أو لكلمة تكلم بها جانبه الصواب فيها لا ينبغي أن ننسى له سابق فضله ومعرفته وإحسانه. والله تعالى أعلم.

فَلَمَّا جَهَرَ هُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلٍ أَخِيهِ ثُمَّ
أَذَنَ مُؤْذِنٌ أَيْتَهَا الْعِيرِ إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ ﴿٧٥﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا
عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧٦﴾ قَالُوا نَفَقَدْ صُوَاعَ الْمَلِكِ
وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حَمْلٌ بَعِيرٌ وَأَنَابِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٧﴾ قَالُوا تَالَّهُ
لَقَدْ عِلْمَتُمْ مَا جِئْنَا لِنَفِيدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَرِقِينَ
قَالُوا فَمَا جَرَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ كَذَّابِينَ ﴿٧٨﴾ قَالُوا جَرَوْهُ
مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَرَوْهُ كَذَّالِكَ بَخْزِي الظَّالِمِينَ
فَبَدَأَ إِبْرَاهِيمَ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ أَسْتَخْرَجَهَا مِنْ
وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَّالِكَ كَذَّالِكَ يُوسُفَ مَا كَانَ لِي أَخْذُ أَخَاهُ
فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَرْفَعُ دَرَجَتِي مَنْ شَاءَ
وَفَوَقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ قَالُوا إِنْ يَسْرِقُ
فَقَدْ سَرَقَ أَخُوهُهُ مِنْ قَبْلٍ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ
وَلَمْ يُبَدِّهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
تَصِفُونَ ﴿٨٠﴾

س: وضح معنى ما يلي:

جهزهم بجهازهم - السقاية - رحل - أذن مؤذن - أيتها العير - حمل
بعير - زعيم - تالله - كدنا - دين الملك - فأسرها - لم يُدها - شر مكاناً -
تصفون.

: ج:

الكلمة	معناها
جهزهم بجهازهم	قضى لهم حاجتهم ووفاهم كيلهم وأتمه لهم. هي الإناء الذي يُكال به الطعام، وهي أيضًا الإناء الذي يشرب فيه الملك؛ فالسقاية والصواعق شيء واحد.
رحل	متعة.
أذن مؤذن	نادي منادٍ.
أيتها العير	يا أصحاب العير - يا أصحاب الإبل.
حمل بعير	قدر ما يحمله البعير، والبعير: الجمل.
زعيم	كفيل (أي: كفيل بأن أو فيه حمل البعير من الطعام إذا جاء بصواعق الملك).
تالله	والله.
كدنا	دبرنا - أردنا - يسرنا له هذا التدبير.
دين الملك	سلطان الملك - حكم الملك - عادة الملك.
أسرها	أضمرها - أخفاها.

لم يظهرها .
 شرُّ منزلة (من رميته).
 تكذبون - تفترون .

لم يدها
 شرُّ مكاناً
 تصفون

* * *

س: كيف استجاز يوسف عليه السلام أن يجعل السقاية في رحل أخيه ثم يُسرق قوماً أبرياء من السرقة فيقول: ﴿أَيْتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾؟

ج: في ذلك وجوه لأهل العلم، منها ما يلي:

أولاً: أن يوسف عليه السلام لم يقل: إنكم لسارقون، إنما أذن مؤذن بذلك.

ثانياً: إنهم نسبوا إلى السرقة لا في ذلك الحين، إنما لكونهم سرقوا من قبل، فأخذوا يوسف فأخفوه عن أبيه، وقالوا: إنا ذهبنا نستيق وتركنا يوسف عند متابعنا فأكله الذئب.

قال الطبرى رحمة الله:

إن قال لنا قائل: وكيف جاز لي يوسف أن يجعل السقاية في رحل أخيه، ثم يُسرق قوماً أبرياء من السرقة، ويقول: ﴿أَيْتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾؟
 قيل: إن قوله: ﴿أَيْتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ إنما هو خبرٌ من الله عن مؤذنٍ أذن به، لا خبر عن يوسف. وجائز أن يكون المؤذن أذن بذلك إذ فقد الصواع ولا يعلم بصنع يوسف، واستجاز الأمر بالنداء بذلك، لعلمه بهم قد كانوا سرقوا سرقة في بعض الأحوال، فأمر المؤذن أن يناديهم بوصفهم بالسرقة، ويوسف يعني ذلك السرقة لا سرقةهم الصواع.

وقد قال بعض أهل التأويل: إن ذلك كان خطأ من فعل يوسف، فعاقبه الله بإجابة القوم إياه: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخْ لَهُ مِنْ قَبْلِ﴾، وقد ذكرنا الرواية فيما مضى بذلك. اهـ.

وقال ابن الجوزي رحمه الله في «زاد المسير»:

فإن قيل : كيف جاز لي يوسف أن يُسرق من لم يسرق ؟

فعنه أربعة أجوبة :

أحدها: أن المعنى: إنكم لسارقون يوسف حين قطعتموه عن أبيه وطرحتموه في الجب . قاله الزجاج .

والثاني: أن المنادي نادى وهو لا يعلم أن يوسف أمر بوضع السقاية في رحل أخيه ، فكان غير كاذب في قوله . قاله ابن جرير .

والثالث: أن المنادي نادى بالتسريق لهم بغير أمر يوسف .

والرابع: أن المعنى: إنكم لسارقون فيما يظهر لمن لم يعلم حقيقة أخباركم ، كقوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ أي: عند نفسك لا عندنا ، وقول النبي ﷺ: «كذب إبراهيم ثلات كذبات» أي: قال قولًا يشبه الكذب ، وليس به .

* * *

س: ذكر البعض أن يوسف عليه السلام زلت قدمه في ثلاثة مسائل ، وهي :

﴿إِنْكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ فنسب إخوته إلى السرقة وهم منها : اع .

والثاني في قوله: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ .

والثالث في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ بِهَا﴾ .

قالوا: وقد عوقب في الثلاث ، أما لهم فقد دخل بسببه السجن . وأما ﴿إِنْكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ فجوزي بقولهم: ﴿إِنْ يَسْرُقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخْ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ .

الثالث: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ ﴿فَلَبِثْتُ فِي السَّجْنِ بِضُعْفِ سِنِّين﴾ .

فما مدى صحة هذا؟

ج: في كل المذكور نظر.

أما قوله: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ فهذا من باب الأخذ بالأسباب، وأما قوله: ﴿وَهُمْ بِهَا﴾، و﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ فقد قدمنا الكلام عليهما بما فيه كفاية.

* * *

س: المتهم البريء تظهر براءته من تصرفاته. ووضح ذلك.

ج: إيضاحه: أن إخوة يوسف لما ناداهم المنادي: ﴿أَيَّهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ قالوا: وأقبلوا إليهم ماذا تفقدون.

فلم يتلعنوا في الجواب، ولم يقفوا في مكانهم بل أتوا إلى الداعي مطمئنين ولم يهربوا.

والقطة - كما ذكر بعض العلماء - إذا أعطيتها سمكة أكلتها بجوارك، أما إذا سرقت هي سمكة خطفتها وذهبت بها مسرعة بعيداً عنك.

* * *

س: قال إخوة يوسف: ﴿تَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدِ فِي الْأَرْضِ﴾ فكيف أقسموا على علم غيرهم؟

ج: أجاب على نحو ذلك الطبرى بقوله: لأنهم - فيما ذكر - ردوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم، فقالوا: لو كنا سرّاقاً لم نردد عليكم البضاعة التي وجدناها في رحالنا.

وقيل: إنهم كانوا قد عرِفوا في طريقهم ومسيرهم أنهم لا يظلمون أحداً، ولا يتناولون ما ليس لهم، فقالوا ذلك حين قيل لهم: ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾.

أما ابن الجوزي في «زاد المسير» فقال:

فإن قيل: كيف حلفوا على علم قوم لا يعرفونهم؟
فالجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم قالوا ذلك، لأنهم ردوا الدرارم ولم يستحلوها، فالمعنى: لقد علمتم أنا ردنا عليكم درارمكم وهي أكثر من ثمن الصاع، فكيف نستحل صاعكم، رواه الصحاح عن ابن عباس، وبه قال مقاتل.

والثاني: لأنهم لما دخلوا مصر كمموا أفواه إبلهم وحميرهم حتى لا تتناول شيئاً، وكان غيرهم لا يفعل ذلك. رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثالث: أن أهل مصر كانوا قد عرفوهم أنهم لا يظلمون أحداً.

* * *

س: ووضح معنى قولهم: ﴿جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم: أن جزاء السارق - الذي يوجد الصواع في متاعه - أن يؤخذ كبعد مسترقٍ لصاحب الصواع، كذلك نجزي السارقين في شريعتنا - شريعة يعقوب عليه السلام.

المعنى - بصورة أخرى: أن السارق يؤخذ مقابل سرقته ويكون عبداً عند من سرق منهم، وهذا هو جزاء السارقين في شريعة يعقوب عليه السلام.
فقوله: ﴿مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ معناه: الذي وجد في رحله، وفيه تقدير

وهو: جزاؤه أن يؤخذ الذي وجد في رحله.

قال الطبرى رحمه الله:

ثواب السرق من وجد في متعه السرق (فهو جزاؤه) يقول : فالذى وجد ذلك في رحله ثوابه بأن يسلم بسرقه إلى من سرق منه حتى يسترقه ﴿كذلك نجزي الظالمين﴾ يقول : كذلك نفعل بن ظلم ، فعل ما ليس له فعله من أخذه مال غيره سرقاً .

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى : ﴿ قالوا فما جزاؤه إن كُنْتُمْ كاذِبِينَ ﴾ المعنى : فما جزاء الفاعل إن بان كذبكم؟ فأجاب إخوة يوسف : ﴿ جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ﴾ أي : يستبعد ويُسترق . فـ ﴿ جَزَاؤُهُ ﴾ مبتدأ ، و﴿ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ ﴾ خبره؛ والتقدير : جزاؤه استبعاد من وجد في رحله؛ فهو كناية عن الاستبعاد؛ وفي الجملة معنى التوكيد، كما تقول : جزاء من سرق القطع فهذا جزاؤه . ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ أي : كذلك نفعل في الظالمين إذا سرقوا أن يسترقو ، وكان هذا من دين يعقوب عليه السلام وحكمه .

* * *

س: لماذا بدأ بوعيتهم قبل وعاء أخيه؟

ج: ذلك، والله أعلم: لدفع الشبهة، حتى لا يُقالـ إذا فتش أول متع فوجد الصواب فيهـ: إن فتيان العزيز هم الذين أخفوا الصواب في رحل أخيهم، فبدأ بوعيتهم حتى تظهر براءتهم أولاًـ.

ونحو هذا الوجه من دفع التهم قول الشاهد: ﴿ إِنْ كَانَ قَمِصَهُ قُدْمِيَّاً مِّنْ

قُبِلَ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿فَبَدَا بِمَا يَظْهِرُ بِرَاءَةُ الْمَرْأَةِ حَتَّىٰ لَا يَتَهَمُ هُوَ بِالْتَّجْنِي عَلَيْهَا﴾.

ونحوه أيضًا: قول مؤمن آل فرعون الذي يخفي إيمانه في شأن موسى عليه السلام: ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذَبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبُّكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ فقدَمَ الكذب دفعًا لما قد يتوجه من نصرته له.

ونحو ذلك أيضًا: ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

* * *

س: لماذا استعمل ضمير المؤنث في قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَخْرِجْهَا مِنْ وَعَاءَهُ﴾؟
ج: لأنه أراد السقاية، وقد قدمنا أن السقاية والصُّواع اسمان لشيء واحد، كالثوب والملحفة اسمان لشيء واحد، والخوان والمائدة اسمان لشيء واحد، على ما ذكره بعض العلماء.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كَدَنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذُ أَخاه في دينِ الْمَلَكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم: هكذا دبرنا ورتينا ليوسف عليه السلام، دبرنا له تدبيراً حسناً لا أخذ أخيه الشقيق - من أمه وأبيه - وضممه إليه بهذا الحكم الذي حكم به إخوته أنفسهم، فهم الذين حكموا أن السارق يؤخذ كعبدٍ مُسترقٍ عند من سرق منه، ولم يكن في حكم الملك، ولا في قضاء الملك أن السارق يؤخذ كعبدٍ مُسترقٍ، ولكنه حكم به إخوة يوسف أنفسهم، حكموا به على من يكتشف أنه سرق، وقد كان هذا الحكم حكمهم في شريعتهم كما

قالوا: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾.

وَهَا هِيَ بَعْضُ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ:

قال الطبرى رحمة الله:

وقوله: ﴿كَذَلِكَ كَدَنَا لِيُوسُفَ﴾ يقول: هكذا صنعنا ليوسف، حتى يخلص أخاه لأبيه وأمه من إخوته لأبيه، بإقرارِ منهم أن له أن يأخذه منهم ويحتبسه في يديه، ويتحول بينه وبينهم؛ وذلك أنهما قالوا. إذ قيل لهم: ما جزاؤه إن كتم كاذبين؟ -: جزاء من سرق الصواع، أن من وجد ذلك في رحله في مسترقٍ به.

وذلك كان حكمهم في دينهم. فكاد الله ليوسف، كما وصف لنا، حتى أخذ أخاه منهم، فصار عنده بحكمهم وصنع الله له.

وقوله: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، يقول: ما كان يوسف ليأخذ أخاه في حكم ملك مصر وقضائه وطاعته منهم؛ لأنه لم يكن من حكم ذلك الملك وقضائه أن يسترق أحد بالسرقة، فلم يكن ليوسف أخذ أخيه في حكم ملك أرضه، إلا أن يشاء الله بكده الذي كاده له، حتى أسلم من وجد في وعائه الصواع إخوته ورفقاوه بحكمهم عليه، وطابت أنفسهم بالتسليم.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

وحاصله: أن يوسف ما كان يتمكن من إجراء حكم يعقوب على أخيه مع كونه مخالفًا للدين الملك وشريعته لو لا ما كاد الله له ودبره وأراده حتى وجد السبيل إليه، وهو ما أجراه على ألسن إخوته من قولهم: إن جزاء السارق

الاسترقاق ، فكان قوله هذا هو بمشيئة الله وتدبره .

وهذه الجملة تعليل لما صنعه الله من الكيد ليوسف عليه السلام أو تفسير له يعني : أن ذلك الأمر كله كان إلهاماً من أمر الله ليوسف عليه السلام وإخوته حتى جرى الأمر على وفق المراد وهو معنى قوله : ﴿إِلَّا أَن يَشَاءُ اللَّهُ﴾ أي : إلا حال مشيئته وإذا به بذلك وإرادته له والاستثناء منقطع ؛ إذ الأخذ بدين الملك لا يشمل المراد به .

فالمعني : ولكن أخذه بشرعية يعقوب .

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى : ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَشَاءُ﴾ .

ج: المعنى ، والله أعلم : نرفع من نشاء منازل ومراتب ودرجات كما رفينا يوسف عليه السلام ، فقد آتيناه حكماً وعلماً .

* * *

س: ووضح المراد بقوله تعالى : ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ .

ج: قال الطبرى رحمه الله :

وقوله : ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره : وفوق كل عالم من هو أعلم منه حتى ينتهي ذلك إلى الله ، وإنما يعني بذلك أن يوسف أعلم إخوته ، وأن فوق يوسف من هو أعلم من يوسف ، حتى ينتهي ذلك إلى الله تعالى .

* * *

س: ماذا يعنون بالأخ في قولهم: ﴿إِن يَسْرُقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخْ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾؟

ج: يعنون به يوسف عليه السلام.

أما السرقة التي نسبوه إليها وعابوه بها فمن العلماء من قال: إنه سرق في صغره صنماً كان لجده^(١) ، وذكروا أموراً أخرى، منها أن عمدة يوسف كانت تُحبه فسرقته شيئاً وهو لم يسرقه . وهو منطقة إسحاق . فبحثوا عنها فوجدوها مع يوسف ، فأخذته عمتة مقابل سرقته . وكل ذلك لم يصح فيه خبر عن النبي ﷺ .

وظلنا بأنبياء الله عليهم السلام كل ما هو جميل وحسن ، ولا يمتنع أن يكونوا قد كذبوا في قولهم إذ قالوا: ﴿إِن يَسْرُقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخْ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ .

* * *

س: ما الذي أسره يوسف في نفسه؟

ج: أسرَّ في نفسه مقوله: ﴿أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ ، أي: أنه قال في نفسه سراً: ﴿أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ .

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى في «زاد المسير»:

قوله تعالى: ﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ﴾ في هاء الكنایة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها ترجع إلى الكلمة التي ذكرت بعد هذا ، وهي قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾ ، روئى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس .

(١) أورد الطبرى بذلك آثاراً عن سعيد بن جبير وقتادة .

والثاني: أنها ترجع إلى الكلمة التي قالوها في حقه، وهي قولهم: ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخُّهُ مِنْ قَبْلِهِ﴾، وهذا معنى قول أبي صالح عن ابن عباس.

فعلى هذا يكون المعنى: أسر جواب الكلمة فلم يجدهم عليها.

والثالث: أنها ترجع إلى الحجة، المعنى: فأسر الاحتجاج عليهم في ادعائهم عليه السرقة ، ذكره ابن الإباري .

* * *

س: هل في يوسف وأخيه شر حتى يقال لإخوته: ﴿أَنْتُمْ شُرُّ مَكَانًا﴾؟
 ج: حاشا لله، ما في يوسف ولا أخيه شر، فليست أفعال التفضيل في قوله: ﴿شُرُّ مَكَانًا﴾ على بابها، وإنما هي كقوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقْرًا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾، مع أن أصحاب النار ليسوا في شيء من الخير بحال.

* * *

قَالُوا يَا تَائِيْهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ وَأَبَا شَيْخًا كَبِيرًا

فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ وَإِنَّا نَرَنَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ٧٨

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ تَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدَنَا مَتَعَنَا عِنْدَهُ وَإِنَّا

إِذَا الظَّالِمُونَ ٧٩ فَلَمَّا أَسْتَيْشُوْا مِنْهُ خَلَصُوا بِنَجْيَانًا

قَالَ كَيْرِيْهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخْذَ عَلَيْكُمْ

مَوْتِيقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلِ مَا فَرَطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ

الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَهُوَ خَيْرُ الْحَكَمَيْنَ

أَرْجِعُوكُمْ إِلَيْكُمْ فَقُولُوا يَا تَائِيْهَا إِنَّ أَبَنَكَ سَرَقَ ٨٠

وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَفَظِينَ

وَسُئَلَ الْقَرِيْةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ٨١

وَإِنَّا الصَّدِقُونَ ٨٢ قَالَ بَلْ سَوْلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْ رَا

فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ

الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ٨٣ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفَى عَلَى

يُوسُفَ وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ٨٤

قَالُوا تَالَّهِ تَفْتَأِرُونَ ذُكْرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا

أَوْ تَكُونَ مِنَ الْمُهَلِّكِينَ ٨٥ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوْا بَثِي

وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٨٦

يَبْيَنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيَشُوا

مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِيْشُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَفَرُونَ

س: اذكر معنى ما يلي:

معاذ الله - ظالمون - استيأسوا - خلصوا نجياً - فرطتم - أبرح - العير - سولت - صبر جميل - تولى عنهم - يا أسفًا - كظيم - تفتؤ - حرضًا - الهالكين - بشي - تحسروا - لا تيأسوا - روح الله.

: ج

الكلمة	معناها
معاذ الله	أعوذ بالله .
ظالمون	جائرون على الناس (بفعل ما ليس لنا فعله وأخذ ما ليس لنا أخذه) .
استيأسوا	يئسوا .
خلصوا نجياً	انفردوا وابعدوا عن الناس يتحدثون فيما بينهم سراً .
فرطتم	ضيعتم .
أبرح	أفارق .
العيير	المراد بالعيير هنا: القافلة وأصحابها .
سولت	زيّنت - حسّنت .
صبر جميل	أي: صبري على ولدي صبر جميل (لا جزع فيه ولا شكوى) .
تولى	أعرض .
يا أسفًا	يا حزناه - يا جزعاه، والأسف: أشد الحزن

والندم - يا طول حزني - قال بعض أهل العلم :
ومعنى المناداة للأسف طلب حضوره ، كأنه قال :
تعالَ يا أسفني وأقبل علىَّ .

غمومٌ مكروبٌ ، لا يظهر كربه لأحدٍ ، مملوءاً غمماً
وهماً ، ومسك به لا يشه ولا يظهره .

المراد هنا : لا تفتأ ، وحذف حرف النفي لعدم
الالتباس . والمعنى : لا تزال تذكر .

باليًا فانياً - تالفاً - فاسداً مختلطًا - هرِّماً - مشرفاً
على الوفاة .

الميتين .
حاجتي - همي - ضري - الذي في قلبي - ما أبهه من
الكلام .

اطلبوا الخبر برفق حتى تصلوا إلى حقيقته .
لا تقنطوا من فرج الله وتنفيسه ورحمته .
فرج الله - رحمة الله .

كظيم

تفتاً

حرضاً

الهالكين

بني

تحسساً
لاتيأسوا من
روح الله

س: ما وجہ قولہم: ﴿إِنَّ لَهُ أَبَا شِيْخًا كَبِيرًا﴾؟

ج: وجہ ذلك: أن يُقال: إنهم يعنون أن هذا الشيخ الكبير يُحبه جماً شدیداً، فيتسلى به عن ولده المفقود، والله أعلم.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿مَعَادُ اللَّهِ أَنْ تَأْخُذَ إِلَّا مِنْ وَجْدَنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾ فيه نوع من الاحتراز، وضح ذلك.

ج: بإيضاحه: أنه لم يقل: معاذ الله أن نأخذ إلا من سرق، بل قال: ﴿إِلَّا مِنْ وَجْدَنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾ وذلك احترازاً من وصف أخيه بالسرقة، فالاحتراز هنا عن الكذب وعن قذف البريء بالتهمة؛ فأخوه لم يسرق حقيقة.

* * *

س: اذكر من الآيات ما يؤدي معنى قوله: ﴿مَعَادُ اللَّهِ أَنْ تَأْخُذَ إِلَّا مِنْ وَجْدَنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾.

ج: مما يؤدّي معناها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْوِيْزَةً وَلَا اخْرَى﴾.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ﴾ استيأسوا من ماذا؟

ج: استيأسوا من رد أخيهم إليهم، وقيل: يئسوا من يوسف عليه السلام أن يرد أخاهم إليهم.

* * *

س: ووضح معنى قوله: ﴿وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُف﴾.

ج: المعنى، والله أعلم: ومن قبل إضاعتكم لبنيامين^(١) فقد أضعتم أيضاً يوسف عليه السلام، فألقايتموه في غيابة الجب، ثم بعثتموه بشمن بخس، وزعمتم أن الذئب قد أكله.

* * *

س: ووضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾.

ج: المراد، والله أعلم: فلن أغادر أرض مصر ما دام أخي قد أخذ مني، ولن أرجع إلى أبي حتى يأذن لي أبي في الرجوع إليه، ويقبل عذرني ويرضى عني، ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ بأن ينصرني ويرد أخي إلىَّ.

* * *

س: ووضح المراد بقولهم: ﴿وَمَا شَهَدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾.

ج: أما قولهم: ﴿وَمَا شَهَدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ فمعناه، والله أعلم: وما شهدنا بأن ابنك سرق إلا بما رأيناه أمام أعيننا من استخراج الصواب من وعائه.

وأما قولهم: ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ فمعناه، والله أعلم: وما كنَّا ندرِي ماذا سيحدث لنا وله، وما كنا نرى أنه سيُسرق وسيُؤْخَذُ ويسْتَرْقُ مقابل سرقته.

(١) نبهنا مراراً على أنه لم يرد في السنة المطهرة ما يثبت أن هذا الاخ اسمه بنiamin، وإنما هذارأي جمهور المفسرين ولعلهم تلقوه من الإسرائيликas.

وهناك وجه آخر في تفسير قوله: ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ مؤداته: وما درينا وما علمنا هل قد سرق على الحقيقة، أم أن الصواع قد دُسَ في رحله ونحن لا نعلم؟ وكذلك فتحن لم نره في جميع أوقاته وأوقاتنا؛ فكنا ننام وهو ينام كذلك، ولا ندرى إذا جنَ الليل ماذا يحدث، والله أعلم.

* * *

س: ووضح المراد بقولهم: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾.

ج: في ذلك وجهان لأهل العلم:

أحدهما: وسائل أهل القرية، ويريدون بالقرية: مصر.

الثاني: وسائل القرية نفسها، فهي وإن كانت جماداً إلا أن الله ينطقها لك؛ فأنتنبي.

هذا، وقد قال النبي ﷺ: «إني أعرف حجراً بمكة كان يُسلم عليّ».

* * *

س: في قولهم: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ ما يدل على عظم البلاء الذي ابتلي به يعقوب عليه السلام. ووضح ذلك.

ج: إيضاحه: أن أهل القرية علموا خبر استخراج الصواع من رحل أحد أبناء يعقوب، وتحدث أهل القرية بذلك وشاء الخبر، وكذلك تحدث أصحاب القافلة بذلك وعلموه، فازدادت الفضيحة، وفي هذا مشقة شديدة على النفس وابتلاء عظيم، ابتلاء أن ترجع القوافل كلها سالمة آمنة مطمئنة ويرجع إخوة يوسف بدون أخيهم، بل وينتشر في الناس أن هذا الأخ قد سرق، ف بلا شك هذا ابتلاء عظيم لا يُشيخ كبير يُقال له: إن ولدك

أخذ كعده مُسترقاً من أجل سرقة التي سرق.

* * *

س: الظن لا يصيب في كل الأحيان، في ينبغي أن يبني أهل الفضل
أقوالهم وأراءهم على اليقين. دلّ على ذلك.

ج: ما يدل على ذلك: أن يعقوب عليه السلام ظنَّ في مواطنين أصاب في
أحدهما ولم يصب في الآخر.

فلما جاءوا على قميص يوسف بدم كذب قال: ﴿بَلْ سَوْلَتْ لَكُمْ
أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ فأصاب في ذلك.

ولما قالوا: ﴿يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾ قال: ﴿بَلْ سَوْلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ
أَمْرًا﴾ فلم يصب في ذلك، والله أعلم.

* * *

س: من الذين عناهم يعقوب عليه السلام بقوله: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي
بِهِمْ جَمِيعًا﴾؟

ج: عنى، والله أعلم: يوسف وأخاه بنيامين والابن الأكبر ليعقوب.

* * *

س: ما مراد يعقوب عليه السلام بقوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ في
هذا المقام؟

ج: مراده والله أعلم: أن الله هو العليم بحزني على أولادي، والعليم
بأماكنهم، والعليم بصدقكم من كذبكم.

أما قوله «الحكيم»: فهو الحكيم فيما يدبر، والحكيم فيما يقضي ويفقد.

* * *

س: قوله: ﴿يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُوسُف﴾ ظاهره الشكوى، فأين الصبر؟

ج: أجاب عن ذلك ابن الجوزي في «زاد المسير» فقال:

﴿يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُوسُف﴾ فإن قيل: هذا لفظ الشكوى، فأين الصبر؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه شكا إلى الله تعالى، لا منه.

والثاني: أنه أراد به الدعاء، فالمعنى: يا رب ارحم أسفى على يوسف.

وذكر ابن الأباري عن بعض اللغويين أنه قال: نداء يعقوب الأسف في اللفظ من المجاز الذي يعني به غير المظهر في اللفظ، وتلخيصه: يا إلهي ارحم أسفى، أو: أنت راءٍ أسفى، أو هذا أسفى، فنادى الأسف في اللفظ، والمنادى في المعنى سواه، كما قال: ﴿يَا حَسْرَتَنَا﴾ والمعنى: يا هؤلاء تنبهوا على حسرتنا، قال: والحزن ونفور النفس من المكرور والبلاء لا عيب فيه ولا مأثم إذا لم ينطق اللسان بكلام مؤثم ولم يشك إلا إلى ربه، فلما كان قوله: ﴿يَا أَسْفَى﴾ شكوى إلى ربه كان غير ملوم.

* * *

س: لماذا حزن يعقوب عليه السلام هذا الحزن الشديد حتى ذهب هذا الحزن ببصره أو ببعض بصره؟

ج: ذكر بعض أهل العلم: أن هذا الحزن الشديد سببه أنه لا يعلم هل يوسف عليه السلام حيٌّ أو قد مات؟ وإذا كان على قيد الحياة كيف حاله مع الله؟ وما حال دينه في الوسط الذي هو فيه من الكفار؟ هل هو مستقيم على أمر الله أم أن هناك أمراً آخر والعياذ بالله؟

فكل هذه الأسئلة تدور بخلد يعقوب عليه السلام، ثم ما معه من العلم
برؤيا يوسف، وأنها ستتحقق بإذن الله.

هذا، ومن أهل العلم من قال: إن مجرد الحزن ليس بحرّم، وإنما المحرّم
ما يُفضي إلى لطم الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية.

وقد قال النبي ﷺ: «إن العين لتدمّع، وإن القلب ليحزن، وإن لفراشك يا
إبراهيم لمحزونون».

* * *

س: ووضح المراد بقول يعقوب عليه السلام: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا
تَعْلَمُون﴾.

ج: في ذلك وجوه منها:
أولاً: أعلم من لطف الله وإحسانه وأنه يجازي الصابرين على صبرهم،
والمحسنين على إحسانهم ما لا تعلمون.

ثانياً: أعلم أن مع العسر يسراً، وأن الفرج مع الكرب، وأن الله يجيب
المضرط إذا دعاه.

ثالثاً: قد يقال: أعلم أن رؤيا يوسف عليه السلام ستتحقق، وأن يوسف
عليه السلام حيٌّ، ولكنني لا أعلم أين هو.

* * *

س: ووضح بعض صور البلاء التي حلّت بيعقوب عليه السلام.

ج: من ذلك: فقدان ولده يوسف عليه السلام، وقد كان يحبه محبة
عظيمة، وبكاؤه على ذلك حتى ذهب بصره.

ومن ذلك: فقدان بنiamين.

ومن ذلك: ما شاع في الناس من أن ابنه سرق.

ومن ذلك: اتهام أبنائه له بأنه في ضلاله القديم.

* * *

س: ما الفرق بين «التحسّس» و«التّجسّس»؟

ج: التّحسّس يكون في الخير، والتّجسّس يكون في الشر.

* * *

س: القنوط من رحمة الله كبيرة من الكبائر، دلّ على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾.

* * *

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَنَا وَأَهْلَنَا الظُّرُورُ
وَجِئْنَا بِضَيْعَةٍ مُّرْبَحَةٍ فَأَقْرَفَ لَنَا الْكِيلَ وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا
إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝ ۸۸
إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ بِمَا فَعَلُوكُمْ ۝ ۸۹
يُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذَا نَتَمْ جَهَلُوكُمْ ۝ ۹۰
لَا أَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَرَّ اللَّهُ
عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَقَوَّلُ وَيَصِيرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
الْمُحْسِنِينَ ۝ ۹۱
وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ۝ ۹۲
قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمْ
الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ۝ ۹۳
أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَائِتِ بَصِيرًا
وَأَتُؤْنِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ۝

س: اذكر معنى ما يلي:
مسنا - الضُّرُ - مُزْجَاه - أوف لنا الكيل - لا يُضيِّع - آثرك - لا تشرِّب.

ج:

الكلمة	معناها
مسنا	أصابنا - حق بنا - حلَّ بنا .
الضرُّ	الجوع - المرض .
بضاعة مزاجة	قليلة - كاسدة - غير نافقة - بضاعة رديئة لا يقبلها إلا من تغاضى عن عيوبها - بضاعة قليلة لا تكاد تُقبل إلا بأن يزجها صاحبها ويدفعها دفعاً، وأصل الإجزاء : السَّوْقُ بالدفع ومنه قوله تعالى : «أَلَمْ ترَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا» .
أوف لنا الكيل	أعطنا بهذه البضاعة الرديئة ما كنت تعطينا بالدرارهم الجياد .
لا يُضيِّع	لا يبطل ثواب إحسانه وجزاء طاعته .
آثرك	فضلك .
لا تشرِّب	لا لوم ولا تعير - لا عتب ولا توبيخ - لا إفساد لما بينكم من المودة .

س: اذكر من سورة يوسف ما يدل على جواز بث الشكوى.

ج: ذلك مأخوذ من قول إخوة يوسف: ﴿يَا أَيُّهَا الْغَرِيزُ مَسْنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِضَاعَةٍ مُّزْجَاهٍ﴾ .
قال القرطبي رحمة الله:

﴿مَسْنَا﴾ أي: أصابنا ﴿وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾ أي: الجوع وال الحاجة؛ وفي هذا دليل على جواز الشكوى عند الضُّرُّ، أي: الجوع، بل واجب عليه إذا خاف على نفسه الضُّرُّ من الفقر وغيره أن يبدي حاليه إلى من يرجو منه النفع، كما هو واجب عليه أن يشكو ما به من الألم إلى الطبيب ليعالجها؛ ولا يكون ذلك قدحًا في التوكل، وهذا مالم يكن التشكي على سبيل التسخط، والصبر والتجلد في النوائب أحسن، والتعفف عن المسألة أفضل، وأحسن الكلام في الشكوى سؤال المولى زوال البلوى؛ وذلك قول يعقوب: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَشِّي وَحْزُنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: من جميل صنعه، وغريب لطفه، وعائدته على عباده، فاما الشكوى على غير مشكٍ فهو السُّفَهَ، إلا أن يكون على وجه البُثُّ والتسلُّي.

* * *

س: على فرض أن إخوة يوسف كانوا أنبياء، فكيف سألا الصدقة بقولهم: ﴿وَتَصَدَّقُ عَلَيْنَا﴾؟

ج: ابتداءً؛ فكما قد تقدم أن في نبوتهم خلافاً، ثم على فرض أنهم أنبياء فلقولهم توجيهات:
أحدها: أنهم أرادوا بقولهم: ﴿وَتَصَدَّقُ عَلَيْنَا﴾ أي: لا تنقصنا من العطاء شيئاً بسبب عدم جودة دراهمنا.

الثاني: من العلماء من يرى أن الصدقة حلال للأنبياء قبل نبينا محمد



الثالث: أن المراد: تصدق علينا برد أخيانا إلينا.

إلا أن الطبرى رحمه الله رد هذا الوجه الأخير بقوله:

هذا القول وإن كان قوله ووجهه فليس بالمحتمل في تأويل قوله: ﴿وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا﴾؛ لأن الصدقة في متعارف العرب إنما هي إعطاء الرجل حاجة بعض أملاكه ابتناء ثواب الله عليه، وإن كان كل معروف صدقة فتوجيهه تأويل كلام الله إلى الأغلب من معناه في كلام من نزل القرآن بلسانه أولى وأحرى. هذا، والله أعلم.

* * *

س: ما الذي صنعوه بأخي يوسف؟

ج: ظاهر الكتاب العزيز يفيد أنهم حسدوه كما حسدويا يوسف عليه السلام، فقد قال تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخْوَهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مَنَا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

ثم يبدو أيضاً أنهم أذوه وأهانوه، وقد قال له يوسف: ﴿فَلَا تَبْتَشِّرْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وقد يدخل في هذا أيضاً قولهم: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخْ لُهُ مِنْ قَبْلُ﴾.

* * *

س: قوله: ﴿إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ جاهلون بماذا؟

ج: جاهلون بعقوبة ما تفعلونه بيوسف وأخيه، وجاهلون بجزاء قطع الأرحام، وأذى الوالد الشيخ الكبير، إلى غير ذلك مما فعلوه.

قال السعدي رحمه الله:

وهذا نوع اعتذار لهم بجهلهم، أو توبخ لهم؛ إذ فعلوا فعل الجاهلين،
مع أنه ينبغي ولا يليق منهم.

* * *

س: لماذا قال لهم يوسف: ﴿وَهُدَا أَخِي﴾ مع كونهم يعرفونه؟

ج: قال الشوكاني رحمه الله في «فتح القدير»:

لأن قصده: وهذا أخي المظلوم كظلامي.

* * *

س: قول يوسف عليه السلام: ﴿قَدْ مَنَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ من عليهم بماذ؟

ج: من عليهم بأن جمع بينهم بعد طول فراق، ومن عليه بالنبوة والملك.

* * *

س: في قوله تعالى: ﴿لَا تُشْرِبُ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ خصلة حميدة. ووضح هذه الخصلة.

ج: هذه الخصلة هي: العفو عند المقدرة.

قال السعدي رحمه الله:

فسمح لهم سماحاً تماماً من غير تعير لهم على ذكر الذنب السابق، ودعا لهم بالغفرة والرحمة، وهذا نهاية الإحسان الذي لا يتأتى إلا من خواص الخلق وخيار المصطفين.

* * *

س: ما وجه الختام بقوله: ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾؟

ج: وجـه ذلك: أنه سـأـل اللهـ المـغـفـرةـ لـهـمـ، فـكـأـنـهـ قـالـ: أـمـاـ أناـ وـقـدـ

ظلمتمني وأذيتمني فغفوت لكم عما بدر منكم في حقي ، والله سبحانه وتعالى أرحم مني بكم ، وأرحم منكم بي ؛ فأرجو الله أن يرحمنا جميعاً .

* * *

س: صدر من نبينا محمد ﷺ عفوًّ كهذا الذي صدر من يوسف عن إخوته، وذلك في موقف هو قادر فيه على الانتصار أيضاً. وضح هذا الموقف.

ج: هذا الموقف يوم فتح مكة ، فبعد أن مكَّنَه الله من فتحها قال لأهل الشرك الذين آذوه وحاربوه وأخرجوه وأصحابه من مكة .

* * *

وَلَمَّا فَصَلَتِ

الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمَّ إِنِّي لَا جُدُرِ يَوْمَ سُفَّ لَوْلَا أَنْ

تُفْنِدُونَ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَالَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ كَمَا

فِي الْقَدِيمِ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ الْقَنْهُ عَلَى وَجْهِهِ فَأَرْتَدَ بَصِيرًا قَالَ

أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا

يَتَأَبَّانَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٦﴾ قَالَ سَوْفَ

أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٧﴾ فَلَمَّا

دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ إِذَا أَوْيَهُ أَبُوَيْهِ وَقَالَ أَدْخُلُوا مَصْرَ

إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَمْنِينَ ﴿٩٨﴾ وَرَفَعَ أَبُوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُوا

لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَتَأَبَّتْ هَذَا تَأْوِيلُ رُءُوفَيَّتِي مِنْ قَبْلٍ قَدْ جَعَلَهَا

رَبِّ حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ إِذَا أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ

مِنَ الْبَدْرِ وَمِنْ بَعْدِهِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْرَقَتِي إِنَّ

رَبِّ لَطِيفٌ لَمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٩٩﴾ رَبِّ

قَدْ أَتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطَّرَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوْفِي

مُسْلِمًا وَالْحِقْنَى بِالصَّنْلِحَى ﴿١٠٠﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

فصلت - لأجد - تفندون - تالله - ضلالك القديم - آوى إليه - العرش
- تأويل رؤيائي - نزغ - لطيف لما يشاء - فاطر.

: ج

الكلمة	معناها
فصلت	انفصلت عن البلاد - خرجت منطلقة (من مصر إلى الشام).
لأجد	المراد هنا: لأنّم.
تفندون	تجهّلون - تُسفهُون - تلوموني - تقولون: ذهب عقله.
تالله	والله.
ضلالك القديم	خطئك القديم - زللك القديم.
آوى إليه	ضم إليه.
العرش	السرير (سرير الملك).
تأويل رؤيائي	تفسير رؤيائي - ما ألت إليه رؤيائي - ما صارت إليه رؤيائي.
نزغ	أفسد - أوقع.
لطيف	رفيق - بر - عالم بدقائق الأمور - واللطيف: البر بعباده الذي يلطف بهم من حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون، وهو الرفيق في تدبير الأمور.

وتهيئتها .

خالق على غير مثال سابق - منشئ - مخترع .

فاطر

* * *

س: من القائلون: ﴿تَاللهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾؟

ج: هم الحفدة أو من كانوا موجودين عنده من جلسائه.

* * *

س: من البشير الذي ذكره الله فقال: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾؟

ج: الله أعلم بالبشير من هو، وهل هو من إخوة يوسف أم من غيرهم، إلا أن كثيراً من أهل العلم - كما نقل عنهم الطبرى - قالوا: هو يهوذا، وهو أخو يوسف لأبيه، قالوا: وهو الذي كان قد لطخ القميص بالدم، فأراد أن يُسعد أبايه كما أحزنه^(١).

* * *

س: وضح المراد بقولهم: ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَا كُنَّا حَاطِئِينَ﴾.

ج: المراد، والله أعلم: يا أباانا سل لنا ربك يعف عننا ويستر علينا ذنبنا التي أذنبناها فيك وفي يوسف؛ فلا يعاقبنا بها يوم القيمة.

* * *

س: لماذا أخر يعقوب عليه السلام الاستغفار لأولاده ولم يستغفر لهم في الحال؟

ج: قال بعض العلماء: إنه أراد أن يؤخر الاستغفار إلى وقت الإجابة فيه أرجى.

ثم إن من العلماء من قال: أخر ذلك إلى الثالث الأخير من الليل.

ومنهم من قال: أخره إلى يوم الجمعة، والله أعلم.

(١) ولعل ذلك متلقى من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب.

س: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبُوهِيهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَمِينٌ﴾ كيف قال لهم: ادخلوا مصر وهم قد دخلوا عليه؟

ج: لعلهم دخلوا عليه أولاً في سرادق صنعه خارج مصر - على مشارفها - لاستقبالهم فيه، ثم قال لهم بعد ذلك: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَمِينٌ﴾ وأورد الطبرى نحو هذا السؤال والجواب عليه فقال: فإن قال قائل: وكيف قال لهم يوسف: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَمِينٌ﴾ بعدما دخلوها، وقد أخبر الله عز وجل عنهم أنهم لما دخلوا على يوسف وضمَّ إليه أبويه، قال لهم هذا القول؟ قيل: قد اختلف أهل التأويل في ذلك.

فقال بعضهم: إن يعقوب إنما دخل على يوسف هو وولده، وأوى يوسف أبويه إليه قبل دخول مصر، قالوا: وذلك أن يوسف تلقى أبياه تكرمة له قبل أن يدخل مصر، فآواه إليه، ثم قال له ولمن معه: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَمِينٌ﴾ بها قبل الدخول.

ثم أورد الآثار بذلك، وأورد أقوالاً آخر لكنه رجح ما قدمناه بقوله: والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله السُّعْدي، وهو: أن يوسف قال ذلك لأبويه ومن معهما من أولادهما وأهاليهم قبل دخولهم مصر حين تلقاهم؛ لأن ذلك في ظاهر التنزيل كذلك، فلا دلالة تدل على صحة ما قاله ابن جريج، ولا وجه لتقديم شيء من كتاب الله عن موضعه أو تأخيره عن مكانه إلا بحجج واضحة.

س: ما وجوه قوله: ﴿إِن شَاءَ اللَّهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿اَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِين﴾؟

ج: قال يوسف عليه السلام ذلك تبركاً، والله تعالى أعلم.

* * *

س: قوله: ﴿آمِين﴾ آمين من ماذا؟

ج: آمين من ملك مصر الذي كان يحكم مصر آنذاك ، قال بعض العلماء: كان لا يسمح لهم بدخول مصر إلا بإذنه .
وقال بعض العلماء: آمين من الجوع والقحط .

* * *

س: اذكر من سورة يوسف ما يدل على إكرام الأهل والعشيرة.

ج: ذلك واضح وجلـيـ من استقبال يوسف لأبويه وإخوته وأهله أجمعـيـنـ ، والاحتفـاءـ بهـمـ إذـ استـقبـلـهـمـ خـارـجـ مصرـ معـ التـرحـيبـ بهـمـ ؛ إذـ قالـ لهمـ: ﴿اَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِين﴾ـ ، ثمـ أـيـضـاـ رـفـعـ أبوـيهـ عـلـىـ العـرـشـ ، فـكـلـ هـذـاـ يـدـلـ عـلـىـ إـكـرـامـهـ لـعـشـيرـتـهـ صـلـوـاتـ اللهـ وـسـلـامـهـ عـلـيـهـ .

لا كما يفعل البعـةـ الـذـيـنـ إـذـ وـسـعـ اللـهـ عـلـيـهـمـ أوـ تـقـلـدـواـ بـعـضـ المـنـاصـبـ تنـصـلـواـ مـنـ أـهـالـيـهـمـ وـعـشـيرـتـهـمـ وـذـوـيـهـمـ ، بلـ وـبـغـواـ عـلـيـهـمـ وـتـطاـولـواـ ، وـإـمامـهـمـ فـيـ ذـلـكـ قـارـونـ الـذـيـ كـانـ مـنـ قـومـ مـوسـىـ فـبـغـىـ عـلـيـهـمـ ؛ لـكـونـهـ أـوتـيـ منـ الـكـنـوزـ مـاـ إـنـ مـفـاتـحـهـ لـتـنـوءـ بـالـعـصـبـةـ أـولـيـ الـقـوـةـ .

* * *

س: تحقق الرؤيا قد يكون بعد سنوات. ووضح ذلك.

ج: وجه ذلك: أن رؤيا يوسف التي قال فيها: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ قد رأها يوسف وهو صغير، ولكنها ما تحققت إلا بعد سنوات طويلة قضتها يوسف في بيت العزيز ثم سنوات قضتها في السجن، ثم سنوات الخصب، ثم جاء تتحققها في سنوات الجدب تلك السبع الشداد.

وآخر الطبرى بإسناد صحيح^(١) عن سلمان رضي الله عنه قال: كان بين رؤيا يوسف إلى أن رأى تأويلها أربعون سنة.

وثم آثار أخرى عند الطبرى في هذا الباب.

* * *

س: لماذا قال يوسف عليه السلام: ﴿وَقَدْ أَحْسَنْتِ بِي إِذْ أَخْرَجْنِي مِنِ السِّجْنِ﴾ ولم يذكر الجب. أي: فلم يقل: وقد أحسن بي إذ أخرجنني من غيابات الجب؟

ج: ذلك والله أعلم: حتى لا يذكر إخوته بسيئ صنيعهم الذي صنعوا معه، فقد وعدهم بقوله: ﴿لَا تَشْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ فلم يكن ليثرب عليهم ولا ليوبخهم ولا ليغيرهم بعد وعده لهم بقوله: ﴿لَا تَشْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾.

قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

ولم يذكر إخراجه من الجب؛ لأن في ذكره نوع من شرط وتخجيل

(١) الطبرى (أثر ١٩٩٠٧).

لإخوة، وقد قال: ﴿لَا تَرْبِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ وقد تقدمَ سبب سجنه ومدة بقائه فيه.

وقد قيل: إن وجه عدم ذكر إخراجه من الجب أن المنة كانت في إخراجه من السجن أكبر من المنة في إخراجه من الجب؛ لأن دخوله الجب كان بحسد إخوته ودخوله السجن بسبب تهمة المرأة فإخراجه من السجن كان لزوال التهمة عنه، وكان ذلك من أعظم نعمه سبحانه عليه، وفيه بعد وضعف.

وقيل: لأن إخراجه من السجن كان سبباً لوصوله إلى الملك، أو لأن مصيبة السجن عنده كانت أعظم لطول مدتها ولصاحبة الأوباش وأعداء الدين فيه، بخلاف مصيبة الجب لقصر مدتها ولكون المؤنس له فيها جبريل عليه السلام وغيره من الملائكة.

* * *

س: لماذا نسب يوسف الإساءة التي كانت من إخوته إلى الشيطان؟

ج: ذلك والله أعلم بأمور، منها ما يلي:

أولاً: أن الشيطان هو الذي نزع.

ثانياً: لأن يوسف قد وعد إخوته أنه لا يُشرب عليهم ولا يُعيرهم، ولا يُوبخهم.

ثالثاً: إن يوسف قال ذلك تلطيفاً للأمر وبالمبالغة في إذهاب الهم من نفس إخوته.

* * *

س: وضح معنى قول يوسف عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ﴾.

ج: قال الطبرى رحمه الله:

وقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ﴾ يقول: إن ربى ذو لطف وصنع لما يشاء، ومن لطفه وصنعه أنه أخرجنى من السجن، وجاء بأهلي من البدو، بعد الذي كان بيئي وبينهم من بعْد الدار، وبعد ما كنت فيه من العبودية والرق والإسار.

وأورد أثراً بإسناد حسن عن قتادة قال:

قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ﴾ لطف يوسف وصنع له حتى أخرجه من السجن، وجاء بأهله من البدو، ونزع من قلبه نزع الشيطان وتحريشه على إخوته.

* * *

س: ما موقع (من) في قوله تعالى: ﴿مِنْ الْمُلْكِ﴾؟

ج: (من) هنا للتبعيض؛ لأن ملك مصر ما كان كل الملك. قاله القرطبي رحمه الله. وقال: وكذلك قوله: ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾، ثم قال أيضاً: وعلم التعبير ما كان كل العلوم.

وقيل: (من) للجنس، كقوله: ﴿فَاجْتَبَبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾.

وقيل: للتأكيد، أي: آتيني الملك وعلمتني تأويل الأحاديث.

* * *

س: وضح معنى قوله: ﴿أَنْتَ وَلِيٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم: أنت تتولانى في دنياى؛ فتنصرنى على من عادنى وتفضل على بنعمك، وبقضاء حاجاتى، وتحفظنى من كل من أرادنى بسوء، وتتولانى في الآخرة برحمتك، وإدخالى جنتك، وتصرف عنى عذابك وتطمئننى من الفزع، وتنجينى من الكربات، وتسلمنى إذا مررت على الصراط.

قال ابن القيم رحمة الله^(١):

قول الله تعالى ذكره: ﴿أَنْتَ وَلِيٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِّيْنِ بِالصَّالِحِيْنَ﴾: جمعت هذه الدعوة الإقرار بالتوحيد والاستسلام للرب وإظهار الافتقار إليه، والبراءة من موالاة غيره سبحانه، وكون الوفاة على الإسلام أجل غaiيات العبد، وأن ذلك بيد الله لا بيد العبد، والاعتراف بالمعاد وطلب مrafقة السعادة.

* * *

س: هل تمنى يوسف عليه السلام الموت إذ قال: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾؟

ج: لذلك وجه من وجوه التأويل، وقد أشار إليه الطبرى بقوله: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾: أقبضني إليك مسلماً. ﴿وَالْحَقِّيْنِ بِالصَّالِحِيْنَ﴾: يقول: والحقنى بصالح آبائى إبراهيم وإسحاق ومن قبلهم من آبائك ورسلك، وقيل: إنه لم يتمن أحد من الأنبياء الموت قبل يوسف.

ثم أورد آثاراً عن ابن عباس فيها مقال، منها: من طريق ابن جريج^(٢) قال:

(١) «التفسير القيم».

(٢) ابن جريج لم يدرك ابن عباس، وقد أورد الطبرى أثرين آخرين عن ابن عباس رضى الله =

قال ابن عباس : قوله : ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ الآية ، قال : اشتاق إلى لقاء ربه ، وأحب أن يلحق به وآبائه ، فدعا الله أن يتوفأه ويُلحقه بهم . ولم يسأل النبي قط الموت غير يوسف ، فقال : ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ الآية .

قال ابن جريج : في بعض القرآن من قال من الأنبياء : «توفي» . لكنه أورد بإسناد حسن عن قتادة ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ لما جمع شمله وأقر عينه ، وهو يومئذ مغموم في نبت الدنيا وملكتها وغضارتها فاشتاقت إلى لقاء الصالحين قبله .

لكن ثم وجه آخر من وجوه التأويل وهو : إذا توفيتني ، فتوفنِي على الإسلام .

* * *

س : متى دعا يوسف بهذا الدعاء : ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ ؟
ج : قال ذلك لما جمع الله عليه شمله ، وأقر عينه برؤيه والديه وإخوته ، وأقر عينه بالملك في الحياة الدنيا أيضا ، فاشتاقت حينئذ إلى لقاء الصالحين ، فقال ما قال عليه السلام .

قال الطبرى رحمه الله :

يقول تعالى ذكره : قال يوسف بعد ما جمع الله له أبويه وإخوته ، ويسط عليه من الدنيا ما بسط من الكرامة ، ومكنته في الأرض متشوقة إلى لقاء آبائه

= عنهما ، تفيد هذا المعنى ، أحدهما من طريق السدي عن ابن عباس ، والآخر من طريق قتادة عن ابن عباس وفي كلها ضعف إلى ابن عباس كما قدمنا .

الصالحين: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ يعني: من ملك مصر ﴿وَعَلَمْتِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ يعني: من عبارة الرؤيا، تعددًا لنعم الله عليه، وشكراً له عليها.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

هذا دعاء من يوسف الصديق، دعا به رباه عز وجل لما تمت النعمة عليه باجتماعه بأبويه وإخوته، وما منَّ الله به عليه من النبوة والملك، سأله رباه عز وجل كما أتم نعمته عليه في الدنيا أن يستمر بها عليه في الآخرة، وأن يتوفاه مسلماً حين يتوفاه، قاله الضحاك. وأن يلحقه بالصالحين وهم إخوته من النبيين والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وهذا الدعاء يحتمل أن يوسف عليه السلام قاله عند احتضاره، كما ثبت في «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ جعل يرفع أصابعه عند الموت ويقول: «اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى، اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى، اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى». .

ويحتمل أنه سأله الوفاة على الإسلام واللحاق بالصالحين إذا حان أجله وانقضى عمره، لا أنه سأله ذلك منجزاً، كما يقول الداعي لغيره: أماتك الله على الإسلام! ويقول الداعي: اللَّهُمَّ أحياناً مسلمين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين.

ويحتمل أنه سأله ذلك منجزاً، وكان ذلك سائغاً في ملتهم.

وقال السعدي رحمه الله تعالى في «تفسيره»:

لما أتم الله ليوسف ما أتم من التمكين في الأرض والملك، وأقرَّ عينه بأبويه

وإخوته ، وبعد العلم العظيم الذي أعطاه الله إياه فقال مقرأً بنعمة الله شاكراً لها داعيَا بالثبات على الإسلام : ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتِنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ ذلك أنه كان على خزائن الأرض وتدبيرها وزيراً كبيراً للملك ﴿وَعَلَّمْتِنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ أي : من تأويل أحاديث الكتب المنزلة وتأويل الرؤيا وغير ذلك من العلم ، ﴿فَاطَّرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْتَ وَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوْكِنُ مُسْلِمًا﴾ أي : أدم على الإسلام وثبتني عليه حتى توفاني عليه ، ولم يكن هذا دعاء باستعجال الموت . ﴿وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ من الأنبياء والبرار والأصفياء الآخيار .



ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ

نُوَحِّيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَنْكُرُونَ

وَمَا آتَيْتُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ١٠٣

وَمَا أَتَشَاءَتْهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ١٠٤

وَكَأَيْنَ مِنْ ءَايَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْرُرُونَ عَلَيْهَا

وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ١٠٥ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا

وَهُمْ مُشْرِكُونَ ١٠٦ أَفَأَمْنَوْا أَنْ تَأْتِيهِمْ غَنِشِيةٌ مِنْ عَدَابِ اللَّهِ

أَوْ تَأْتِيهِمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ١٠٧ قُلْ هَذِهِ

سَيِّلٌ أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ

اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ١٠٨ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ

إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرْبَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي

الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقُوا أَفَلَا لَا تَعْقِلُونَ ١٠٩ حَتَّىٰ

إِذَا أَسْتَيْسَ الرَّسُولُ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَبُوا جَاءَهُمْ

نَصْرٌ نَا فَنْجِيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرْدَ بِأَسْنَاعِنَ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِلْأُولَئِكَ مَا كَانَ

حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَا كَنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ

وَتَفَصِّيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ١١٠

س: اذكر معنى ما يلي:

ذكرٌ - غاشيةٌ - بغتة - سبيلي - بصيرة - سبحان الله - استيأس الرسل -
فُنجيٌ - بأسنا - عبرةٌ - لأولي الألباب - يُفترى.

: ج

الكلمة	معناها
ذكرٌ	عظةٌ - تذكيرٌ (ليتعظوا بذلك ويتذكروا).
غاشيةٌ	شيءٌ يغشى ويحل - عقوبة شديدة - نعمة شديدة.
سبيلي	طريقتي ودعوتي - سنتي ومنهجي وأمرني.
بصيرة	علم ويقين.
سبحان الله	تنزيهًا للله عن الشريك والولد والمعبد، وعن كل عيب ونقص.
استيأس	يئس.
نُجّي	عذابنا الشديد.
بأسنا	فكرة - عزة - تذكرة.
عبرة	لأصحاب العقول.
لأولي الألباب	يُختلق - يُكذب.
يُفترى	*

س: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ إشارة إلى ماذا؟
 ج: ذلك، والله تعالى أعلم: إشارة إلى ما قصّ الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ من قصة يوسف عليه السلام وإخوته.

* * *

س: لماذا أوحى الله إلى نبيه محمد ﷺ سورة يوسف؟

ج: لذلك أسباب ، منها:
 أولاً: إجابة على سؤال السائلين عن هذه القصة ، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلْسَائِلِينَ﴾ .

ثانياً: لتبسيط النبي ﷺ ، وتصويره وتسلیته كما قال تعالى: ﴿وَكُلُّاً نَّقْصٌ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثِبَتْ بِهِ فُؤَادُكَ﴾ .

ثالثاً: ليعتبر بها أولو الألباب كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِ عِبْرَةٌ لِأُولَئِلَّا بَاب﴾ .

قال الطبرى رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: هذا الخبر الذي أخبرتك به من خبر يوسف ووالده يعقوب وإخوته وسائر ما في هذه السورة ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ ، يقول: من أخبار الغيب ، الذي لم تشاهده ولم تعانيه ، ولكننا نوحيه إليك ونعرّفكه لثبتت به فؤادك ، ونشجع به قلبك ، وتصبر على ما نالك من الأذى من قومك في ذات الله ، وتعلم أن من قبلك من رسول الله - إذ صبروا على ما نالهم فيه ، وأخذوا بالعفو ، وأمروا بالعُرف ، وأعرضوا عن الجاهلين - فازوا بالظفر ، وأيدوا بالنصر ، ومُكِنُوا في البلاد ، وغلبوا من قصدوا من أعدائهم

وأعداء دين الله.

يقول الله تبارك وتعالى لنبيه محمد ﷺ: فبهم يا محمد فتأس، وأثارهم فقصص ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرُهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾، يقول: وما كنت حاضراً عند إخوة يوسف، إذ أجمعوا واتفقت آراؤهم وصحت عزائمهم على أن يلقوه يوسف في غيابة الجب، وذلك كان مكرهم الذي قال الله عز وجل: ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهُ﴾ له صلة بآية في أول السورة لبيان معنى معين، ولإثبات أمر معين. ووضح ذلك.

ج: إيضاحه: أن هذه الآية: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ ...﴾ متصلة بقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْفَصْصِ بِمَا أُوحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنُ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمْ يَأْتِكَ الْغَافِلُونَ﴾ وهذا وذاك لبيان معنى وهو أن النبي ﷺ لم يكن يعلم شيئاً من هذا الذي حدث كلّه، إذ هو أمي لا يقرأ ولا يكتب، وقومه لا يعلمون شيئاً عن هذه القصة.

ومن ثم فهذا وذاك يثبتان نبوة النبي ﷺ.

قال السعدي رحمه الله في «تفسيره»:

لما قص الله هذه القصة على محمد ﷺ قال الله له: ﴿ذَلِكَ﴾ النبأ الذي أخبرناك به ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهُ إِلَيْكَ﴾ ولو لا إيحاؤنا إليك لما وصل إليك هذا الخبر الجليل.

﴿وَ﴾ أنت ﴿مَا كُنْتَ﴾ حاضراً ﴿لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرُهُمْ﴾ أي: إخوة

يوسف ﷺ وَهُمْ يَمْكُرُونَ به، حين تعاقدوا على التفرق بينه وبين أبيه في حالة لا يطلع عليها إلا الله تعالى، ولا يمكن لأحد أن يصل إلى علمها، إلا بتعليم الله له إياها. كما قال تعالى لما قصّ قصة موسى، وما جرى له، ذكر الحال التي لا سبيل للخلق إلى علمه إلا بوجيه فقال: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ الآيات، فهذا أدل دليل على أن ما جاء به رسول الله حق وصدق . اهـ.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ متى كان هذا المكر؟

ج: ذلك وهم يمكرون بيوسف عليه السلام لإلقائه في غيابة الجب. قاله الطبرى رحمة الله، وقدمناه.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال:

قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ يعني محمداً عليه السلام، يقول: ما كنت لديهم وهم يلقونه في غيابة الجب ﷺ وَهُمْ يَمْكُرُونَ أي: يوسف.

* * *

س: قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ ما المراد بهذا المكر وعلى ماذا أجمعوا؟

ج: هذا المكر هو: مكرهم بيعقوب ويوفى عليهما السلام، مكرهم بيعقوب إذ أوهموه أنهم يريدون ليوسف أن يرتع ويلعب، ومكرهم بيوسف لإلقائه في غيابة الجب، وهذا الذي أجمعوا عليه، أجمعوا على أن يجعلوا يوسف في غيابة الجب، والله أعلم.

س: قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ دليل من دلائل النبوة. ووضح ذلك.

ج: إيضاحه فيما ذكره الشنقيطي^(١) رحمه الله إذ قال:

وقد أشار تعالى في هذه الآية الكريمة إلى صحة نبوة نبينا ﷺ؛ لأنه أنزل عليه هذا القرآن، وفصل له هذه القصة، مع أنه ﷺ لم يكن حاضراً لدى أولاد يعقوب حين أجمعوا أمرهم على المكر به، وجعله في غيابة الجب. فلو لا أن الله أوحى إليه ذلك ما عرفه من تلقاء نفسه.

والآيات المشيرة لإثبات رسالته بدليل إخباره بالقصص الماضية التي لا يمكنه علم حقائقها إلا عن طريق الوحي كثيرة:

* قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقَوْنَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيمَ﴾ الآية.

* قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾ الآية.

* قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيَاً فِي أَهْلِ مَدِينَ﴾ الآية.

* قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ الآية.

* قوله: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمُلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِّمُونَ﴾^(٢) إن يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

* قوله: ﴿تَلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا

قومك من قبل هذا الآية .

إلى غير ذلك من الآيات .

فهذه الآيات من أوضح الأدلة على أنه رسول الله رسول كريم ، وإن كانت العجزات الباهرة الدالة على ذلك أكثر من الحصر .

* * *

س: ما فائدة الإخبار بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْثُرُ النَّاسِ وَلُوْحَرَصَتْ بِمُؤْمِنِينَ﴾؟

ج: ذلك والله تعالى أعلم: لمواساة رسول الله رسول الله، ولمواساة الدعاة إلى الله من بعده، فإذا شعر الشخص أن أكثر الناس ليسوا بمؤمنين تعزى وتسلى بهذه الآية الكريمة فما عليه إلا البلاغ، أما الهداية والتوفيق فمن الله سبحانه .
فمن ثم لا يتشكك المسلم والداعي إلى الله فيما هو عليه، والله تعالى أعلم .

* * *

س: ما وجه تعلق قوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْثُرُ النَّاسِ وَلُوْحَرَصَتْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ بالآية التي قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾؟

ج: وجه هذا التعلق: لبيان أن الهداية من عند الله عز وجل ، وإيضاح ذلك : أن الآيات والدلائل على نبوتك يا محمد ، ومنها إخبارك لهم بأمور لم تكن تعلمها - كثيرة جداً ولكنها مهما كثرت ، ومهمما أتيت بأيات فلن تنفع من ختم الله على قلبه ، فأنت يا محمد قد قصصت عليهم هذه القصة بما فيها من العبر والعظات ، وبما فيها من أمور الغيب ، ومع ذلك كله فلن يؤمنوا بك ، وكما قال تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحَنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلَّوْا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ ١٤ ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرْتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ ،

وكما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ٦٦ ﴾ . ولو جاءتهمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ .

* * *

س: ما المراد بالآيات في قوله تعالى: ﴿ وَكَائِنٌ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ ؟

ج: المراد بها: الدلالات على قدرة الله عز وجل ووحدانيته، ومنها: الشمس، والقمر، والنجوم، والجبال، والشجر، والدواب، والمطر، والرياح، والسحب المسخر بين السماء والأرض، واختلاف الليل والنهار، والألسنة والألوان، الموت والحياة، والصحة والمرض، والفقر والغنى، والطفولة والهرم، والكهولة والشيخوخة، وغير ذلك من الآيات.

ويدخل في هذه الآيات أيضاً آثار العقوبات التي حلّت بالأمم السالفة.

* * *

س: ووضح المراد بقوله تعالى: ﴿ يَمْرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ .

ج: المراد والله أعلم: يرون عليها لا يتفكرون فيها ولا يتذمرونها، ولا يستدللون بها على قدرة الله ووحدانيته والوهبيته.

* * *

س: كيف يؤمن أكثرهم بالله وهم مشركون؟

ج: ذلك والله أعلم، له صور، منها:

أنهم يقرون بأن الله خالقهم ورازقهم، وأنه سبحانه رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم، وأنه سبحانه يُجير ولا يجار عليه، ومع ذلك كلهم يشركون به، ويعبدون معه غيره من صنم ووثن وشجر وحجر وغير

ذلك، ويزعمون أن لله الولد سبحانه.

ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ بِيدهِ مَلْكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ **٨٨** **سِيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَإِنِّي تُسْحِرُونَ﴾.**

وقد أورد الطبرى^(١) رحمه الله تعالى آثاراً عدة تحمل هذا المعنى، منها: أثر قتادة بإسناد حسن قال: قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ في إيمانهم هذا، إنك لست تلقى أحداً منهم إلا أباك أن الله ربّه، وهو الذي خلقه ورزقه، وهو مشرك في عبادته.

وأخرج أيضاً بإسناد صحيح عن ابن زيد قال:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ﴾ الآية، قال: ليس أحد يعبد مع الله غيره إلا وهو مؤمن بالله، ويعرف أن الله ربّه، وأن الله خالقه ورازقه، وهو يشرك به. ألا ترى كيف قال إبراهيم: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ **٧٥** **أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ﴾ **٧٦** **فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾؟ قد عرف أنهم يعبدون رب العالمين مع ما يعبدون. قال: فليس أحد يشرك به إلا وهو مؤمن به، ألا ترى كيف كانت العرب تلبّي تقول: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملّكه وما ملك»؟ المشركون كانوا يقولون هذا!!****

(١) وثُمَّ آثارُ عن ابن عباس رضي الله عنهما وفي السنّد إليه بها مقال.

س: الإيمان والشرك بينهما منافاة، فكيف يؤمن شخص وهو مشرك؟

ج: أورد الشنقيطي رحمة الله نحو هذا السؤال وأجاب عليه بقوله: لم أرَ من شفى الغليل في هذا الإشكال، والذي يظهر لي - والله تعالى أعلم - أن هذا الإيمان المقيد بحال الشرك إنما هو إيمان لغوي لا شرعي؛ لأن من يعبد مع الله غيره لا يصدق عليه اسم الإيمان أبداً شرعاً، أما الإيمان اللغوي فهو يشمل كل تصديق، فتصديق الكافر بأن الله هو الخالق الرازق يصدق عليه اسم الإيمان لغة مع كفره بالله، ولا يصدق عليه اسم الإيمان شرعاً.

وإذا حفقت ذلك علمت أن الإيمان اللغوي يجامع الشرك، فلا إشكال في تقييده به، وكذلك الإسلام الموجود دون الإيمان في قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ فهو الإسلام اللغوي؛ لأن الإسلام الشرعي لا يوجد من لم يدخل الإيمان في قلبه، والعلم عند الله تعالى.

وقال بعض العلماء: نزلت آية: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُشْرِكُونَ ﴾ في قول الكفار في تلبيتهم: «ليك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك» وهو راجع إلى ما ذكرنا.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَفَامْنُوا أَنْ تَأْتِيهِمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيهِمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم: أؤمن هؤلاء الغافلون عن ذكر الله المعرضون عن توحيده وشرعه وعبادته أن تأتيهم غاشية من عذاب الله تحل بهم وتغشاههم

فجأة وهم لا يتوقعونها، أو يأتיהם يوم القيمة وهم لا يشعرون فيخلدهم الله في الجحيم؟!

وبنحو هذا قال الطبرى رحمه الله فقد قال:

يقول جل ثناؤه: أَفَمِنْ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يَقْرُؤُنَ بِأَنَّ اللَّهَ رَبُّهُمْ إِلَّا وَهُم مُشْرِكُونَ فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ غَيْرِهِ ﴿أَنَّ تَأْتِيهِمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ تغشاهم من عقوبة الله وعذابه على شركهم بالله، أو تأثيرهم القيمة فجأة وهم مقيمون على شركهم وكفرهم بربهم، فيخلدهم الله عز وجل في ناره، وهم لا يدرؤن بمجيئها وقيامها.

* * *

س: ووضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾.

ج: قال ابن القيم رحمه الله^(١):

قول الله تعالى ذكره: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ قال الفراء وجماعة: ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ معطوف على الضمير في ﴿أَدْعُو﴾ يعني: أنا ومن اتبعني يدعوا إلى الله كما أدعوه، وهذا قول الكلبي، قال: حق على كل من اتبعه أن يدعوا إلى ما دعا إليه، ويدرك بالقرآن والموعظة.

ويقوّي هذا القول من وجوه كثيرة:

قال ابن الأنباري:

ويجوز أن يتم الكلام عند قوله: ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ ثم يبتدئ بقوله: ﴿عَلَى﴾

(١) نقلًا عن «التفسير القيم».

بَصِيرَةٌ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴿١﴾ فيكون الكلام على قوله جملتين، أخبر في أولاهما أنه يدعوا إلى الله، وفي الثانية: بأنه مع أتباعه على بصيرة، والقولان متلازمان، فلا يكون الرجل من أتباعه حقاً حتى يدعو إلى ما دعا إليه، ويكون على بصيرة.

وقول الفراء أحسن وأقرب إلى الفصاحة والبلاغة.

وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها؛ فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حد أقصى يصل إليه السعي، ويكتفي هذا في شرف العلم: أن صاحبه يحوز به هذا المقام، والله يؤتي فضله من يشاء.

وقال الطبرى رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد: هذه الدعوة التي أدعوا إليها والطريقة التي أنا عليها، من الدعاء إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان، والانتهاء إلى طاعته وترك معصيته ﴿سَبِيلِي﴾، وطريقتي ودعوتى، أدعوا إلى الله وحده لا شريك له، ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ بذلك ويقين عليم مني به أنا، ويدعو إليه على بصيرة أيضاً من اتبعني وصدقني وأمن بي. ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ يقول له تعالى ذكره: وقل: تنزيهاً لله وتعظيمها له من أن يكون له شريك في ملكه، أو معبد سواه في سلطانه. ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يقول: وأنا بريءٌ من أهل الشرك به، لست منهم ولا هم مني.

س: هل من النساء رسل؟

ج: ليس من النساء رسل، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرْبَى﴾.

هذا، وقد زعم البعض أن سارة، وأم موسى ومريم نبيات؛ أما سارة فلنكون الملائكة بشرتها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب؛ كما قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾.

وأما أم موسى فلقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أُمَّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزِنِي إِنَّا رَادُوهُ إِلَيْكِ وَجَاعَلْنَا مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

واما مريم فلقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرِيمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ . . .﴾.

وهذا الذي ذكر من القول بأنهن نبيات مدفوع بما قدمناه من الآية الكريمة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾.

* * *

س: كيف تجمع بين قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرْبَى﴾ وبين قوله: ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾؟

ج: قال القرطبي رحمه الله:

﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ يروى: أن مسكن يعقوب كان بأرض كنعان، وكانوا أهل مواسير وبيرية؛ وقيل: كان يعقوب تحول إلى الbadية وسكنها، وأن الله لم يبعث نبياً من أهل الbadية. وقيل: إنه كان خرج إلى بدأ، وهو

موضع؛ وإياه عنى جميل بقوله:

وأنتِ التي حَبَّيْتِ شَغْبًا إِلَى بَدَا إِلَيَّ وأُوطَانِي بِلَادٍ سِوَاهُمَا
وليعقوب بهذا الموضع مسجد تحت جبل.

يقال: بدا القوم بدُّوا إذا أتوا بَدَا، كما يقال: غاروا غَوراً إذا أتوا الغور.
والمعنى: وجاء بكم من مكان بَدَا. ذكره القشيري، وحکاه الماوردي عن
الضحاك عن ابن عباس.

* * *

س: هل يشرع المسير في الأرض للنظر والاعتبار بأحوال الظالمين؟
ج: نعم، يشرع ذلك لقوله تعالى: ﴿فُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾.

ولقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آتَقْوَا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿هَتَنِي إِذَا اسْتَيَّسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ
كَذَّبُوا﴾.

ج: أولاً: في الآية قراءتان مشهورتان:

إحداهما: في المصحف الذي بين أيدينا ﴿كَذَّبُوا﴾ مخففة، وهذا الوجه
هو الذي كان يذهب إليه ابن عباس رضي الله عنهما.

الثاني: قراءة من قرأ من أهل العلم: ﴿كَذَّبُوا﴾ مشددة، وهي القراءة التي
اختارت بها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وأنكرت ما سواها إنكاراً شديداً.

ثانيًا: نورد هنا ما ورد عن ابن عباس وعائشة رضي الله عنهمَا في ذلك، وما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه كذلك:

أخرج البخاري^(١) من طريق ابن أبي مليكة قال: قال ابن عباس^(٢) رضي الله عنهمَا: ﴿هَتَنِ إِذَا اسْتَيَّأْسَ الرَّسُولُ وَظَنَّوْا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ خفيفة ذهب بها هناك وتلا ﴿هَتَنِ يَقُولُ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَّ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ فلقيتُ عروة بن الزبير فذكرت له ذلك.

(١) البخاري (حديث ٤٥٢٤ ، ٤٥٢٥).

(٢) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» (٨/٢١٩) قال الخطابي:

لا شك أن ابن عباس لا يجوز على الرسل أنها تكذب بالوحى، ولا يشك في صدق الخبر، فيحمل كلامه على أنه أراد أنهم لطول البلاء عليهم وإبطاء النصر وشدة استنجاز من وعدوه به توهموا أن الذي جاءهم من الوحى كان حسبانًا من أنفسهم وظنوا عليها الغلط في تلقى ما ورد عليهم من ذلك، فيكون الذي بني له الفعل أنفسهم لا الآتى بالوحى، والمراد بالكذب: الغلط لاحقيقة الكذب كما يقول القائل: كذبتك نفسك.

قلت: ويفيد القراءة مجاهد: ﴿وَظَنَّوْا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ بفتح أوله مع التخفيف أي: غلطوا، ويكون فاعل ﴿وَظَنَّوْا﴾ الرسل، ويحتمل أن يكون أتباعهم، ويفيد ما رواه الطبرى بأسانيد متنوعة من طريق عمران بن الحارث وسعيد بن جبير وأبي الضحى وعلي بن أبي طلحة والعرفى كلهم عن ابن عباس في هذه الآية قال: أيس الرسل من إيمان قومهم، وظن قومهم أن الرسل كذبوا.

وقال الزمخشري: إن صع هذا عن ابن عباس فقد أراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في النفس من الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية، وأما الظن وهو ترجيح أحد الطرفين فلا يظن بال المسلم فضلًا عن الرسول.

وقال أبو نصر الشيرى: ولا يبعد أن المراد: خطر بقلب الرسل فصرفوه عن أنفسهم، أو المعنى: قربوا من الظن كما يقال: بلغت المترى إذا قربت منه.

وقال الترمذى الحكيم: وجده أن الرسل كانت تخاف بعد أن وعدهم الله النصر أن يتخلف النصر، لا من تهمة بوعد الله بل لتهمة النفوس أن تكون قد أحدثت حدثًا ينقض ذلك =

الشرط ، فكان الأمر إذا طال واشتد البلاء عليهم دخلهم الظن من هذه الجهة .

قلت : ولا يظن بابن عباس أنه يجوز على الرسول أن نفسه تحدثه بأن الله يخلف وعده ، بل الذي يظن بابن عباس أنه أراد بقوله : « كانوا بشرًا » إلى آخر كلامه من آمن من أتباع الرسل نفس الرسل ، وقول الرواوي عنه : « ذهب بها هناك » أي : إلى السماء معناه أن أتباع الرسل ظنوا أن ما وعدهم به الرسل على لسان الملك تخلف ، ولا مانع أن يقع ذلك في خواتر بعض الأتباع .

وعجب لابن الأنباري في جزمه بأنه لا يصح . ثم الزمخشري في توقفه عن صحة ذلك عن ابن عباس ، فإنه صح عنه ، لكن لم يأت عنه التصريح بأن الرسل هم الذين ظنوا ذلك ، ولا يلزم ذلك من قراءة التخفيف ، بل الضمير في « وظنوا » عائد على المرسل إليهم ، وفي « وكذبوا » عائد على الرسل أي : وظن المرسل إليهم أن الرسل كذبوا ، أو الضمائر للرسل والمعنى : يش الرسل من النصر وتوهموا أن أنفسهم كذبتهم حين حدثتهم بقرب النصر ، أو كذبهم رجاؤهم . أو الضمائر كلها للمرسل إليهم أي : يش الرسل من إيمان من أرسلوا إليه ، وظن المرسل إليهم أن الرسل كذبوا في جميع ما ادعوه من النبوة والوعد بالنصر لمن أطاعهم والوعيد بالعذاب لن لم يجدهم ، وإذا كان ذلك محتملاً وجوب تزييه ابن عباس عن تحييزه ذلك على الرسل ، ويحمل إنكاره عائشة على ظاهر مساقهم من إطلاق المنشول عنده .

وقد روى الطبراني أن سعيد بن جبير سئل عن هذه الآية فقال : يش الرسل من قومهم أن يصدقوهم ، وظن المرسل إليهم أن الرسل كذبوا . فقال الصحاح بن مزاحم لما سمعه : لو رحلت إلى اليمن في هذه الكلمة لكان قليلاً . فهذا سعيد بن جبير وهو من أكابر أصحاب ابن عباس العارفين بكلامه حمل الآية على الاحتمال الأخير الذي ذكرته .

وعن مسلم بن يسار أنه سأله سعيد بن جبير ، فقال له : آية بلغت مني كل مبلغ ، فقرأ هذه الآية بالتخفيف ، قال : في هذا الولت أن تظن الرسل ذلك ، فأجابه بنحو ذلك ، فقال : فرجئتَ عني فرجَّ اللُّهُ عنك ، وقام إليه فاعتقه . وجاء ذلك من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس نفسه ، فعند النسائي من طريق أخرى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله : « قد كذبوا » قال : استيأس الرسل من إيمان قومهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوا . وإسناده حسن .

فليكن هو المعتمد في تأويل ما جاء عن ابن عباس في ذلك ، وهو أعلم بمراد نفسه من غيره .

فقال : قالت عائشة : معاذ الله ، والله ما وعد الله رسوله من شيء قط إلا علم أنه كائن قبل أن يموت ، ولكن لم يزيل البلاء بالرُّسُل حتى خافوا أن يكون من معهم يكذبونهم . فكانت تقرؤها : ﴿وَظَنُوا أَنَّهُمْ كُذَّابٌ﴾ مُثقلة .

وأخرج البخاري^(١) أيضاً من طريق ابن شهاب قال :

أخبرني عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت له وهو يسألها عن قول الله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيَّأْسَ الرُّسُلُ﴾ قال : قلت : أكذبوا أم كذبوا؟ قالت عائشة : كذبوا . قلت : فقد استيقنوا أنَّ قومهم كذبواهم ، فما هو بالظن؟ قالت : أجل لعمرى ، لقد استيقنوا بذلك . فقلت لها : وظنوا أنهم قد كذبوا؟ قالت : معاذ الله ، لم تكن الرسل تظن ذلك بربها . قلت : فما هذه الآية؟ قالت : هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقواهم ، فطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر ، حتى إذا استيأس الرسل من كذبهم من قومهم ، وظننت الرسل أنَّ أتباعهم قد كذبواهم جاءهم نصر الله عند ذلك .

وأخرج الطبرى^(٢) من طريق مسروق :

أن رجلاً سأله عبد الله بن مسعود : ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيَّأْسَ الرُّسُلُ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قُدْكُذَّابٌ﴾؟ قال : هو الذي تكره ؛ مخففة .

ثالثاً : بالنسبة لوجوه التأويل :

فمن قرأها (كذبوا) مخففةً فوجه التأويل عندهم حاصله : أن الرسل

(١) البخاري (٤٦٩٥).

(٢) الطبرى (٢٠٠٢٦) وإسناده صحيح ، إن كان أبو عامر (وهو أحد رجال الإسناد) هو العقدي .

صلوات الله وسلامه عليهم أيسوا من إيمان قومهم ومن استجابتهم، وظنوا - أي ظن المسلمين - أنهم قد أخلفوا ما وعدوا به من النصر ومن هزيمة الكافرين ، فالرجل عليهم الصلاة والسلام بشر يجري فيهم ما يجري في البشر ، فبلغ بهم عليهم الصلاة والسلام الكرب مبلغاً شديداً كما قال تعالى ﴿مَسْتَهُمُ الْأَسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَّىٰ نَصْرُ اللَّهِ﴾ .

وهذا هو اختيار ابن عباس وابن مسعود وحاصل كلامهما رضي الله عنهمَا وعنناه .

وقد كانت عائشة رضي الله عنها تنكره أشد الإنكار .

ووجه آخر :

أن الأم التي أرسل إليها المسلمين ظنوا أن المسلمين قد أخلفوا ما وعدوا به من النصر والتمكين .

وثم وجه ثالث لمن قرأها مخففة ، لكن قرأها (كذبوا) بفتح الكاف: بفتح الكاف ، وهذا الوجه حاصله أن الرسل ليست من إيمان قومها ومن استجابتهم وظنوا - أي ظن القوم الذين أرسلت إليهم الرسل - أن الرسل قد كذبوا عليهم فيما أخبروهم به من نصر أهل الإيمان على أهل الكفر ، ومن إنزال العذاب على الكافرين .

فعلى ذلك قراءة (كذبوا) عند هؤلاء بفتح الكاف والذال .

أما قراءة من قرأها مشددة (كُذبوا) فوجه التأويل عندهم: حاصله أن الرسل عليهم الصلاة والسلام ظنوا أن أقوامهم قد كذبواهم .

وثم وجه آخر، وهو أن الظن هنا بمعنى اليقين:
والمعنى: وظنوا: أي: (علموا وأيقنوا، والذين علموا وأيقنوا هم
الرسل) أن أئمهم قد كذبوا.

هذا حاصل الاختلاف في هذا الباب، وقد انتصر لكل قولٍ فريق من أهل
العلم، والله أعلم بوجه الصواب من تأويل كتابه، والأنبياء بشر عليهم
الصلاوة والسلام، وهم أفضل البشر على الإطلاق، وأعلمهم بالله، وأمره
ونهيه، وحلاته وحرامه، وشرعه وأخباره صلوات الله وسلامه عليهم
أجمعين.

* * *

س: ما وجه الاعتراض بالقصص؟

ج: وجه ذلك: في النظر إلى إنجاء الله عز وجل للمؤمنين وبيان أن العاقبة
للنتقوى.

ووجه أيضاً: بيان ما حلَّ بالكافرين من أليم العذاب وشديد العقاب،
وكما قال تعالى في شأن قوم لوط وما حلَّ بهم: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتُمُرُّونَ عَلَيْهِمْ
مُصْبِحِينَ ۚ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

* * *

س: ما المراد بالحديث في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرِى﴾؟

ج: المراد بال الحديث هنا: القرآن، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا
الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرِى مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولَئِكَ الْأَلْبَابِ﴾؟

ج: المعنى والله أعلم: لقد كان في قصص المسلمين عبرة وعظة للمعتبرين والمعظين من أصحاب العقول يعتبرون بها ويتعظون ويعلمون أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن العاقبة للتقوى، وأن الله ينصر أهل التوحيد ويؤيدهم وينصر المظلومين، وينقذهم ويرؤهم، وإن طالت الأيام ومرت السنون.

قال الطبرى رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: لقد كان في قصص يوسف وإخوته عبرة لأهل الحجى والعقول يعتبرون بها، وموعظة يتعظون بها؛ وذلك أن الله جل ثناؤه بعد أن أُلقي يوسف في الجب ليهلك ، ثم بيع بيع العبيد بالخسيس من الثمن ، وبعد الإسار والحبس الطويل ، ملكه مصر ، ومكّن له في الأرض ، وأعلاه على من بعاه سوءاً من إخوته ، وجمع بينه وبين والديه وإخوته بقدرته ، بعد المدة الطويلة ، وجاء بهم إليه من الشفقة النائية بعيدة ، فقال جل ثناؤه للمسركين من قريش من قوم نبيه محمد ﷺ: لقد كان لكم ، أيها القوم ، في قصصهم عبرة لو اعتبرتم به ، أن الذي فعل ذلك بيوف وإخوته لا يتغدر عليه فعل مثله بمحمد ﷺ فيخرجه من بين أظهركم ، ثم يظهره عليكم ، ويمكن له في البلاد ، ويؤيده بالجنود والرجال من الأتباع والأصحاب ، وإن مرت به شدائد وأتت دونه الأيام والليالي والدهور والأزمان .

س: ووضح معنى قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرِى﴾ .
 ج: المعنى، والله أعلم: لم يكن هذا القرآن الكريم حديثاً يختلف ويُفترى
 مثله بحالٍ من الأحوالِ.

* * *

س: ما المراد بـ﴿الذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾؟
 ج: المراد، والله أعلم: الكتب التي سبقته كالتوراة والإنجيل.
 * * *

س: ووضح معنى قوله تعالى: ﴿تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ .
 ج: المعنى، والله أعلم: أن القرآن يصدق الحق^(١) في الكتب التي قبله،
 وذلك من وجهين:

أحدهما: أن القرآن الكريم يُخبر بأخبار أخبرت بها الكتب التي قبله فمن
 ثم فهو يصدقها.

الثاني: أن نزول القرآن الكريم تصديق للكتب التي قبله فالكتب التي قبله
 أخبرت به، وأنه سينزل فإذا لم ينزل فستكذب الكتب التي أخبرت بنزوله،
 فلما نزل كان نزوله دليلاً على صدقها، والله أعلم.

* * *

س: هل القرآن هدى للمؤمنين فقط؟

ج: لما كان المؤمنون هم المتفعون بالقرآن، كان القرآن هادياً لهم وموفقاً

(١) وإن فقد حرفوا في كتبهم وزادوا ونقصوا، فإن الله بهذا القرآن أوجه الصواب من أوجه
 الخواص وأعنى به ما زادتها آيدي المشـ

لهم .

أما كونه هدئي : (من باب هداية الدلالة) فهو هدئي للجميع بمعنى أنه يدل الجميع على طريق ربهم وطريق جنته ، لكن بعد ذلك منهم من ينتفع بهداه ومنهم من لا ينتفع ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا تَمُودُ فَهُدِينَاهُمْ فَاسْتَحْبِرُوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ .

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَهُدَى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .
ج: المعنى ، والله أعلم : أن هذا القرآن يبين لأهل الإيمان المصدقين بالقرآن طريقهم إلى جنة ربهم وإلى رضوانه ، ورحمة من آمن به وعمل بما فيه ، ينقذه الله به من أليم عقابه وعظيم سخطه ، ويورثه به جنة الخلد والنعيم المقيم .

* * *

أسئلة عامة حول هذه السورة المباركة

س: اذكر من السورة الكريمة ما يدل على البدء بالأهم.

ج: ما يدل على ذلك ما يلي:

* قول يعقوب عليه السلام لما فقد ولديه الآخرين: ﴿يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ
يُوسُفَ﴾، فأنساه يوسف ولديه الآخرين.

* تعليم يوسف السجينين الذين معه في السجن التوحيد قبل تفسير الرؤيا
لهمَا.

* * *

س: اذكر بعض الآداب المستفادة من سيرة نبي الله يوسف عليه السلام، والتي
ينبغي أن يتحلى بها القائد والقائم على العمل عموماً.

ج: من ذلك ما يلي:

* الصدق: فقد اتسمت سيرة نبي الله يوسف عليه السلام بالصدق،
ومن ثم وصفه الفتى بالصديق، إذ قال: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصَّدِيقُ﴾.

* إكرام العشيرة: وهذا واضح من قوله ﴿إذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ
وَجْهِ أَبِي يَاءِتِ بَصِيرًا وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، ومن قوله: ﴿وَرَفَعَ أَبُوِيهِ
عَلَى الْعَرْشِ﴾.

* ومن ذلك العفو عند المقدرة، وذلك من قوله: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمْ
الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

* العفة عن الحرام: وذلك من إيمائه وإصراره على الامتناع عن المعصية
والكبيرة وذلك مأموره من قوله: ﴿مَعَادُ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثَوَّايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ

الظَّالِمُونَ ﴿١﴾، قوله : ﴿رَبُّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾ .

* الثقة في النفس: وذلك من قوله : ﴿إِنِّي حَفِظٌ عَلِيمٌ﴾ وقوله ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْفِيَانٌ﴾ .

* القوة والقدرة على العمل مع الأمانة فيه: وذلك مأخذ من قوله : ﴿إِنِّي حَفِظٌ عَلِيمٌ﴾ .

* ومن ذلك : الرفق واللين عند الاحتياج إليهما، والحرم والشدة إذا احتاج الأمر إليهما أيضاً: وذلك من قوله : ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أَوْفِيُ الْكِيلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزَلِينَ﴾ ثم قوله : ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلٌ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونَ﴾ .

* الحلم وضبط النفس وكظم الغيط: وذلك من قوله تعالى : ﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُدْهِلْهُ لَهُمْ﴾ مع ما اتهم به هو وأخوه.

* الصبر والتواضع والتذكير بفضل الله: وهذا مأخذ من قوله : ﴿أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقَ وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

والصبر مأخذ من عموم سيرته ومن قوله : ﴿أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيهِنَّ﴾ .

* المعرفة بالحيل وتدبير الأمور: وذلك مأخذ من تدبيره لأخذ أخيه من جعل السقاية في رحل أخيه ، والبدء برحل أخيه قبل رحال إخوته ، وغير ذلك مما صدر عنه في هذا الباب .

* العلم بأمور الدين وأمور الدنيا.

- * النزاهة والبراءة من التهم والرّيب ودفع الشُّبه والشكوك عن النفس: وذلك مأْخوذ من قوله: ﴿ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيهِنَ إِنَّ رَبَّيْ بِكَيْدِهِنَ عَلِيمٌ ﴾ .
- * قوة البصيرة ونفادها: وذلك من قوله: ﴿ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفُهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ﴾ .
- * التماس المعاذير للناس وعدم إعانة الشيطان عليهم: وذلك مأْخوذ من قوله: ﴿ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَّغَ الشَّيْطَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْرَتِي ﴾ .
- * انتفاء الظلم وعدم أخذ شخص بجريرة غيره: وذلك مأْخوذ من قوله: ﴿ مَعَادَ اللَّهِ أَنْ تَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَظَالْمُونَ ﴾ .
- * الدعوة إلى الله وإلى توحيده وعبادته والتحذير من الشرك وخطره: وذلك مأْخوذ من دعوته للسجينين من قوله: ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَرْبَابُ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أُمَّ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ .
- * مواساة من يحتاج إلى مواساة: وذلك مأْخوذ من قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آتَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَشِّرْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .
- * الاعتراف بالضعف والقصور لله سبحانه وتعالى، وسؤاله العون: وذلك مأْخوذ من قوله: ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِي كَيْدِهِنَ أَصْبُ إِلَيْهِنَ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ .
- * الاعتراف والإقرار الدائم بالفضل، والشكر والثناء على الله: ذلك مأْخوذ من قوله: ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَمْتِي مِنْ تَأْوِيلِ

الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولَيَ في الدنيا والآخرة ﴿٤﴾.

* المداومة على الصلاح حتى الممات: وذلك مأخوذ من قوله : ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَجْعَنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ .

وقد أورد القاسمي رحمه الله نحو هذا في «محاسن التأويل» فقال:

قال علماء الأخلاق والحكماء: لا يتنظم أمر الأمة إلا بصلحٍ، ورجال أعمال قائمين، فضلاء مرشدٍ لهم شروط معلومة وأخلاق معهودة، فإن كان القائم بالأعمال نبياً فلهأربعون خصلة ذكروها. كلها آداب وفضائل بها يسوس أمته. وإن كان رئيساً فاضلاً لمدينة فاضلة، اكتفوا من الشروط الأربعين ببعضها. وسيدنا يوسف عليه السلام حاز من كمال المرسلين وجمال النبيين. ولقد جاء في سيرته هذه ما يتخذه عقلاً الأم هدى لاختيار الأكفاء في مهام الأعمال؛ إذ قد حاز الملك والتبوة، ونحن لا قبل لنا بالتبوة لانقطاعها، وإنما نذكر ما يليق بمقام رئاسة المدينة الفاضلة، ولنذكر منها ثلاثة عشرة خصلة هي أهم خصال رئيس المدينة الفاضلة لتكون ذكرى لمن يتفكّر في القرآن، وتنبيهاً للمتعلمين العاشقين للفضائل على نفائس الكتاب العظيم، وحباً في نظرهم في القرآن، ول يجعلوا أن تلك القصص وقد أودعت مالم يكن ليخطر على بال من سمعه للتغنى به ومجرد اللهو اللعب.

أهم ما شرطه الحكماء في رئيس المدينة الفاضلة:

١ - العفة عن الشهوات: ليضبط نفسه وتتوافق قوته النفسية: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ .

- ٢ - الحلم عند الغضب؛ ليضبط نفسه: ﴿قَالُوا إِن يَسْرُقُ فَقَدْ سَرَقَ أَخْ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُدِهَا لَهُمْ﴾ .
- ٣ - وضع اللين في موضعه، والشدة في موضعها: ﴿وَلَمَّا جَهَزْهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخْ لَكُمْ مَنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أَوْفِي الْكِيلَ وَأَنَا خَيْرٌ مُنْزَلِينَ ﴾٥٩﴿ إِنَّمَا تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلٌ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونَ﴾ والصدر لللين والعجز للشدة.
- ٤ - ثقته بنفسه: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِظٌ عَلَيْمٌ﴾ .
- ٥ - قوة الذاكرة: ليتمكنه تذكر ما غاب ومضى له سنون، ليضبط السياسات ويعرف للناس أعمالهم: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفُوهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ .
- ٦ - جودة المصوّرة والقوة المخيّلة: حتى تأتي بالأشياء تامة الوضوح ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكِبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ .
- ٧ - استعداده للعلم وحبه له وتمكنه منه: ﴿وَاتَّبَعْتُ مَلَةً آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ، ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشْدَهُ أَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعَلِمَّا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ، ﴿رَبِّنَا قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلِمْتَنِي مِنْ تأويل الأحاديث﴾ .

٨ - شفقته على الضعفاء وتواضعه مع جلال قدره وعلو منصبه: فخاطب الفتى المسجونين بالتواضع فقال: ﴿يَا صَاحِبَ السَّجْنِ...﴾ الآية، وحادثهما في أمور دينهما ودنياهما، فال الأول بقوله: ﴿لَا يَأْتِي كُمَا

طعامٌ تُرْزَقَاهُ إِلَّا نَبَاتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ ﴿١﴾ ، والثاني بقوله: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مُلَةً قَوْمًا لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ الآية، وشهادته بقولهما: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

٩ - العفو مع القدرة: ﴿قَالَ لَا تُشْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

١٠ - إكرام العشيره: ﴿وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

١١ - قوة البيان والفصاحة: بتعبيره عن رؤيا الملك ، واقتداره على الأخذ بأفندة الراعي والرعية والسوقه ، ما كان هذا إلا بالفصاحة المبنية على العلم والحكمة ﴿فَلَمَّا كَلَمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لِدِينِنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾.

١٢ - حسن التدبر: ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَدَرُوهُ فِي سُبْلِهِ...﴾ الآية .

ثم تأمل في اقتدار يوسف عليه السلام على سياسة الملك ، وكيف اجتذب إليه القلوب بالإحسان ﴿وَقَالَ لِفِتَيَانَهُ اجْعَلُوهُ بِضَاعَتِهِمْ...﴾ الآية ، ودبر الحيلة العجيبة بمسألة الصواع والاتهام بالسرقة ليضم أخاه إليه ﴿فَبَدَا بِأُوْعِيَّتِهِمْ...﴾ الآية ، وعامل المحكومين بشرعهم ودينهم وملتهم وعادتهم ، كما عليه جميع الأمم الشرقية الحية من الرفق بالأمة المحكومة لهم ، فيرسوسونهم بدينهـم وعادتهمـهم وشرعـهم وأخلاقـهم وأموالـهم اتباعـاً لـمن رسمـتهـ الشرـيعة الغـراءـ ما ينـاسب حـكم سـيدـنا يـوسـف عـلـيـهـ السـلامـ ، وـذلك أنهـ أمرـ أـتباعـهـ أـن يـسـأـلـوـهـمـ ﴿قـالـوـا فـمـا جـرـأـهـ إـنـ كـنـتـمـ كـاذـبـينـ﴾ الآية ، فـكـانتـ شـريـعةـ بـنـيـ يـعقوـبـ أـنـ يـسـتـعـبـدـواـ السـارـقـ سـنـةـ عـنـ صـاحـبـ المـتـاعـ ، فـعـاـمـلـهـمـ بـماـ هـمـ عـلـيـهـ ، وـلـذـلـكـ يـقـولـ اللـهـ تـعـالـىـ : ﴿مـاـ كـانـ لـيـأـخـذـ أـخـاهـ فـيـ دـيـنـ الـمـلـكـ إـلـأـ أـنـ يـشـاءـ اللـهـ نـرـفـعـ درـجـاتـ مـنـ نـشـاءـ وـفـوـقـ كـلـ ذـيـ عـلـمـ عـلـيـمـ﴾ ، اـمـتـداـحـ عـلـىـ

حسن خطته في السياسة، ومراعاته عادة أولئك القوم وهذه. وإن كانت مسألة بسيطة الظاهر - فهي أم السياسة ورأس علوم العمران، وأول ما يوصى به السواس والعقلاء.

تالله ما أجمل القرآن، وما أبهج العلم! وليت شعري كيف يقول الله بعدها: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾، ولو لا ما فيها من مبدأ شريف وحكم عالية مع وضوحها وبساطتها لذوي النظر السطحي والبله الغفل، ما أعطاها هذا الجلال والإعظام ومدح العلم! فحيا الله العلم وأدام دولته.

* * *

س: اذكر من هذه السورة الكريمة ما يدل على فضل العلم على الجمال.

ج: إيضاح ذلك: أن جمال يوسف عليه السلام مع إصراره على البعد عن الفاحشة كان سبباً في دخوله السجن.

والعلم الذي أيد الله به يوسف عليه السلام كان سبباً في خروجه من السجن.

* * *

س: اذكر من السورة الكريمة ما يدل على جواز إجابة السائل بأكثر مما سأله.

ج: مما يدل على ذلك: قول يوسف عليه السلام للسجنين، وقد سأله تفسير الرؤيا: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَاهُ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا...﴾.

ومن ذلك أيضاً قوله لرسول الملك : ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ .

وقوله أيضاً : ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُبْلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ ، فلم يسألوه عن هذا .

* * *

س: فريق من الناس حظٌّه من سورة يوسف سماع الصوت الحسن وجودة القراءة بغض النظر عما تحمله هذه السورة الكريمة من معانٍ . ووضح ذلك .

ج: إيضاحه فيما ذكره القاسمي رحمه الله حيث قال :

فتتأمل ، كيف كانت هذه السورة يقرؤها القارئون ، ويسمعها الجاهلون وهم عن آياتها معرضون ! فإذا سمعوا صوتاً حسناً ظنوا أن هذا هو جمال القرآن ، فقالوا للقارئ : سبحان من أعطاك ! وفرحوا بما عندهم من العلم بظواهر ورونق القراءة أو مجرد التفسير ومعرفة القصة ، ولم ينظروا إلى الحكم المودعة فيها ، فقُبّح الجهل ! يترك الرجل أعمى وإن لبس الحلل وارتدى ثياب الفخار الكاذب والسراب الخداع .. كم للإنسان من آيات عبر في السموات والأرض فيعرض عنها ! خلقت لنا الأ بصار والأسماع والعقول لتنظر ماذا في السموات والأرض مما ذرأ المبدع في الكون ، وتلا القرآن - وهو كلام مبدع الكون - وتلطف في تصوير المعاني ، وألبسها أجمل الثياب ، فأعرض العقلاء فضلاً عن العامة ، مما للعامة لا يتعلمون ! وما للذوي البصائر لا ينصحون ولا يبيّنون ! وما للناس لا يكادون يفقهون !

وذكرنا نموذجاً عن هذه السورة استنشاطاً لهم العقلاً ، وحثاً لمن لهم ذكاء وفطنة راجحة على الرجوع إلى كتابهم ونظرهم فيه ، وإزالة لشبه من ارتات في هذه القصص فأعرض ، وجلّي أن قصص القرآن جميعها ملوأة بالحكم بهذه القصة ، وفي كل واحدة منها ما ليس في الأخرى كأنها ثمرات مختلف لونها ، أين من يفقه هذا من يقف مع ألفاظها وهم عن أبياتها معرضون؟ ولا عجب فإن نفوس الأسافل تأخذ الحكمة فترجعها من أفق سمائها إلى أرض ضعتها ، كما يصير الماء في شجرة الحنظل مرأ . فيقصدها هذا للنغمات ، وذلك لقصة بسيطة ، وأخر تسليمة وتضييعاً للزمن ، وأخر يقف عند الألفاظ وإعرابها وصرفها وبلاغتها ، ولكن هذا أرقى مما قبله ؛ فقد سار في الطريق وهي الألفاظ ، ولكن هيهات أن يصل للمقصود والثمرات إلا إذا أعدَ تلك القواعد مقدمة للمقصود وبحث فيه ، وأخرون يسمعون الآيات فيعرضونها على التاريخ ، والمؤرخون مختلفون كما قدمنا ، وما مثل هؤلاء في سيرهم إلا كمثل رجل أوتي آلة بخارية ليسقي بها الحrust من النهر ، فجلس بجانبها وترك استعمالها وأخذ يتفكر : من أين هذا الحديد؟ ولم يجلب الماء؟ وإلى أي مسافة يرتفع ، وما العلة فيه ، ومن أين يأتي الفحم الحجري ، وفي أي الطرق يسير إلى أن يصل إلينا؟ فيمر عليه شهر وشهران فيذبل زرعه وتبور أرضه ، ذلك مثل من يقرأ القرآن ويجعل جل عنایته تطبيقه على كلام المؤرخين أو قواعد النحوين أو الصرفيين وعلماء البلاغة فحسب ، اللَّهُمَّ إِلَّا قدرًا يسيراً للفهم ، وهذا - لعمر اللَّه - انتكاس على الرأس ، واتخاذ الوسيلة مقصدًا كمثل من أراد الحج فجعل همته إعداد الذخائر سنين فاختطفته المنون وفارق الحياة ولم يحج ، ذلك مثلهم . انتهى .

س: في سورة يوسف طائفة من المعجزات والكرامات. اذكر بعضها.
ج: من ذلك: أن يعقوب عليه السلام وجد ريح يوسف من مسافات
شاسعة.

ومن ذلك: ارتداد بصر يعقوب إليه بعد العمى لما ألقى القميص على وجهه.

ومن ذلك: تحقق الرؤى كما أخبر يوسف عليه السلام.

ومن ذلك: الإخبار ببعض الأمور الغيبية بإذن الله، وذلك في قوله:
﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾.

* * *

س: كما أن النبي الله يوسف عليه السلام أوذى وابتلي فإن نبينا محمدًا ﷺ قد أودي إيذاءً أشد وابتلي ابتلاءً أشد. وضع ذلك.

ج: إيضاحه فيما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال:
واختيار النبي ﷺ له ولأهل الاحتباس في شعب بنى هاشم بضع سنين،
لا يُبَايِعُونَ، ولا يُشَارِوْنَ، وصبيانهم يتضاغون من الجوع، قد هجرهم
وقلائلهم قومُهم، وغير قومهم. هذا أكمل من حال يوسف عليه السلام.

فإن هؤلاء كانوا يدعون الرسول إلى الشرك، وأن يقول على الله غير الحق يقول: ما أرسلني ولا نهى عن الشرك. وقد قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لِيَسْتَفْزُوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرُجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَأْ يَلْبِثُونَ خَلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٧٦
سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسْنَتَنَا تَحْوِيلًا﴾.

وكان كذب هؤلاء على النبي ﷺ أعظم من الكذب على يوسف؛ فإنهم قالوا: إنه ساحر، وإنه كاهن، وإنه مجنون، وإنه مفتر، وكل واحدة من

هؤلاء أعظم من الزنا والقذف، لا سيما الزنا المستور الذي لا يدرى به أحد. فإن يوسف كذب عليه في أنه زنى، وأنه قذفها وأشاع عنها الفاحشة، فكان الكذب على النبي ﷺ أعظم من الكذب على يوسف.

وكذلك الكذب على أولي العزم، مثل نوح وموسى حيث يقال عن الواحد منهم: إنه مجتون، وإنه كذاب، يكذب على الله، وما لقي النبي ﷺ وأصحابه من أذى المشركين أعظم من مجرد الحبس، فإن يوسف حبس وسكت عنه، والنبي ﷺ وأصحابه كانوا يؤذون بالأقوال والأفعال مع منعهم من تصرفاتهم المعتادة.

وهذا معنى الحبس، فإنه ليس المقصود بالحبس سُكناه في السجن، بل المراد منعه من التصرف المعتاد والنبي ﷺ لم يكن له حبس، ولا لأبي بكر، بل أول من اتّخذ السجن عمر، وكان النبي ﷺ يسلم الغريم إلى غريمه، ويقول: «ما فعل أسيرك» فيجعله أسيراً معه، حتى يقضيه حقه، وهذا هو المطلوب من الحبس.

والصحابة رضي الله عنهم منعوهم من التصرف بمكة أذى لهم، حتى خرج كثير منهم إلى أرض الحبشة، فاختاروا السكنى بين أولئك النصارى عند ملك عادل على السكنى بين قومهم، والباقيون أخرجوها من ديارهم وأموالهم أيضاً مع ما آذوهم به، حتى قتلوا بعضهم، وكانوا يضربون بعضهم وينعنون بعضهم ما يحتاج إليه، ويضعون الصخرة على بطن أحدهم في رمضان مكة، إلى غير ذلك من أنواع الأذى.

وكذلك المؤمن من أمة محمد ﷺ يختار الأذى في طاعة الله على الإكرام مع معصيته، كأحمد بن حنبل اختار القيد والحبس والضرب على موافقة

السلطان وجنده على أن يقول على الله غير الحق في كلامه، وعلى أن يقول ما لا يعلم أيضاً، فإنهم كانوا يأتون بكلام يعرف أنه مخالف للكتاب والسنة، فهو باطل، وبكلام مجمل يحتاج إلى تفسير، فيقول لهم الإمام أحمد: ما أدرى ما هذا؟ فلم يوافقهم على أن يقول على الله غير الحق، ولا على أن يقول على الله ما لا يعلم.

* * *

س: هذه السورة توضح أحوال هذه الحياة الدنيا، وأن أحوالها لا ثبت على حال، وكذلك فأيامها دولٌ يداولها الله بين الناس، وأن مع العسر يسراً، والمحنة تعقبها منحة، والإماماة تُنال بالصبر. وضح ذلك.

ج: إيضاح ذلك من وجوه:

منها: أن يوسف عليه السلام كان مستضعفًا في أيدي إخوته، فقدروا عليه وألقوه في غيابة الجب، فرفعه الله درجات، ومرت الأيام والسنون، إلى أن جاءوه يطلبون الصدقة، ويشكون ما بهم من الضر، فقالوا: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجَثَنَا بِيَضَاعَةٍ مُّزْجَاهٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكِيلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَعْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾، ثم بعد ذلك يقولون له: ﴿تَاللَّهُ لَقَدْ أَثْرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ ثم بعد ذلك يخر الجميع سجدًا ليوسف ﷺ.

وأيضاً: فقد وقع يوسف في محن السجن ثم خرج منه مكرماً معززاً بريئاً.

وكذلك: يعقوب عليه السلام صاحبَ الحزن حتى ابيضت عيناه فهو كظيم، ثم فرج الله همه وجمع عليه شمله، وانقلب حزنه إلى سرور، وقال لأهله: ﴿أَلَمْ أَقْلُ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، ثم طلبوا منه

الاستغفار بقولهم : ﴿ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ .

وامرأة العزيز كادت ليوسف عليه السلام بالذى كادت به وقدفته بالذى قدفته به ثم هى تقول : ﴿ الآن حَصَحَ الصَّحْقُ أَنَا رَأَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لِمَنِ الصَّادِقِينَ ﴾ .

ويوسف عليه السلام يتقلل من حرِّ محبوب إلى والده إلى الرق والعبودية في بيت العزيز ، ثم يodus في السجن ، ثم يخرج ويصبح عزيزاً قائماً على خزانة الأرض عليه الصلاة والسلام .

فهكذا الحياة الدنيا يداولها اللَّهُ بين الناس ولا تثبت على حال ، كما قال تعالى : ﴿ لَتَرْكِنُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴾ . وهكذا فالعاقبة للتقوى .

وهكذا فالإمامية تُناول بالصبر ، كما قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدِونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ .

* * *

س: اذكر من السورة الكريمة ما يدل على أن المعلم من علمه اللَّهَ .

ج: من ذلك ما يلي :

* قول يعقوب عليه السلام ليوسف : ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ ﴾ .

* قوله يوسف عليه السلام للفتين في السجن : ﴿ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلِمْنِي رَبِّي ﴾ .

* قوله تعالى في شأن يعقوب عليه السلام : ﴿ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلِمَنَاهُ ﴾ .

* قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كَدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذُ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

* * *

س: اذكر من سورة يوسف ما يدل على أن المحفوظ من حفظه الله.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قول يوسف عليه السلام: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِي كَيْدُهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

* قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾.

* قول يعقوب عليه السلام: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

* قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾.

* * *

س: اذكر من هذه السورة ما يدل على نبوة نبينا محمد ﷺ.

ج: من ذلك:

* إخبار النبي ﷺ بأمر لم يرها ولم يشاهدها مع كونه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾، ونحو قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

* قوله تعالى: ﴿وَلَكُنَا أَنْشَانَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيَا فِي أَهْلِ مَدِينٍ تَتَلُّ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكُنَا كُنَا مُرْسِلِينَ﴾، قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾.

- * قوله ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمُلْأَ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِّمُونَ﴾ .
 * فكل هذه أمور لم يكن للرسول ﷺ بها علم حتى أعلمه الله تعالى.

* * *

س: بين من هذه السورة الكريمة ما يدل على أن المعصية تجر إلى معصية أخرى، إذا لم يتبع الشخص منها.

ج: مما يدل على ذلك: أن إخوة يوسف كذبوا على أبيهم فقالوا: ﴿أَرْسَلْهُ مَعْنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ١٢ قال إنّي ليحزّني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأتّم عنه غافلون ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذَّئْبُ وَنَحْنُ عَصِّبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ﴾ ١٤ فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابات الجب وأوحينا إليه لتبين لهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عشاءً يَكُونُ﴾ ١٥ قالوا يا آبانا إننا ذهبنا نستيق وتركتنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب ﴿وَجَاءُوا بَدْمَ كَذْبٍ عَلَى الْقَمِيصِ، وَزُورُوا بَكَاءً، وَزَيَفُوهُ﴾ .

وأيضاً! امرأة العزيز راودت فاتها عن نفسه ثم أصفت به التهمة قائلة: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .

* * *

س: بين من هذه السورة الكريمة ما يدل على اختيار أخف الضررين إذا تواردت المفاسد والمضار.

ج: من الأدلة على ذلك من هذه السورة المباركة:

* قول أحد إخوة يوسف: ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَّابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعْلِمُونَ﴾ .

* قول يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾.

* * *

س: ما مدى صحة التناقل بين بعض المفسرين من أن يوسف عليه السلام زلت قدمه في ثلات مواطن فعقوب بها، فمن ذلك همه بامرأة العزيز، ومن ثم قال بعد ذلك: ﴿وَمَا أَبْرَئُ نَفْسِي﴾، ومن ذلك قوله: ﴿أَيْتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾، فعقوب بقولهم: ﴿إِنْ يُسْرِقُ فَقَدْ سَرَقَ أَخْ لَهُ مِنْ قَبْلِ﴾، ومن ذلك قوله: ﴿إِذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾، ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بَضْعُ سِنِينَ﴾.

ج: على كل ذلك تعقيب: فالهم بامرأة العزيز قد أوضحنا بما فيه كفاية براءة يوسف عليه السلام من السوء والفحشاء تماماً. أما قول: ﴿أَيْتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ فليس بواضح في أن قائله هو يوسف، وإن كان قاله أو قيل بأمره فقد سرقوا أخاهم يوسف في صغره، وفرقوا بينه وبين والده، وأيضاً إن كان فعل ذلك فإنما فعله بأمر الله، إذ الله قال: ﴿كَذَلِكَ كَدَنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

أما قوله: ﴿إِذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ فهذا من باب الأخذ بالأسباب والأخذ بالأسباب مشروع في ديننا، والله أعلم.

* * *

س: سوء الظن إذا دلت عليه قرائن غير منوع ولا محروم، اذكر ما يدل على ذلك.

ج: دلّ على ذلك قول يعقوب عليه السلام لأبنائه: ﴿بَلْ سَوْلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾.

قال السعدي رحمه الله في «تفسيره» في بيان بعض الفوائد المستنبطة من سورة يوسف:

ومنها: أن سوء الظن مع وجود القرائن الدالة عليه غير منوع ولا محروم، فإن يعقوب قال لأولاده بعدها امتنع من إرسال يوسف معهم حتى عالجوه أشد المعاجلة، ثم قال لهم بعد ما أتواه، وزعموا أن الذئب أكله: ﴿بَلْ سَوْلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾.

قال لهم في الأخ الآخر: ﴿هَلْ آمِنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾.

ثم لما احتبسه يوسف عنده وجاء إخوته لأبيهم قال لهم: ﴿بَلْ سَوْلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ فهم في الأخيرة - وإن لم يكونوا مفترطين - فقد جرى منهم ما أوجب لأبيهم أن قال ما قال من غير إثم عليه ولا حرج.

* * *

س: اذكر من سورة يوسف ما يدل على مشروعية الأخذ بالأسباب.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

- * قوله يوسف عليه السلام للذي ظن أنه ناج: ﴿إذْكُرْنِي عَنْدَ رَبِّكَ﴾.
- * قوله يوسف عليه السلام: ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَدَرُوهُ فِي سُبْلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾.

- * قوله يعقوب عليه السلام: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُعَيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾.

* قوله عليه السلام: ﴿لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ .

* قوله عليه السلام: ﴿يَا بَنِي اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ .

* * *

س: اذكر من سورة يوسف ما يدل على جواز إخبار الإنسان بما فيه من صفات طيبة من الحسن والكمال إذا لم يكن في ذلك فتنة ولم يكن فيه رباء، وكان من وراء ذلك مصلحة.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قول يوسف عليه السلام: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَاتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلِمْنِي رَبِّي﴾ .

* قول يوسف عليه السلام: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَرَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِظٌ عَلِيمٌ﴾ .

* قول يعقوب عليه السلام: ﴿أَلَمْ أَفْلَ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

* قول يوسف عليه السلام: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أَوْفِي الْكِيلَ وَأَنَا خَيْرٌ مِّنْ مُنْزَلِنِي﴾ .

* * *

س: اذكر من سورة يوسف ما يدل على جواز السؤال والاستعانة من له قدرة على تخلص الشخص من الكروب.

ج: من الأدلة على ذلك:

- * قول يوسف عليه السلام: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ .
- * قول إخوة يوسف: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شِيخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

* * *

س: اذكر من السورة الكريمة ما يدل على مشروعية الفرار من مواطن الفتنة.

ج: من الأدلة على ذلك من هذه السورة: قوله تعالى: ﴿وَاسْتَبِقَا الْبَابَ﴾ في يوسف عليه السلام كان يريد الفرار من الواقع في الفاحشة، وهي تطارده.

* * *

س: اذكر من سورة يوسف عليه السلام ما يدل على أن أعمال البر السابقة تكون سبباً في نجاة أصحابها من الواقع في العاصي.

ج: من الأدلة على ذلك: قوله تعالى: ﴿وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخَلَّصِينَ﴾؛ فصرف الله عنهسوء والفحشاء لكونه من المخلصين.

* * *

س: اذكر من سورة يوسف ما يدل على استحباب الضيافة.

ج: من الأدلة على ذلك: مدح يوسف بقوله: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزَلِينَ﴾ .

* * *

س: اذكر من السورة الكريمة ما يدل على جواز استعمال المعارض.

ج: من ذلك: قول يوسف عليه السلام: ﴿مَعَاذُ اللَّهُ أَنْ تَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾، فلم يقل: معاذ الله أن تأخذ إلا من سرق؛ وذلك لأن أخاه لم يسرق حقيقة.

* * *

س: اذكر من سورة يوسف ما يدل على خطورة الخلوة بالنساء.

ج: هذا واضح من كون امرأة العزيز لما خلت بيوسف عليه السلام وغلقت الأبواب بدأت في مراودته عن نفسه، وآل بها الأمر إلى أن قدت قميصه من دبر.

* * *

س: اذكر من سورة يوسف ما يدل على استحباب سؤال الله حسن الخاتمة.

ج: ذلك مأخوذ من قول نبي الله يوسف عليه السلام، وهو من أمرنا بالاقتداء به: ﴿رَبِّنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَمْتِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطَّرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.

* * *

الفهرست

الموضع	الصفحة
تفسير قوله تعالى: ﴿الر... إن ربك عليم حكيم﴾	١٩ - ٥٠
تفسير قوله تعالى: ﴿لقد كان في يوسف وإخوته... والله المستعان على ما تصفون﴾	٥١ - ٩٠
تفسير قوله تعالى: ﴿وجاءت سيارة... وكذلك نجزي المحسنين﴾	٩١ - ١٠٤
تفسير قوله تعالى: ﴿وراودته... إنك كنت من الخاطئين﴾	١٠٥ - ١٣٨
تفسير قوله تعالى: ﴿وقال نسوة... ليسجننـه حتى حين﴾	١٣٩ - ١٥٧
تفسير قوله تعالى: ﴿ودخل معه السجن فتیان... فلبث في السجن بضع سنین﴾	١٥٩ - ١٨٠
تفسير قوله تعالى: ﴿وقال الملك إني أرى... وكانوا يتقوون﴾	١٨١ - ٢١٢
تفسير قوله تعالى: ﴿وجاء إخوة يوسف... قال الله على ما نقول وكيل﴾	٢١٣ - ٢٢٢
تفسير قوله تعالى: ﴿وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد... فلا تبتشـس بما كانوا يعملون﴾	٢٢٣ - ٢٢٨
تفسير قوله تعالى: ﴿فلما جهزـهم بجهازـهم... والله أعلم بما تصفون﴾	٢٢٩ - ٢٤٢
تفسير قوله تعالى: ﴿قالوا يا أيها العـزـيز... إلا القوم الكافرون﴾	٢٤٣ - ٢٥٣
تفسير قوله تعالى: ﴿فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العـزـيز... وأتونـي بأهـلـكم أجمعـين﴾	٢٥٤ - ٢٥٩
تفسير قوله تعالى: ﴿ولما فصلـت العـيـر... وألحـقـيـ بالصـالـحـين﴾	٢٦١ - ٢٧٤
تفسير قوله تعالى: ﴿ذلك من أنبـاء الغـيـب... وهـدـيـ ورحـمةـ لقوم يؤمنـون﴾	٢٧٥ - ٢٩٧
أسئلة عامة حول هذه السورة المباركة	٩٨



المطبخ في المغرب من الأدوات حمر الموسى

مطبخ العيون حلقة شمال البر الرئيسي

النوع: ٢٣٣٦٧٦٧ - ٢٣٣٦٧٧٧ / رقم: ١٠١٢٣٥٦٧٧